الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران1 - أحمد بن بلة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

التوظيف اللغوي عند الشيخ البشير الإبراهيمي
-البصائر نموذجا-

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في اللّغة العربية والحضارة الإسلامية .تخصص: دراسات قرآنية

إعداد الطالبة: تراس عائشة

إشراف الدكتور: خير الدين فلاح

أعضاء لجنة المناقشة:

رقم	الاسم واللّقب	الرتبة	الجامعة	الصّفة
1	بوركبة محمد	أستاذ	جامعة وهران أحمد بن بلة 1	رئيسا
2	فلاح خير الدين	أستاذ محاضر –أ-	جامعة وهران أحمد بن بلة 1	مشرفا ومقررا
3	مولاي سميرة	أستاذة محاضرة –أ-	جامعة وهران أحمد بن بلة 1	ممتحنا
4	مقدم محمد	أستاذ	جامعة غليزان	ممتحنا
5	بوسلاح فايزة	أستاذة محاضر –أ-	جامعة وهران أحمد بن بلة 1	ممتحنا

السنة الجامعية: 1443هـ-1445هـ / 2022م-2023م

شكر وعـرفان

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

(سورة النمل الآية 19)

الشكر لله عز وجل أوّلا على أن وفقني لإتمام هذه الرسالة، ثمّ لمن رافقني طيلة سنوات هذا البحث. الدكتور الفاضل "خير الدين فلاح" الذي كان ناصحا ومعينا، إلى رئيس مخبر مخطوطات شمال أفريقيا على توجيهاته ونصائحه، كما أسدي خالص امتناني لأعضاء اللجنة المناقشة الذين تحمّلوا عبء قراءة هذا البحث، والله أسأل أن يجازي الجميع أحسن الجزاء فهو ولي ذلك والقادر عليه-

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبنعمته تتنزل الخيرات والبركات، ونصلي ونسلم على نبيه الذي اجتباه وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من يحبني ويتمنى لي الخير صديقا كان أم قريبا.

إلى كل الذين مدّوا لي يد العون ولو بكلمة طيبة، وكانوا لي بمثابة الناصح الأمين،إلى الأهل والأحبة.

وإلى أساتذتي الذين رافقوني في مشواري الدراسي كل باسمه.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا البحث.

مقدّمة

مقدّمة:

الحمد لله الواحد المعبود، عمّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، وهو بكل لسان محمود، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وعد من أطاعه بالعزة والخلود، وتوعد من عصاه بالنار ذات الوقود، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الركع السجود، والتابعين، ومن تبعهم من المؤمنين الشهود، وسلم تسليماً كثيراً إلى اليوم الموعود، أمّا بعد:

التعريف بالموضوع:

ممّا لا ريبَ فيه أنّ المقالةَ والخطابة تندرجان ضمن لواء الأجناس الأدبيّة الّتي تعدّ لونا من الألوان الأدبيّة وتكون نتيجةَ عوامل ومَقامات مختلفة؛ حيث كان للجزائر عالما ذاع صيته على كلّ لسان جزائريّ خاصّة وعربي عامّة، وأحد مؤسّسي جمعية العلماء الجزائريين المعروف بالبشير الإبراهيمي الّذي تزخر كتاباته بالتنوّع والتعدّد والاختلاف والتّميز، وتحمل بين طيّاتها سمات الأسلوبية، تسجن القارئ فيتعوّد عليها فيدمنها جرّاء الأسلوب الجامع والماتع، تشكّله وتصنعه الأصوات المتجانسة والملتحمة والمتضامنة مع النسق الخطابي وتصوّر الواقع اليومي.

وهذا ما ولّد جيلا يتدافع وينفعل ويتفاعل بانفعال الكلمات، ويستقيمُ باستقامة العبارات المشتقّات من الوحي الربّاني الّذي أثبت حضوره في أقواله وأفعاله، وبيّن مدى تأثر البشير الإبراهيمي بجماليات المفردة القرآنية، فراح يفسّر ويستنبط الأحكام الشّرعيّة من الآيات، وهذا ما انعكس على صورته الصادرة من نفس صادقة أمينة، همّها ودأبها تقويم الاعوجاج الاجتماعيّ والمجتمعيّ وتحقيق شروط النهضة وصناعة الإنسان، ولما كان أسلوب الإبراهيمي السّمة والعلامة الفارقة المسجّلة باسمه الّتي تميّزت وانفردت بها تعابيره في شتّى الفنون الأدبية، إضافة إلى تحكّمه في ناصية لغة الضاد وتربّعه على عرشها.

أهمية الموضوع:

ولأهمية الموضوع البارزة أخذنا بعض العيّنات والنماذجَ المختارة الواردة في خطابه، وما كان لنا إلا أن نتطرّق لمظاهر الأسلوبية الّتي جادت بها قريحته، وأفصح عنها لسانه في المقالة والخطابة على غرار الأجناس الأدبية الأخرى، قصد استنباط جماليتها ومكمن توظيفها، وطريقة معالجتها من حيث اللغة الّتي يتغير فيها الخطاب حسبَ سياقه وشكله الإخباري ذي الوظيفة التأثّرية، معتمدا في ذلك على التّوظيف اللّغويّ الّذي كثيرا ما يخضع إلى طبيعة الموضوع والأشجان وحالته الّتي تعتريه وبيئته الّتي تؤثّر في توظيفه للّغة، وهذا ما أبانته مقالاته وخطاباته.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى إبراز ملامحَ الأسلوب الإبراهيمي ونسق الخطاب لديه، فمن المعلوم أنّه قد كتبَ في مُختلف الأنواع النّثرية، حيث شهدنا تبدّل وتغيّر في الألفاظ، كما نوّع في فنون وأساليب الكتابة، غير أنّ بَصمته ولمسته الكتابية وبراعته الخطابية ظلّت مُتميّزة خاصّة به تُغري الباحث وتَدفعه إلى تذوّقها واستطلاع معالمها، خاصّة أنّه كان مفسّرا ومؤرّخا، فهنا تتعدّد الترجمات الدّلالية وتتنوّع القراءات.

ولما كانت الرؤيا الأسلوبية تستلزم الوقوف عند التّشكيل والتّأثير الأسلوبيّ في النّصوص، فكان حضورنا في ثوب القارئ من غير إرادة ولا شعور لعمق الكلمات ومُلابساتها للحياة حتى تستطيع أن تتعمّق في أسلوبه، وتتعرّف على مواطن التّعبير، فكانت هذه القراءة لغوية قرآنية نحاول من خلالها استنباط ما يحمله باطن اللفظ اللّغوي الّذي لا بدّ من الوقوف عليه من دال ومدلول، ونبيّن مدى وجود المفردة الأدبية والقرآنية على حد سواء من حيث الشّكل والمضمون؛ إيضاحا وتكميلية للدّلالة الّتي لا تكاد تنفك عن البنية العميقة الّتي يصبو البحث إلى تقصّيها.

منهج الدراسة:

من المتعارف عليه أن البحوث العلمية الأكاديمية تحتاج إلى منهج، ومن بين هذه المناهج التي استندنا عليها في دراستنا، وهي المنهج التّحليلي الاحصائي، ونشير هنا إلى أنّ المقالات وخطب البشير الإبراهيمي التّي كانت منهل الدّراسة البحثية.

الإشكالية:

ممّا سبق ذكره يمكن معالجة إشكالية دراستنا البحثية المتمثّلة في: مدى تمكّن البشير الإبراهيمي من توظيف اللّغة؟ وضمن هذه الإشكالية الرئيسية تفرعت عدّة تساؤلات في مستهلّها:

- كيف تمكّن من التّشكيل اللّغوي؟

- كيف وظف المفردة القرآنية واستثمر فيها من خلال التفسير اللغوي للقرآن الكريم وما دور السياق في بيان المفردة القرآنية؟

- ماهي أهمّ المواضيع الّتي تطرق البشير الإبراهيمي؟

- ما أثر البيئة الإبراهيمية في تكوين شخصية البشير الإبراهيمي إنسانا وعالما؟ وهل تقصّد في انتقائِه للألفاظ؟

وممّا لاشكّ فيه أنّه لا يوجد بحث علمي لا يخلوا من **المصادر والمراجع**، فقد ارتكز بحثنا على مجموعة من مصادر ومراجع نذكر منها:جريدة البصائر بمختلف أعدادها، وآثار البشير الإبراهيمي الجزء الثالث، إضافة إلى كتاب النثر الجزائري لعبد الله الركيبي، ومن الأسلوبية اعتمدنا على كتاب الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات) لمحمّد بلوحي، رابح تركي: التعليم القومي ، الشخصية الجزائرية 1913-1956، الجرجاني: دلائل الإعجاز، ابن جني: المصنّف، الصناعتين لأبي هلال العسكري، التفكير اللّغوي بين القديم والجديد لكمال بشر، المستصفى في علوم الأصول للغزالي.

الدّراسات السابقة:

الجـذير بالـذكر أن البشـير الابراهيمـي كـان لـه نصـيبا وحظّـا وافـرا مـن الدّراسـات البحثيـة تمثّلـت في رسـائل الماجيسـتير والـدكتوراه نـذكر منهـا علـى سـبيل المثـال لا الحصـر: أطروحـة دكتـوراه للطالـب معمـر حـاكمي الموسـومة ب" **جماليـة الأجنـاس الأدبيـة لـدى البشـير الابراهيمـي (مقاربـة أسـلوبية)**"، جامعـة جـيلالي اليـابس – سـيدي بلعبـاس- وأخـرى للطالـب سـليم بـن حملـة الموسـومة ب "**رسـائل محمّـد البشـير الابراهيمـي (دراسـة أسـلوبية فنيـة)**" جامعـة بسـكرة – محمـد خيضـر- 2021م-2022، والملاحـظ أن الباحـث أثنـاء تطرّقـه إلى المسـتوى الصـوتي ركّـز علـى الإيقـاع والتكـرار فـأغفلى المقـاطع الصّـوتية ولم يعـرّج إلى الجنـاس بحكـم أنـه يتناسـب و الايقـاع ودوره في ايضـاح الحـروف دلالتهـا الصـوتية الـتي تلائـم كتـابات البشـير الابراهيمـي، وإذا مـا قـارنّا بـين الدّراسـات السـابقة والدّراسـة الموكّلـة إلي الموسـومة ب" **التّوظيـف اللّغـوي عنـد الشـيخ البشـير الابراهيمـي (البصـائر نموذجـا**" أنّنـا حاولنـا إبـراز علاقـة الدّراسات القرآنية بالعلوم اللّغوية، ونخصّ بالذّكر المستوى الصّوتي والصّرفي.

صعوبات الدّراسة:

وقـد واجـه بحثُنـا جملـة مـن الـمعيقات كصـعوبة تـداخل التخصصـات، ونـدرة الدّراسـات السّـابقة في الأنـواع النّثريـة، بخـلاف الشّـعر الّـذي سـال حـبر البـاحثين فيـه، إضـافة إلى تعـدّد واخـتلاف القـراءات لمؤلّفـات البشـير الإبراهيمـي، وهـذا مـا دفعنـا إلى الخـوض في هـذه التجربـة ومُزاحمـة أهـل الاختصـاص الّـذي هـو جـزء لا يتجـزأ مـن الدّراسـات القرآنيـة، كـون اللغـة العربيـة هـي اللغـة الّـتي نـزل بهـا الـذّكر الحكـيم، ومـن هنـا حاولنـا أن تكـون الدراسـات القرآنيـة حاضـرة لتكـون توأمـة بـين تخصّصـين، كمـا نشـير أنّ هنـاك عـدّة صـفحات في الجانـب التطبيقـي، خاصـة في الفصـل الثـاني والـتي تقـدر بحـوالي 70 صـفحة، وفي الفصـل الثالـث حـوالي 7 صـفحات هـي مـن مجهـود واجتهـاد الباحثـة، نسـتثني مـن ذلـك اقتباسـات مـن كـلام البشـير الابراهيمـي

للاستدلال، لكن على الرّغم من تلك الصّعوبات، فقد وفقنا الله لإتمام هذا البحث، وأملنا أن نكون قد وُفقنا فيه.

في الأخير خُتمت هذه الدراسة البحثية الأسلوبيّة القرآنية بخاتمة شاملة لنتائجَ هذا التوظيف اللّغوي استنادا إلى التحليل التاريخي الأسلوبي الاحصائي الوصفي، نشير هنا أيضا أن مقالات وخطب البشير الابراهيمي الموجودة في جريدة البصائر قد جمعت في الجزء الثالث من آثاره، وهذا ما دفعنا إلى المقارنة بينهما، فكان تطابقا في وجه واحد والمتمثل في "**خطبة كتاب مفتوح إلى مجلس النواب**"، ولدفع هذا التعارض والخلاف اعتمدنا على الجزء الثالث الذي كان المنهل الدراسة البحثية.

وفق هذا الطرح الجوهري قمنا بتقسيم بحثنا الموسوم إلى مقدّمة وثلاثة فصول يتقدّمها **الفصل التّمهيدي**: الذي تطرّقنا فيه إلى حياة البشير الإبراهيمي وآثاره باعتبارها المصدر الأول لتكوين ملكته اللغوية، وبناء شخصيته الّتي لا بدّ أن تنعكس على كتاباته وتوظيفه للّغة الّتي تنوّعت بين ما هو فطري رباني، وما هو مكتسب من خلال تجارِبه الاجتماعية والتّعليمية والظّروف الّتي أحاطت به، كما عالجنا موضوع الأسلوبية بداية من ماهية الأسلوبية، حيث سلّطنا الضّوء على مجالاتها واتجاهاتها وعلمائها.

أما الفصل الأول فجاء معنونا بأسلوب البشير الإبراهيمي ومستويات اللّغة في كتاباته: تناولنا فيه الأسلوب والشكل والمضمون ومستويات اللّغة، وأثر المفردة القرآنية وتجلّي حضورها، ودورها في إبراز جماليتها عنده، كما عرّجنا إلى الأنواع النّثرية من فن المقال والخطابة، وخصائص كل جنس أدبي.

الفصل الثاني جاء موسوما بالمستويات الصّوتية والدّلالية في كتابات البشير الإبراهيمي: خصّص لهذه الشّخصية الأدبية الدّينية من حيث الأداء والأسلوب والشكل والمضمون ومستويات اللّغة، كما تعرّضنا إلى أثر المفردة القرآنية وكيفيّة تجلي حضورها من خلال ظاهرة الاقتباس من مصادر التشريع الإسلامي والمتمثلة في القرآن والسنة ودورها في

إبـراز المسـتوى الشـكلي والجمـالي وبلاغـة التـذوق عنـده الّـذي اغـترف مـن الآيات القرآنيـة، فـأعطى للـنص الأدبي بعـدا جماليـا ومقاصـديا وقـوّة في التـأثير، كمـا التفتنـا إلى الأنـواع النثريـة مـن فـنّ المقـال والخطابـة وأدب الرحلـة موضّـحين خصـائص نـوع وأسـلوب الأديـب في التنقـل بـين الأجناس الأدبية.

الفصـــل الثالـــث كـــان عنوانـــه موســـوما بالمســـتويات الصّـــرفية التّركيبيـــة: تناولنـا فيـه المسـتوى الصّـرفي والتركيـبي مـن الناحيـة التّطبيقـة كدراسـة الجملـة البسـيطة والمركّبـة وتجلّـي ظـاهرة العـدول في ثنـايا كتـابات البشـير الإبراهيمـي بـين الخطابـة والمقـال علـى وجـه الخصـوص، أمّـا الصّرفي فقد حوى مصادر الأفعال وأبنيتها.

الطالبة: تراس عائشة

وهران في: 13 شعبان 1444هـ الموافق ل 06 مارس 2023

الفصل التمهيدي:

محطات من حياة البشير الإبراهيمي

المبحث الأول: لمحات من عصر البشير الإبراهيميّ (الحقبة الاستعماريّة 1921- 1962 أثناء الاحتلال الفرنسيّ):

عندما يشتدّ ليل الأمّة، ويتأزّم حالها يرسل الله إليها نورا خفيّا يمحو ظلامها بعبقريّة خالصة، وينير دربها بحكمة وثبات العلماء والمصلحين من عظماء الإنسانيّة، سواء كانوا أنبياء، أو رجال فكر، أو قادة شعوب يظهرون في عصور الاضطراب الفكري عندما تختلط السبل، وتتضارب المفاهيم وتشتد الأزمات، وينشر الظلم والظلال والنفاق، ولذلك بات ظهور العظماء مرتبطا بما سبقهم من إرهاصات وتحرّكات، وبما يصاحبهم من وعي في سير حركة التاريخ[1]، ومن ثم نهوضهم لتقديم الحلول التي تليق بمستوى الوضع القائم للأمّة في شتّى المجالات.

وتنجو أي أمّة من تأثيرات مصائبَ عصرها مهما أحيطت بسياج العباقرة، فذلك لأنّ عوائقَ الدهر مصاحبة للإنسان منذ نشأته الأولى، ويتطلّب الوصول إلى تحديد سياسة واضحة؛ لإيقاظ وعي الأمّة وفكرها، وتعبئتها بقراءة تأملية عميقة لواقع المجتمع، ودراسة شاملة لكلّ عناصرَ هذا الواقع، وتتبّع لكلّ الأحداث التي مرّت، وتمرّ بها الأمة في مختلف مجالات الحياة[2]، ومن ثمّ تقف عند عظمة وعبقرية هذا الرّجل الذي "لم يعش لنفسه، وإنّما عاش لدينه ووطنه ولغته، وتلك هي العظمة، وذلك أبرز مظاهرها في حياته، وبعد مماته".[3]

فتحليل عصر الإبراهيمي، ومعرفة أهمّ الظّروف التي شكّلت مَناخه، والإحاطة بمختلف المشاكل التي كان يتخبّط فيها شعبه يكشف لنا عن أهمّ القضايا التي سال

---

[1]– محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980، ص36.

[2]– ينظر: عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ع2، 2010، ص45.

[3]– مسعود فلوسي، مقياس الرجولة والعظمة في نظر الإبراهيمي، مجلة الوعي، العدد2، ص28.

لأجلها حبره، وتألمت لها نفسيته ومشاعره، وانعكست في آثاره؛ لأنّ جوهر الأدب يكمن في أنّه "عطاء حضاريّ، يتفاعل أيضا مباشرة وباستمرار مع البيئة التي تعيش، فتحليل عصر الإبراهيمي، ومعرفة أهمّ الظّروف التي شكّلت مَناخه، والإحاطة بمختلف المشاكل التي كان يتخبّط فيها شعبه يكشف لنا عن أهمّ القضايا التي سال لأجلها حبره، وتألمت لها نفسيته ومشاعره، وانعكست في آثاره؛ لأنّ جوهر الأدب يكمن في أنّه "عطاء حضاريّ، يتفاعل أيضا مباشرة وباستمرار مع البيئة التي تعيش فيها فيتبناها ويقودها" [1]، كما يتفاعل أيضا مع العصر الذي يولد فيه فيسايره ويحتويه، ولذلك يعدّ الأدب انعكاسا للواقع، وصورة للحياة، وتعبيرا عنها يؤثّر فيها، ويتأثر بها.[2]

متمع بكلّ ما يُحيط به من ظروف هو الأرض التي بني فيها الأدب، ولذلك بعد الاعتناء بالشّجرة وإهمال أصلها الذي تنبت فيه ضربا من الظلال[3]، ولا نعجب إذا عندما نقرّ بأنّ أدب الإبراهيمي كان مرافقا لواقع الجزائر خاصّة أثناء الثورة التحريرية وما قبلها، فسجّل أحداثها، ونقل مآسيها، وسرد ثوراتها، ومجّد بطولاتها وصور وحشية فرنسا، وأساليبها القمعية اتجاه الشعب الجزائري وتأسيسا لكل ذلك يجدر بنا أن نقف وقفة شاملة لهذا الواقع الذي تمخّض عن أحداث ولدت عباقرة، فأنجبت آثارا لا يستهان بها في مكتبة الأدب الجزائري، ونخصّ بالذّكر في هذا الموقف "البشير الإبراهيمي"، الذي يعدّ الشّعاع الذي أضاءَ السّاحة الجزائرية، ووعّى وأرشد الشّعب الجزائريّ في أصعب فترات تاريخه؛ لأنّه عاش أغلب حياته في ظلّ الاحتلال الفرنسي.

ويجدر بنا في هذا الموقف أن نرسم صورة مختصرة لواقع الجزائر في عهد الإبراهيمي، مركّزين على فترة الاستعمار الفرنسي، باعتبارها الفترة الأكثر سوادا في حياة الجزائريين،

---

[1]– نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981، ص13.

[2]– محمد الطاهر يحياوي، أحاديث في الأدب والنقد، شركة شهاب، ط1، ص13.

[3]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، (د. ط)، الجزائر، 1983م، ص23.

وذلك في بعض مجالات الحياة؛ إذ لا يمكننا الإحاطة بظروف الجزائر في مختلف الميادين، وإبراز حياة الإبراهيميّ كاملة، لذلك سنقف على أهمّ محطّات عصره، ونرسم الصّورة في محطّات مُوجزة.

المطلب الأوّل: الوضع السّياسي في الجزائر.

الوقوف على الواقع السّياسي في فترة الاحتلال الفرنسي يوحي بمدى الظّلم الذي تعرّض له الشّعب الجزائري من طرف السّلطات الاستعمارية، فقد دخلت الجزائر حينها "مرحلة قائمة من الظلم والجبروت والوحشية، وأصبحت مرتعا لعملية تقتيل وتعذيب جماعية" [1]، ووجد الشعب الجزائري نفسه محاصرا في أرضه يواجه الموت في كلّ لحظة، فالطّيران الفرنسي كان يلقي آلاف القنابل على الصّخور، وعلى المواطنين معاً، فيحرق القرى والسّكان والأشجار[2]، ويهدّد الكبار، والصغار دون رحمة، ولا شفقة.

وفي ظلّ هذه الظروف القاسية وجد الجزائري نفسه خاضعا لسلطتين "سلطة قانونية وهي سلطة باريس وسلطة فعلية هي الجزائر"، أمّا الجزائري طمس وجوده هنا (الجزائر)، وهناك (باريس)، في باريس غائب محجور و في الجزائر محجور[3]، وأمام هذا التذمّر العام الذي كان بيديه الشّعب الجزائري، جراّء هذه السّياسة القمعيّة كان الشّعب، يعبّر عن رفضه القاطع لها باستعمال ثورات "لا يكاد الاستعمار يخمد واحدة حتى تظهر له أخرى هناك"[4]، بزعامة أبطال أدركوا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلّا بالقوّة، فانفجرت الثّورة التّحريرية التي فرضتها الأحداث، وسياسة السّلطات الاستعمارية الدنيئة، واشتدّ ظلام الجزائري يصاحبه نور الأمل في تخليص البلاد من الاستعمار، ودخل الطرفان معارك حاسمة

---

[1]– يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة تحليلية، ط1، 1987، قسنطينة، ص16.

[2]– عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982، ص09.

[3]– فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، د.ت، مطبعة فضيلة، المحمدية، المغرب، ص125.

[4]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، المرجع السابق، ص11.

فتبنت فرنسا سياسة العتاد التي كانت تحول دون أن يسمع الاحتلال الفرنسي "صرخات الوطنيين والمصلحين المدوية".[1]

وكانت فرنسا تنوّع في سياستها فتزرع الوهم في عقول الجزائريين بحبس نواياها في التكفّل بهم، وهو عكس ما تبطن تماماً لا يكاد الأمر أن يتعدى أسلوب المراوغة، قصد كسب الوقت لصالح مصالحها، والتوغّل في الاستيطان، وامتصاص غضب الجزائريين.

ومجمل القول إنّ الوضع السّياسي أثناء التواجد الفرنسي التي عاصرها الإبراهيمي كان وضعا يغلب عليه طابع الفقر، والجهل، والاضطراب في مختلف المجالات، وكلّ الأساليب التي انتهجتها السلطات الاستعمارية ما هي إلا لعبة قذرة هدفها التدمير، والتجهيل، واستغلال الجزائر والجزائريين، ومن بين هذه السّياسة المشاريع الإصلاحية التي أضحت وسيلة لضمان وفرض الهيمنة، ومن بين النتائج المترتبة حيال هذه السّياسات تفاقم الأوضاع في مختلف القطاعات.

أمام هذه الظروف القاسيّة، والأوضاع لا يمكن وصفها إلا بأبشع الصّفات، وأهم ما يميزها تراجع مستوى الفرد الجزائري في كلّ الميادين على ما كان عليه، فقد صوّر الإبراهيمي حالة المجتمع الجزائري، وتأثّر بهذه الظروف القاهرة، ونلمس ذلك في آثاره، أو في جريدة البصائر، شيء، فحارب وقاوم هذه الظروف بقلمه، ونشر الوعي وزرع الأمل في نفس الجزائري، وأحياها بالثوابت الوطنية، بإعادة تذكيره، وتنشيط ذاكرته، فكان نشيطا في مختلف المجالات، ونشاطه تمثّل في استعمال قلمه المتمثّل في لغته، وأسلوبه الخطابي والحجاجي الذي انفرد به، ونلمس ذلك من خلال مقالاته، وخطبه، ورحلاته في هذا المجال الذي أسهم في توعية الفرد الجزائري، ونهضته في وجه المستعمر؛ بفضل شخصية الإبراهيمي التي كانت بمثابة الضّوء الذي أَنار الجزائر، وهذا يعود إلى امتلاكه ناصية اللّغة، والتبحر في

[1]–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، المرجع السابق، ص296.

علومها، ووعيه الكامل، وفهم الآخر (السلطات الاستعمارية)، وهذا ما سنتطرّق إليه، ونقف على آثاره، ومُحتواها.

المطلب الثاني: الوضع الاجتماعيّ في الجزائر.

لقد كان المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي منقسما إلى عدّة فئات، تختلف كلّ فئة حسب طبيعتها الاجتماعية، ومكانتها من حيث الامتيازات، ولكن تتفق على الفئات في تكملة بعضها البعض، من حيث ممارسة نشاطاتها المتعدّدة، وكانت هذه الطبقات تختلف في مستواها المعيشي، باختلاف المدن والأرياف، ومداخيل كل مجموعة سكانية.[1]

أما بعد الاحتلال، فقد انقسم المجتمع الجزائري بفعل السياسة الفرنسية إلى قسمين هما: المجموعة الأوروبية والجالية اليهودية، والفئة الجزائرية، وتبعا لهذا التقسيم كانت الطبقة الأولى تتمتّع بحقوق وامتيازات على حساب أصحاب الأرض[2]، وذلك بدعم من السياسة الفرنسية التي كانت تمنحهم أراضي جزائرية مسلوبة عمدا من أصحابها، وتمكّنوا بمرور الزمن من فرض سيطرتهم على المصالح الحيوية، والاقتصادية في البلاد.[3]

ويؤكّد ذلك ما ورد في تقرير لجنة التّحقيق البرلمانيّة في نوفمبر على لسان أحد المستعمرين المتمرّدين الذي اعترف –بكل جرأة– قائلا: "ونهبنا الممتلكات التي وعدنا باحترامها ،كما وضعنا أيدينا على الممتلكات الخاصة من غير أن نعطي لأصحابها أي تعويض، بل لقد ذهبنا إلى أبعد من ذلك في بعض الأحيان، فأجبرنا على أصحاب الأملاك التي استحوذنا عليها على أن يدفعوا ثمن تهديم ديارهم، بل وحتى تهديم المساجد، لقد اعتدينا على حرمات المساجد والمقابر والمنازل والأماكن المقدسة عند المسلمين، لقد

---

(1)– صلاح العقاد، المغرب العربي، المكنية الأنجلو مصرية، ط3، 1969، ص1960-1961.

(2)– فايد بشير، قضايا العرب المسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، جامعة مستوري، قسنطينة، (2009- 2010)، ص54.

(3)– عبد الكريم بوصفصاف، الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى (1996-1997)، ص62- 63.

قتلنا رجالا يحملون رخص المرور التي أعطيناها لهم، كما أننا ذبحنا كثيرا من الجزائريين لشبهة عارضة، لقد أبدنا قبائل بأكملها تبين فيما بعد أنها بريئة..."[1]، إنّ هذا الاعتراف الخطير يوضّح غطرسة فرنسا، وهمجيتها في التّعامل مع السّكان الأصليين للجزائر والمجتمع مهما بلغ عمره، كما يصوّر الحالة السيئة التي كان عليها قبل تفجير الثّورة، فقد ضيّقت السّلطات الاستعمارية الخناق على الشّعب الجزائري، وخاصّة في الأرياف بتجريدهم من أراضيهم، وإثقال كواهلهم بالضّرائب وتعجيزهم اقتصاديا بكلّ الوسائل، إضافة إلى جميع محاولات تغريب اللسان العربي، والتغريب الثقافي قصد القضاء على كيان، وشخصية، ومكونّات المجتمع الجزائري، كما فرض التّجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، وإرغام الجزائريين على ذلك التّفكيك يشمل المجتمع الجزائري نتيجة الهجرة الجماعية الواسعة.[2]

وتوالت سياسة التّشريد من طرف السلطات الاستعماريّة لتشمل جميع أطياف المجتمع، بداية من الريف كتفقير السّكان، وتجهيلهم ونفيهم إلى الجبال، حتى تحوّل الفلاحون إلى بؤساء ومشرّدين[3]، فانتشر الفقر والجوع والخوف، والحرمان، والأمية، والموت، والمجاعة بين أوساط المجتمع الجزائري بشكل لافت للنّظر، وهذا الوضع المؤلم والقاسي لم يختلف عن أحداث الثامن من ماي خمسة وأربعون تسع مائة وألف، والذي ارتكبت فيها مجازر فاقت في وحشيتها وهمجيتها كلّ التوقعات والتصوّرات ضدّ أبرياء عزل، خرجوا بكل سلمية إلى الشوارع، مذكّرين فرنسا بوعودها، فكافأتهم بقتل أكثر من 45 ألف جزائري رجالا ونساء، وبإحراق الديار، وانتهاك الحقوق الإنسانية.[4]

فكانت الحياة الاجتماعية في هذه الحقبة تتّسم بالاضطراب، والهيجان والهلع، والخوف ممزوجة بالأمل في استرجاع الحقوق، وأصبح الفرد الجزائري يبحث عن ملاذ

---

[1]– مجلة المقاومة الجزائرية، العدد 18، 1957م، ص04.

[2]–مجلة المقاومة الجزائرية، ص57.

[3]–فايد بشير، قضايا العرب المسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص56.

[4]–المرجع نفسه، ص57.

للهروب من هذا الوضع الكارثي والمزري نحو الأقطار العربية والإسلامية، وحتى نحو أوروبا، فلم يسلموا من لعنة فرنسا، فقد طاردتهم حتى في هجرتهم، فالمهاجرون الذين دفعهم الفقر، والظلم، والاضطهاد إلى البحث عن مصادرَ الرزق خارج الوطن بعد ما جرّدهم الاستعمار من أرزاقهم، واستولى عليها، وتعرّضوا للظلم في فرنسا خاصة.[1]

أما وضع المرأة فكان مأساويا في مختلف المجالات السياسية، والثقافية، والاجتماعية تأثّرا بالوضع العام للبلاد، الذي تسبّبت فيه السياسة الفرنسية، حيث يندر وجود المرأة المثقفة، وهذا الحرمان يشمل حتى الرجل نفسه وتأثّره بالسياسة الاستعمارية[2]، وقد تطرّق الإبراهيمي إلى موضوعات اجتماعية، وخصّص للمرأة نصيبا منها نظرا للدور الذي يلعبه في المجتمع وسال حبره، واهتمّ بالبحث عن الحلول من خلال المشاكل التي اعترضت المجتمع الجزائري عامة، والمرأة خاصة التي أعدّها مهمّة مثلها مثل القضايا الأخرى، وهذا ما نلمسه في كتاباته، وآثاره.

المطلب الثالث: الوضع الثقافي في الجزائر.

يجمع الباحثون والمؤرخون الذين عالجوا الفترة الاستعمارية في الجزائر على أنّ "الثقافة العربية كانت مزدهرة نسبيا، وأن معظم السكان الجزائريين في فترة الاحتلال كانوا يتقنون القراءة، والكتابة، والحساب وأنّ عدد المدارس كان يفوق ألفي مدرسة"[3]، منتشرة في الأرياف والمدن على حدّ سواء، أما بعد الاحتلال الفرنسي في الجزائر تغيّرت الأوضاع نتيجة السّياسة التي اتبعتها السلطات الاستعمارية، ومحاولتها لطمس اللغة الوطنية، واعتماد التجهيل، والفرنسة، والإدماج، والتّغريب[4]، فقد فرض المستعمر لغته منذ الاحتلال

---

(1)– جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية، ص52.

(2)– أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى، د، ط، 2010، ص64.

(3)– فرحات عباس، ليل الاستعمار، مرجع سبق ذكره، ص60.

(4)– رابحي تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1913-1956)، (د، ط)، الجزائر 1981م، ص104.

متجاهلا اللغة العربية، بل اعتبرها لغة أجنبية في عقر دارها[1]، واتّخذت فرنسا لأجل ذلك إجراءات سياسية، فحرمت المراكز الثقافية من مواردها المالية المخصصة، واستولت على بنايات التدريس، وفرضت لغتها في ميدان التعليم والقضاء[2]، وأصبح فتح المدارس في نظرها "أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر".[3]

إنّ هذا الإصرار والرّغبة الشديدة في محو وطمس الثقافة العربية الإسلامية تنبع عن وعي، وإدراك كامل بأنّ هذه الثقافة هي العائق الرئيسي، الذي يمكن أن يتصدّى لسياستها القمعية، والاستغلالية، والمشوّهة والماسخة[4]، ولذلك من الضروري طمسها، والقضاء ليها مهما كان الثمن، فهي تهدف إلى إحداث تحوّل جذري في الفكر القومي، فعملت على قطع صلة الشعب الجزائري بثقافته، وتاريخه، وربطها في الآن ذاته باللغة والفكر الفرنسيين.[5]، فشرعت في سنّ القوانين والقرارات لتحقّق هذا الطّمس على أرض الواقع، وامتدّت حتى سجّل كل من يحاول أن ينشأ مدرسة للتعليم مع المجرمين واللّصوص "فلقد شهدت الجزائر مناظرَ مخجلة يساق فيها معلمو اللغة العربية في موكب اللصوص، والقتلة، والمجرمين لمحاكمتهم على صعيد واحد"[6]، وقد تيقنت فرنسا بأن بعث الشخصية الجزائرية وارتباطها بتاريخها، ولغتها، ودينها يسفك كلّ قيودها، ويفتح لها آفاقا واسعة عبر مجالات الحياة، ويصاحب هذا الانفتاح تأثيرات عديدة خاصّة في الجانب السياسي، وهو الأمر الذي أدركته الإدارة الفرنسية منذ بداية الاحتلال، ممّا دفعها إلى محاربة اللغة العربية، وطمس

---

(1)– أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص33.

(2)– المرجع نفسه، ص33.

(3)– الفضيل الورثيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين ميلة الجزائر، (د، ط)، 1992م، ص90.

(4)– أحمد محساس، التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، مجلة الثقافة، الجزائر، 1985م، ع85، ص57.

(5)– أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص33.

(6)–الفضيل الورثيلاني، الجزائر الثائرة ، المرجع السابق، ص90.

معالمها[1]، وقد خطّطت لكل ذلك ففتحت مدارسَ بالتعليم باللغة الفرنسية؛ من أجل خلق نخبة مثقفة، متأثرة بالسياسة، والفكر الفرنسي، تجعل منها أداة لهدم مقوّمات الشخصية الجزائرية.[2]

وفي الوقت الذي يسعى الاحتلال للقضاء على اللغة العربية،وتهميشها، وعدّها لغة أجنبية ثانية في عقر دارها، شجّع على تعلم الفرنسية، وكان الهدف من ذلك إيجاد وإنشاء فئة من الجزائريين تتقن لغته، وتتشبّع بآدابه وتحمل معه لواء الدعوة إلى الفرنسية، والتعلق بحضارة المستعمر[3]، أما عن الظّروف التي كانت محيطة بالتعليم والمعلمين، فكانت غير مناسبة نتيجة تراجع الوضع الاجتماعي، والذي انعكس على مختلف مناحي الحياة خاصة في الأرياف، واستمرّ المستعمر في نشر، وبثّ سمومه، ووقف سدّاً منيعا ضد التعليم العربي الحر، فاستولى على المكتبات، ونهب مخطوطاتها، وكتبها وأحرق معظم آثارها[4]، وامتدّت يداه إلى كل ما له علاقة وصلة بالوضع الثقافي، ودخل في صراع مع النخبة، وعلماء الإصلاح، فسعى المحتل إلى القضاء على حركات التعليم الحر، التي شرعت في إنشاء، وفتح مدارس حرّة، ونشر التوعية بضرورة التثقف، والخروج من دائرة الجهل، غير أن هذه المدارس لم تحقّق إلا القليل نظراً للظروف المحيطة به، والسياسة الفرنسية التي حاصرتها، ونقص التمويل المالي ومحاولة الإدارة الفرنسية طمس كلّ الجهود، وكلّ المحاولات لإنقاذ الأبناء من الجهل.[5]

أمّا عن الصّحافة الجزائرية فقد ظهرت باللغة العربية في مطلع القرن العشرين، ولكنّها ظلّت تحت رقابة المحتلّ الفرنسيّ، واستهدفها في مضمونها واتّجاهاتها، وتعرّضت للضّغط،

---

(1)–أحمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري، المرجع السابق، ص33.

(2)–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، المرجع السابق، ص198.

(3)– يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، المرجع السابق، ص32.

(4)– رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص94.

(5)– البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص225.

والتوقيف، والمُصادرة، "فما أن تصدر أعداد قليلة من صحيفة عربية لا تتملق الاستعمار، ولا تبارك مساعيه، حتى لا يلاحقها، ويضيق عليها الخناق، ثم لا تلبث—نتيجة تمرّدها وتحدّيها- أن تخر شهيدة بفعل قرار التّعطيل".[1]

من خلال ما سبق يمكن القول إنّ الوضع الثّقافي في عصر الإبراهيمي كان مُنتكسا، ومتأثّرا بكلّ السّلبيات التي خلّفها المحتلّ الفرنسيّ، فقد كادت الحياة الثقافية أن تنعدمَ بسبب السّياسة الفرنسيّة اتّجاه الثقافة العربيّة، والدّين الإسلاميّ، ومن نِتاج ذلك قلّة الإنتاج الفكري الذي كان مُحاصرا ومحاطا بسلسلة من القيود والقرارات، التي فرضت على المثقفين، إلّا أنّ الإبراهيمي ومن نهج نهجه من العلماء أدركوا القيمة الثقافية، ودورها الفعّال في رفع غياهب الجهل وتنوير العقول، وتحقيق النهضة في مختلف المجالات —نذكر في مقدّمتهم ابن باديس- فلم يسمحوا بهذا الوضع الكارثي والمزري، بل واجهوا السّياسات الفرنسية؛ من أجل إحياء الانتماء الوطني والقومي للفرد الجزائري بالقلم، كما جاهدوا في سبيل الحفاظ على المقوّمات، والمكوّنات الشخصية الجزائرية وهذا ما سنبيّنه من خلال الآثار التي تركها الإبراهيمي كنموذج وشخصية إصلاحية عاصرت التواجد الاستعماري وواجهته بالقلم، واللّغة، وقوّة الشّخصية.

[1]—يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ص33.

المبحث الثاني: التكوين الشخصي والعلمي للبشير الإبراهيمي.

المطلب الأول: مولده ونشأته.

ولد محّد البشير بن محمّد السّعدي بن عمر بن محمّد السّعدي بن عبد الله عمر الإبراهيمي في الرّابع من شوال في العام 1306 الهجري، الموافق للرابع عشر من جوان 1889م[1]، بقرية أولاد إبراهيم الواقعة في سفوح الأطلس التلي بالجزائر تابعة لولاية برج بوعريريج.[2]

ويتحدّث عن نشأته قائلا: نشأت على ما نشأ عليه أبناء البيوتات العلمية الريفية من طرائفَ الحياة وهي تقوم دائما على البساطة في المعيشة، والطّهارة في السّلوك، والمنانة في الأخلاق، حيث قام على تربيتي وتعليمي من يوم درجت عمي شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد مكّي الإبراهيمي عالم إقليمنا، المعروف بوطن ربغة، وفريد عصره في اتفاق علوم اللّسان العربيّ، لم أفارق في تعليمي في بيت أسرتي، فهي مدرستي التي تعلّمت، حيث أخذني عمي بالتربية والتعليم، فكان لا يخليني دقيقة واحدة من فائدة علمية، وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات، حتى لا أمل، مات عمي سنة 1903م، ولي أربعة عشر سنة، ولقد ختمت عليه دراسة بعض الكتب وهو على فراش المرض للذي مات فيه، وأجازني الإجازة المعروفة، وأمرني بأن أخلفه في التّدريس.[3]

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف، رواد النهضة والتجديد في الجزائر، (1889م-1965م)، دار الهدى، عين ميلة، 2007، ص68.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص164.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، دار الأمة، بيروت، 2007م، ص96.

المطلب الثاني: تعليمه ورحلاته.

حفظ الإبراهيمي القرآن الكريم وهو صغير، كما حفظ ألفية ابن مالك، وكذلك أتقن بعض العلوم الدينية حتى بلغ سن الرابعة عشر من عمره، ولما توفي قام بتدريس العلوم التي أجازه فيها، ثم لحق الإبراهيمي بوالده الذي سبقه إلى المدينة المنورة، ومرّ في طريقه بمصرَ التي أقام بها ثلاثة أشهر، التقى خلالها بعدد من علمائها وأدباءها وشعرائها، وحضر بعض دروس العلم في الأزهر، كدروس الشيخ رشيد رضا، والتقى بالشّاعرين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي.[1]

وعندما استقرّ بالمدينة المنورة درس فيها على كبار علمائها الوافدين من كلّ أنحاء العالم الإسلامي علوم التفسير والحديث، والفقه، والتّراجم، وأنساب العرب ودواوينهم، كما درس علم المنطق، والحكمة المشرقية، وأمّهات كتب اللغة والأدب، ثمّ أصبح الدروس للطلبة في الحرم النبوي.[2]

وبقي الإبراهيمي في المدينة المنورة ستّ سنوات، وهناك التقى برفيق الدرب عبد الحميد بن باديس وتكوّنت بينهما رابطة المودة.[3]

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى انتقل الإبراهيمي إلى دمشق، حيث دعته حكومتها لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية، وهي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك، بالإضافة

---

[1]– نبيل بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة العامة للكتاب، 1990م، ص121.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، المرجع السابق، ص09.

[3]– تركي رابح عمارة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، للمؤسسة الوطنية للتسيير الجزائر، 2001، ص170.

إلى إلقاء دروس الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي.[1]، وقد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة.[2]

وفي سنة 1902م عاد الإبراهيمي إلى أرض الجزائر، فوجد عمل صديقه عبد الحميد بن باديس قد بدأ يُؤتى أكله، حيث شكّل معه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931م، وهو الميلاد الفعلي لمشروع النهضة الذي طالما راود المصلحون الجزائريون، ولقد اختصّ ابن باديس بالإشراف على منطقة الشّرق، بينما تولّى الإبراهيمي الإشراف على المنطقة الغربية من الوطن، حيث اتّخذ مدينة تلمسان مركزا لنشاطه، وأّسس فيها مدرسة الحديث سنة 1937م.

وبعد مضي ثلاث سنوات أو أقل جاءت سنة 1940م معلنة عن وفاة رائد الإصلاح في الجزائر عبد الحميد بن باديس، وتلقى البشير الإبراهيمي الخبر بعد أسبوع من نفيه، فلم يثنيه النفي عن تحمّله رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3] وتمّ انتخابه غيابيّا.

وبعد إطلاق سراحه في 1943م أصبح الإبراهيمي قائدا للحركة الدينية، والعلمية، والثقافية في الجزائر، كما أنه تعرّض للسّجن مرة أخرى بعد أحداث 08 ماي 1945م، ولكنّه لم يفرج عنه إلا بعد صدور العفو العام في 09 مارس 1946م، ورغم كل ذلك زوال نشاطه حيث بعث جريدة البصائر من جديد بعد أن تمّ توقيفها خلال الحرب.[4]

---

[1]– بوبكر صديقي، البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية علماء المسلمين الجزائرية، دراسة من خلال جريدة البصائر، ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011م، ص25.

[2]– أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، ص227.

[3]– البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج1، ص11-13.

[4]– المرجع نفسه، ص13-14.

رحلته الثّانية إلى المشرق:

سافر الإبراهيمي مرة ثانية إلى المشرق في عام 1952م في رحلة منظمة البرنامج واضحة المقصد.[1]

حيث أقام في القاهرة التي اتخذها مركزا لنشاطه السياسي والعلمي أسبوعا ثم سافر إلى باكستان، كان اختيار الإبراهيمي لباكستان كنقطة انطلاق لرحلته هذه، هو اتّساع صدرها لعلماء المسلمين، والكتاب والمفكرين، وأيضا اهتمامها بإقامة المؤتمرات العامة التي للشؤون الإسلامية فيها، وأيضا لاحتضانها لقضايا الشعوب الإسلامية السّياسية.[2]

وقد تمكّن أثناء تواجده هناك بإلقاء عدّة محاضرات، وخطب كلها كانت عبارة عن وصف لداء المسلمين ودوائهم، ثم رحل إلى العراق، وتركيا، وإيران وذهب للحجاز لأداء فريضة الحج خلال السنة نفسها، ثمّ رجع إلى القاهرة في تلك السنة، ثم تردّد منها على العراق، والحجاز، وسوريا والأردن، والقدس مرات عديدة، وألقى في جمعيها كثيرا من المحاضرات.[3]، وكان المقصد من هذه الرّحلات هو:

- التعريف بالقضية الوطنية في المحافل الأدبية، والدولية.
- طلب المساعدات المادية والمعنوية للجمعية؛ من أجل استمرار عملها التعليمي الإصلاحي.
- طلب الإعانة من الحُكومات العربية؛ من أجل استقبال الطلبة الجزائرية خصوصا خريجي الجمعية.
- دحض الدعايات الفرنسية، والقضاء على سياستها التي استمرّت في تظليل الرأي العام، باعتبار الجزائر قضيّة فرنسية.

---

(1)– محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المرجع السابق، ص103.

(2)– المرجع نفسه، ج4، ص33.

(3)–المرجع نفسه، ج4، ص33.

"امتدّت إقامة الإبراهيمي بالقاهرة، وشرع في الاتصال بمختلف الهيئات، والمنظّمات، والشخصيات العربية الإسلامية في القاهرة، وبغداد، ودمشق، والكويت، وتساعده ذلك مختلف المؤتمرات العامة، والصحفية، التي كان يلقي كثيرا منها في المركز العام الإخوان المسلمين، وكان بيته في القاهرة ملتقى العلماء، والأدباء، وطلبة العلم"ولما أعلنت استقلال الجزائر عاد البشير الإبراهيمي إلى الجزائر، وخطب أوّل خطبة صلاة الجمعةفي مسجد (كتشاوة).[1]

❖ **المكانة العلمية والأدبية للإبراهيمي:**

للإبراهيمي منزلة علمية وثقافية بشخصيته المنفردة والمتميّزة ترتقي إلى أن تكون نموذجا يقتدى بها للمثقف العربيّ في القرن العشرين، فهي شخصية متنوّعة المشارب تشمل ملامح الكاتب الحرفي في التّدبير، والفيلسوف المفكّر له نظرة ثاقبة، والأديب الحقّ، والخطيب المصفع، الشاعر الفنان، والمصلح الاجتماعي المفسّر المشرّع.

استمدّ الإبراهيمي ثقافته من ينابيع التراث العربي عبر عصوره المختلفة،قرأ دواوين الشّعر لشعراء الجاهلية والإسلام، وخطّ فنون النثر من خطب، ومقامات، وحكم، وأمثال[2]، وامتاز بقوّة الحفظ، وقوّة الذاكرة، وسرعة الاستيعاب، وحدّة الذّكاء.[3]

طوّعت له الثقافة وعلمه مدارك أسرار القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعلوم التشريع لإسلامي، سبر أغوار اللغة العربية، فانقادت له، فتجدر فيها ودرس بها، وألّف فيها، وعالج فنونها اللغوية، ومعضلاتها النحوية، في نحوها وفقهها وصرفها، علاوة على ما أوتي فيها من قوة البيان، وبلاغة المعنى في أسلوب رائق، وأنيق، وجذاب، فساعد ذلك على خوض معركة الدفاع عن العربية، ودمغ مناوشات أعدائها.

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج4، ص52.

[2]– أحمد توفيق المدني، كلمة الأستاذ أحمد توفيق، مجلة اللغة العربية القاهرة 1388هـ-1969م، ج24، ص231-232.

[3]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجماعية، دار الفجر وهران، ص65.

كان يحيط إحاطة شاملة بعلم التاريخ العام، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، ولهجات المواطنين، وأخلاقهم فيعطي كلا ما يناسبه، ويخاطب الناس بقدر ما يفهمون.[1]

وكانت ثقافته ممزوجة بأخلاق نبيلة تسعفه على مخالطة سائر فئات الشعب، فيشاركهم في فرحهم وقرحهم بكل تواضع وحلم، صاحب منهج شوري، يثني أمام الحقّ، ويلتزم الشجاعة الأدبية، فلا يخشى لومة أحد في نصرة الحق بحجج قوية، وطرق تربوية، قال عنه أحد تلامذته: "من عجيب أمر الشيخ أنّه إذا تكلم، أو احتجّ، أو خطب ألهب النفوس حماسته، وجعل القلوب تشرئب إليه للاستماع بفصاحة لسانه، وسحر بيانه، يدخل المجلس كزهرة ذابلة، فإذا هو بعيد الأخذ بناصية الكلام أشبه بشيء بكوكب دري...".[2]

وهو بذلك يعدّ ظاهرة ثقافية قد تجاوز المتعارف المؤلف عنه المثقفين قديما وحديثا[3]،وليس في هذا الحكم غريبا عند كل من عرف الإبراهيمي من تلاميذه، ورفاقه فقد كان عباس محمود العقاد يعتزّ به كثيرا، وهو زميله بالمجمع العلمي بالقاهرة، ويدعوه "أستاذنا" اعترافا منه بفضله في اللّغة العربية وبيانه المشرق.[4]

---

[1]– محمد فضلاء، الإمام الرائد الشيخ البشير الإبراهيمي.

[2]– جميل طيبا، فر ذكرى الإبراهيمي، مجلة الثقافة، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، ع.8.9، سلسلة 2 (1392، 1972م)، ص102.

[3]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، المرجع السابق، ص66، ينظر: العربي سعدوني، (العمل الكبير البشير الإبراهيمي في الذكرى الأولى لوفاته)، مجلة القبس، الجزائر، ع3، 1386، ص04.

[4]– البشير الإبراهيمي أديبا، المرجع السابق، ص66.

المطلب الثالث: مؤلّفاتـه ووفاته.

أ–مؤلّفاتـه:

عـاش الإبراهيمـي حياتـه يحمـل هـمّ الجزائـر، ومـا تعانيـه مـن ظلـم الاحـتلال الفرنسـي المستبدّ، أينمـا حـل وارتحـل، ووجـد أنّـه السّـبيل الأمثـل للتحـرّر مـن الاحـتلال المـاكر، وطـرده مـن الـبلاد، وكـان شـغله الشـاغل هـو إعـداد الرجـال القـادرين علـى حفـظ الهويـة العربيـة الإسـلامية، الـتي بـذلت فرنسـا كـلّ جهـدها لمحوهـا، وسـعت ولا تـزال تسـعى مسـخها، فكـان الإبراهيمـي يعمـل لـيلا ونهـارا في ملاحقـة الاحـتلال، الـذي اسـتعبد شـعبه، وسـلب حرّيتـه، وصـادر حقوقـه، ويفضـح خططـه الرّاميـة لجعلهـا فرنسـية قلبـا وقالبـا، ونظـرا لهـذا الجهـد الكبـير، لم يشـبع وقتـه للتـأليف والكتابـة فكـان يواسـي نفسـه بأنـه ألّـف للشـعب رجـالا يحملـون فكـرا سـليما، ويفهمـون الـدّين فهمـا صـحيحا، ويتّصـفون بـالعزّة والشّـجاعة والإبـاء، يـدافعون عـن شـعبهم ويسـعون لمـا مـا أتـوا مـن قـوة؛ لتحريـره مـن الاحـتلال، واسـترجاع حقوقـه المهضـومة، وهـذه الأفعـال الجليلـة تقـرّب صـاحبها مـن رضـى ربـه، ورضـى شـعبه، ومـع انشـغالاته الكثـيرة، فقـد أثرى المكتبة بموضوعات مفيدة، وكتب قيمة ومن أهم تلك الأعمال:[1]

- أسرار الضمائر العربية.
- الأضداد، والشّذوذ في العربية.
- النقابـات والنفايـات في لغـة العـرب: وهـو أثـر لغـوي يجمـع كـل مـا هـو علـى وزن فعالـة مـن مأثور الشيء ومرذوله.
- التّسمية بالمصدر.
- حكمة مشروعية الزكاة.

[1]– آثار البشير الإبراهيمي، ج5، 166، ينظر محمد المهداوي، البشير الإبراهيمي، دار الفكر، دمشق، ط1 (1988م)، ص64-68، ينظر: منور الأذهان وفارس البيان، الإمام البشير الإبراهيمي منور الأذهان وفارس البيان، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار، الجزائر، تاريخ الانعقاد: 01-06-2009، ص14-15 .

- رواية "كاهنة أوراس".
- شهب الإيمان (في الفضائل، والأخلاق الإسلامية).
- الصّفات التي جاءت على "وزن فُعل".
- عيون البصائر، (وهي مجموعة مقالاته التي نشرت في جريدة البصائر).
- فتاوى متناثرة.
- الملحمة الزجرية في التاريخ.

وقد طبعت مجموعة من مؤلّفات "البشير الإبراهيمي" في خمسة مجلّدات، تحت عنوان "آثار الإمام البشير الإبراهيمي".

ب–وفاته:

توفي الشيخ البشير الإبراهيمي ظهر يوم الخميس التاسع عشر ماي 1965م، عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاما، وقد صلّى على جثمانه في المسجد الكبير وسط حضور جماهيري كبير، تقديرا لمنزلته الدينية والأدبية[1]، بمقبرة "سيدي محمد" بالعاصمة، يوم الجمعة العشرين ماي 1965م.[2]

وقد رثاه رفيق دربه الشاعر محمد العيد آل خليفة الذي يعد من أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ألقاها حول قبره لست أنسى، وهذا مطلعها:

أي خطب هز البلاد عويلا ** ودهاها فما تفيق ذهولا**
أيرزد أحببنا منه ما كاد ** يدك الجبال دكا مهولا؟**
أي قصف طوى البلاغة ** والمجد والكفل طويلا؟**
أي هويل تشيب منه النواصب ** يوم شاد الإبراهيمي عنا**
يوم شاء البشير أن يترك الدنيا ** ويمضي لربه مستغيلا؟**

---

[1]– الطاهر فضلاء، الإمام الرائد الشيخ البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر د–ط، 1967، ص65.

[2]– محمد الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، المرجع السابق، ص62.

ومن الطبيعي أن تنشر وفاة الإبراهيمي الحزن والأسى في الجزائر، وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية ففي الجزائر اعتبر محمد الطاهر فضلاء[1] تلميذ الإبراهيمي، وفاة أستاذه مصيبة عظيمة أصابت المسلمين، نظرا إلى منزلته، ومكانته الدينية، والأدبية، واللغوية.

وبهذا بوفاته تكون آخر محطّة من محطات الإبراهيمي الحافلة والمعمورة بسبل من الإنجازات، وفي مقدّمتها نضاله، ومقاومته للاستعمار الفرنسي، منتهجا في ذلك سياسة الإصلاح، والتّغيير، والدّعوة إلى الله محاربة الطرقية فكانت القيّم الإنسانية حاضرة في شخصيته، وأقواله، وأفعاله، فهو علم من أعلام الجزائر المعاصرة الذي خلدوا أسماؤهم بأحرف من ذهب.

[1]—الطاهر فضلاء، المرجع السابق، ص65- 118.

المبحث الثالث: الأسلوبيّة من حيث الماهية والأنواع.

المطلب الأول: ماهية الأسلوب.

أحدثت لسانيات"فردينان دي سوسير"*Ferdinand de saussure* في مطلع القرن العشرين نقلة نوعية وثورة في مجالات شتّى، وقد نتج عن ذلك تغيرات في الظاهرة الأدبي،ة وظهور مذهب، ومنهج جديد أطلق عليه "علم الأسلوب *Stylistique*"، أو "الأسلوبيات"، أو "الأسلوبية"، فمنذ خمسينات هذا القرن أضحى مصطلح الأسلوبية منهجا تحليليا للأعمال الأدبية، وشاع اقتراح استبدال "الذاتية"، و "الانطباعية" في النقد التقليدي بتحليل "موضوعي"، أو "علمي" للأسلوب في النصوص الأدبية.[1]

والأسلوبية بحسب "عبد السلام المسدي" كلمة أصلها فرنسي "*Stylistique*" الحامل للثنائية الأصولية التالية: الجذر أسلوب "*Style*" وهو ذو دلالة إنسانية، واللاحقة "يه" ذو دلالة علمانية، لأن تفكيك الوحدتين إلى مدلوليتهما يحيلنا إلى عبارة علم الأسلوب "*Science style*".[2]

ونظرا لذيوع هذا المصطلح، وانتشاره وقع عليه الاختيار دون غيره، بالرّغم من تعدّد الترجمات واختلافها، إلا أنّه نستطيع القول إنّ الأسلوبية تتطرّق، وتستهدف دراسة الأسلوب الأدبي دراسة علمية ممنهجة، كما تهدف إلى تخليص النص من الأحكام الذّوقية والمعيارية، بهدف إضفاء الصّيغة العلمية للظّاهرة الأدبية، والنزوع بالأحكام النقدية –قدر المستطاع– عن الانطباعات غير المعلّلة، كما أنّها تكشف عن القيّم الجمالية بعد تفكيك الظّواهر اللغوية والبلاغية للنص، لذلك تعرف الأسلوبية منهج البحثي عن الأسس

---

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد السعد فرهود، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992م، ص11.

[2]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1982م، ط2، ص33-34.

الموضوعية إرساء علم الأسلوب[1]، ويعرفها "شال باليCharlsbally": بأنّها تعنى بدراسة العاطفي والوجداني في الظاهرة اللغوية، ويقوم باستقصاء الكثافة الشّعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي.[2]

ومنه نخلص إلى أنّ الأسلوب عنده مجموع من العناصر اللّغوية، المؤثّرة عاطفيا على المتلقي، ومهمّة الأسلوبية هو دراسة وقع التّعبير في اللغة المنظمة من حيث محتواها العاطفي الانفعالي؛ أي التّعبير عن جملة من الأحاسيس بواسطة اللغة، وفعل وأثر اللغة في الإحساس.[3]

أمّا "رومان جاكبسونRoman jakobson" فقد عرّفها بقوله: "الأسلوبية بحث عما يتميّز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب أولا، ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا".[4]

من خلال هذا التعريف نستنتج أنّ النّص الذي يتمتّع بخصوبة فنية هو الأنسب لتطبيقات الأسلوبية، وهو ميدان حركيتها وفاعليتها، ففي نظر "نور الدين السدّ" أنّ الأسلوبية تستهدف: "دراسة النص كظاهرة لغوية وكنظام إشاري يتضمّن أبعادا دلالية، هي لا تدرس جانبا فيه دون آخر، وإنّما تهتّم بكلّ مكوّنات النص من أصغر وحدة لغوية فيه إلى أكبر وحدة، مع ضرورة إدراك الأبعاد الدلالية التي يتضمّنها السياق المنزاح عن مرجعيته اللّسانية".[5]

---

[1]– ينظر: حمادي صمود، المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية، د،ط، تونس، 1981م، ص230.

[2]– ينظر: *Charls bally, traite de stylistiqueFrançaise, paris, 1951, p16.*

[3]– ينظر: سليمان العطار، الأسلوبية علم تاريخ، مجلة فصول، مناهج النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة، ع2، مج:1، 1981م، ص133، ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الروق، ط1، القاهرة، 1998م، ص97-98.

[4]–*Roman jakobson, éssais de lingustique générale, ed: minuit, tomel, paris, 1968, p21.*

[5]– نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة للطباعة والنشر، (د. ط)، (د. ت)، ج1، ص18.

ومن هنا كانت "لغة النص دائرة مغلقة، يبقى على الباحث الأسلوبي أن يحلّلها"[1]، وذلك لإبراز وإظهار المعالم، والملامح الجمالية للنسق اللغوي، والوقوف عند العناصر التي التفت، وانزاحت، وانحرفت عن المألوف؛ لأنها تزيد من جمالية النص بكل وضوح[2]، ومنه نستطيع إظهار القيمة الشّعورية، وكثافتها التي تستقطب وتستهوي المتلقي، فيقبل على العمل الإبداعي إقبالَ المولع بظواهره الجمالية، ومستسقي منه منهج التّوظيف اللّغوي، وكذا المنهل، وحضور المتعة الأدبية أثناء القراءة.

إنّ هذا المعنى الدلالي ساق "عدنان بن ذريل" إلى القول: "إنّ الأسلوبية علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي، أو الأدبي خصائصه، ووظائفه النثرية والشعرية، فيتفرّد عن غيره وتتعدّى مهمّة التّحديد إلى دراسة الظاهرة بمنظور علمي لغوي، ويعدّ الأسلوب ظاهرة لغوية في الأصل تدرس ضمن النصوص"، ويمثل هذا من أهم دعائم وركائز الأسلوبية، لانبثاقها من مقولة النقد المعاصرة التي تدعو إلى الاهتمام والعناية ببنية النص الأدبي، لذلك تمّ تسميتها بهذا الاسم، وتحويرها في هذا الاتجاه.

يتّضح ممّا سبق أنّ قيمة المنهج الأسلوبي وأهميته تتجلى في استظهار، واستكشاف العلاقات اللغوية القائمة في محاولة معرفة العلاقة بينها، وبين شخصية الكاتب، الذي شكّل مادته اللغوية ويوظفّها وفق مشاعره وأحاسيسه التي تكون دافعا له نحو أساليب معينة، فيوظّف ويستخدم صيغا لغوية تشكّل في مجملها ظواهرَ أسلوبية لها وزنها، ودلالتها في النص الأدبي، وقد اعتمدت الأسلوبية باعتبارها نظرية في الأسلوب في بداية ظهورها على يد "فون فابلنتر" سنة 1875م على مقولة بيفون*Buffon* القائلة: "الأسلوب هو الرجل، وتنطلق من فكرة العدول"، وحاول جول ماروزو *Gules-marouzeau* توجيه الدّراسات

---

[1]– محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1980م، ص36-38.

[2]– رنيه ويليك، وواسطن وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981م، ص186.

الأسلوبية إلى الاعتناء والاهتمام بالجانب الأدبي، والحدث الجمالي، حين اعتبر أنّ الأسلوبيات وجب أن تدرس الشكل العام، وإنتاج وجودة المنتجين عن الاختيار بين الوسائل التي تطلبها اللّغة، وتوفّرها للمتكلمين[1]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لقد أعدّها المنهج السليم للكشف عن اللغة، ونادى بشرعية الأسلوبية، وقعد لها مقوّمات، وأدوات، وذهب مع هذا الرأي ثلة من اللّغويين مثل جاكبسون ومشيالريفاتير، وستيفن أولمان، وغيرهم من الباحثين.

كما وفي السّياق نفسه حاول بيارجيرو *Pierreguirau* إبراز علاقة الأسلوبية بالبعد اللّساني وتأكيدها لظاهرة الأسلوب؛ لأنّ الأثر الأدبي لا يمكن الوصول إليه في ظلّ وجود صياغاته الأسلوبية[2]، وانتشار المد الأسلوبي وتنامي و بزوغ عدّة اتجاهات فيها، لقد علمت هذه الأخيرة على توجيه وتحديد أهمّ، وأبرز مقولاتها،وإجراءاتها، ونذكر من بين هذه الاتّجاهات:

المطلب الثاني: أنواع الأسلوبية

أولا: الاتّجاه الجماعيّ الوصفيّ.

1- الأسلوبية التعبيريّة (*stylistique de L'expression*): أوّل من قام بإبراز هذه النظرية العالم اللغوي السويسري شارل بالي، فارتبط هذا المصطلح باسمه، حيث أقدم على دراسة المحتوى العاطفي للغة، وذلك بدراسة القيّم الشّعورية التي احتواها الكلام، حيث بعد اللغة أن الفكرة لا يمكن أن يعبّر عنها إلّا في ظّل موقف شعوري وجداني، سواء كان مصدرها المتلقي أو المتكلم؛ أي أن الفكرة عندما تفتقر للوسائل اللغوية فلا ضير أنّها تمر

[1]– سليمان العطار، المرجع السابق، ص135.

[2]– نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، د ط، ج1، ص15.

بموقف وجداني شعوري –لا محالة– على النحو الترجي، الأمر، الأمل ... وغير ذلك[1]، وقد بيّن شارل بالي هذا الأمر بقوله: "إنّ علم الأسلوب لا يدرس قسما من اللغة، بل اللغة بأكملها منظورا إليها من زاوية خاصة، فالمضمون الوجداني للغة، هو يوجه ويؤلف موضوع الأسلوبية، وهو الأحق والأجدر بالدّراسة، عبر مفردات اللغة وتراكيبها".[2]

من خلال ما سبق نجد أنّ هناك من الآثار، الّتي تبيّن الأساس الوجداني لأسلوب المتكلم، يتعلّق الأمر بالآثار الطّبيعية، والآثار الاجتماعية.

أ– الآثار الطّبيعية: ويندرج تحتها كلّ ما هو طبيعي مثل الصّور الفنية ومعانيها، أو بعض الصّور البلاغية، مثل الأساليب الإنشائية الطلبية، أو غير الطلبية وغيرها، أو كالأصوات ومخارجها، ودلالاتها.

ب– الآثار الاجتماعية: هي مجمل المواقف التي يتعرّض لها الإنسان في حياته؛ أي كلّ ما له صلة، وارتباط بالواقع والمحيط الاجتماعي، كمفهوم الابتذال الذي هو يعدّ مرتبطا بأناس مبتذلين، فكل لفظة، أو كلمة، أو تركيب لغوي يفسّر هذه الظاهرة ينمّ عن حالة لغوية اجتماعية معيّنة، وهذا يدلّ على أن كل فئة لغوية لها وجدان ومواقف ذهنية واجتماعية خاصة، فالأسلوب التفات وانزياح بالنسبة إلى القواعد على حدّ تعبير فالبري، والإحصاء هو العلم الذي يدرس الانزياحات، وهو المنهج الذي يسهل بمتابعيها وتأويلها وقياسها، فهو المنهج الأمثل في الدرس الأسلوبي.[3]

في حين "أولمانStephen ullmann" دوّن، وسجّل ملاحظات، ومآخذ للإحصاء تحفّظا منه في بيان، واستكشاف البنيات الأسلوبية نذكر منها:

---

[1]– عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، د ط، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1980م، ص135، (دمشق)، بتصرف.

[2]– شكري محمد عباد، اتجاهات البحث الأسلوبي، د ت، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط1، ص31.

[3]– فرحات بدري الحربي، المرجع السابق، ص20.

- إنّ الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكافية لتسجيل، والتقاط الملاحظات في الأسلوب، كالظّلال الوجدانية والأضداد الموجبة.

- البيانات العددية يمكن أن تضفي دقّة مزيفة على معطيات أكثر تعقيدا، وأشدّ، وأصعب ضبطا.

- ومن أهمّ وأكبر ما يأخذ على هذه الطّريقة، والمتمثلة في الإحصاء الأسلوبي، أنّها لا تراعي تأثير السياق في حين أن الحلقة الأقوى في التحليل الأسلوبي.

- تقدم هذه الطريقة الكمّ على الكيف، وتحشد عناصرَ شديدة التباين على صعيد واحد، نظرا للتّشابه السطحي بينهما.

- ممكن أنّها أضفت قائمة هائلة من الأرقام لم تكن تستحقّ إلى ذلك الإثبات الشّديد نظرا لوضوحها.[1]

2- الأسلوبية الوظيفية (البنيوية):

الأسلوبية البنيوية أو الوظيفية هي امتداد وتطور لآراء سوسير المشهورة القائمة على الفصل بين اللغة *Langue* والكلام *Parole*، وتظهر أهمّية هذا الفصل في وجود فرق في دراسة الأسلوب بوصفة طاقة غير ظاهرة في اللغة بقوّة، ودراسة الأسلوب الفعلي في ذاته؛ أي أنّ هذا الفرق نلحمه في الفرق بين مستوى اللّغة ومستوى النص، غير أنّ هذا الفصل أخذ عدّة مسمّيات عند البنائيين.

فجاكبسون يدعو إلى التعريف والتمييز بين الثنائي المتمثل (الرمز، والرسالة) (*Code, Message*)، وبلميسليف يطلق عليه التقابل بين (نظام، والنص) (*System, Texte*). أما جيوم

[1]- حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة أنشودة المطر للشباب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ط1، ص50.

فيطلق عليه (لغة، مقالة) (*Langue, Discoure*)، ويطلق عليه تشومسكي (قدرة بالقوة، ناتج بالفعل) (*Performance, Compétence*).[1]

إنّ الأصل في الظّاهرة الأسلوبية عند البنيويين كمدرسة ومنهج يكمن نمطية اللغة ووظائفها، لذلك لا يمكن أن نعطي مفهوما للأسلوب خارج الخطاب اللغوي الذي يؤدّي الوظيفة الإبلاغية، ومن هذا المنطلق اعتبر جاكسون أنّ الأسلوب يحدّه الخطاب من الفعل الشعوري الوجداني، واللاشعوري أثناء الخطاب، ويقصد بذلك أن النّص، والخطبة، أو الرسالة هي التي تفرض أسلوبها وتحلقه.[2]

إنّ الأسلوبيّة الوظيفية أو البنيوية تعدّ النّص منبعا يستمدّ منه الخطاب قيمته الأسلوبية، كما تعني الاعتناء التام لنظرية التواصل، ووظائف اللغة، وأهمّ من بنى هذا القول، أو المنهج جاكبسون، وريفاتير[3]، وتكمل هذه النظرية دور الكلام واللغة ووظائفها الستّ، والوحدات الصّوتية، والقيمة الخلافية، والآنية والزنية، ومحور التأليف والاختيار[4]، وقد أورد عبد السلام المسدي إلى أنّ هذا الاتجاه قائم على علم المعاني، والتراكيب، والصّرف، ويحفل بعلاقات التناقض، والتكامل بين الوحدات اللّغوية المكوّنة للنّص.[5]

يعدّ مفهوم اللغة والكلام من بين المفاهيم التي فرضت نفسها على السّاحة اللّغوية على المدرسة اللسانية والنقدية، مما جعلهم يسرون إليهما بعدّة أسماء نذكر منها: (اللغة والخطاب)، و(الجهاز والنص)، و(النمط والرسالة)، و(الطاقة والإنجاز)، فاللّغة هي وسيلة تواصل، ونتاج الجماعة، وفي الحين الخطاب فردي إرادي، يرتكز أساسا على نظرية الاتصال

---

[1]– أحمد درويش الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، ع1-2، أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر، 1984م، مج5، ص65.

[2]– عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص140، بتصرف.

[3]– محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ط1، ص102.

[4]– رابح بوحوش، المرجع السابق، ص37.

[5]– عبد السلام المسدي، مدخل إلى النقد الحديث، الحياة الثقافية، تونس، 1979م، ص200.

والتواصل عند جاكبسون، ذات الوظائف اللغوية الستّ، فالمرسل يسهم في الوظيفة الانفعالية أو الشعورية، ، والمرسل إليه يؤدّي دور الوظيفة عن تركيزه أثناء عملية التواصل، والسّياق يؤدّي دور الوظيفة المرجعية في حين تؤدّي الوظيفة الانتباهية، ويؤدّي الوظيفة المعجمية أي يبحث فيما وراء اللغة، والرسالة ينتج عنها الوظيفة الشعرية.

أما في ما يخصّ الوحدات الصوتية فيهتمّ بها فرع من فروع مستويات التحليل اللساني، الذي يطلق عليه بالصوتيات الوظيفية، الذي يعدّ أنّ كلّ تحوي عددا معينا من الوحدات الصوتية الأساسية التي تكمن وظيفتها في الفصل بين الكلمات ولإبراز وتحديد ذلك لا بدّ من إحداث موازنة بين الثّنائيات من الكلمات.

أمّا الدال والمدلول أعدّهما ديسوسير ظاهرة لغوية اعتباطية بعدما قام بالبحث في طبيعتهما ووظيفتهما وهوّيتهما، وتعرف هذه الدوال بما يتباين به اللفظ عن الآخر، ومثاله: "لولا الإيمان ما عرفنا الكفر"، ويتبع هذا المفهوم مفهوم الآنية الزمانية الذي كانا منطلقا سعى من خلاله دي سوسير إلى الاعتناء بدراسة حالة معينة في مكان وزمان وقوع حادثة ما كدراسة الفرزدق، أو المتنبي في العصر العباسي مثلا.[1]

ولا يمكننا تحديد الأسلوب إلا بحدوث توافق بين عمليتين متواليتين متطابقتين في الزمن، ولا بدّ للتطابق أن يظهر على محورين أساسين هما محور الاختيار والتركي؛ أي اختيار متكلم لأدواته التعبيرية، ثمّ تركيبها على أساس قواعد النحو؛ لأنّ التطابق بين جدول التوزيع، وجدول الاختيار يقرّر الانسجام بين مفردات النص الأدبي على أنها اعتبار وجود علامات استبدالية في عملية الإبلاغ، ومنه نستنتج أنّ الاختيار قائم على قاعدة التعادل والتماثل والتنافر والترادف والتضاد، بينهما ينتج التّأليف على المجاورة.

[1]– رابح بوحوش، المرجع السابق، ص-37-40.

ثانيا: الأسلوبية التّأصيلية أو التوّجه (الاتجاه) الفردي

اكتسبت أعمال "كروتنيه" الصّيغة المثالية، مما جعلها تساهم في ظهور الأسلوبية الفردية[1]، ومنه برز هذا الاتجاه ليجمع بين توجهين اثنين، أولهما النظرة العلمية للغة والتدرج التاريخي، وفي هذا الباب ركّز الألماني كارل فوسلر في بحثه "أصول الوضعية والمثالية في علم اللغة" على النفس الإنسانية، وعلاقتها باللغة إظهارا للتذوق الجمالي الخلاق للغة، وما يصاحبه من أفعال معنوية وروحية أخرى، وبهذا يمكن لنا إظهار فعالية الخيال في ظواهر الخلق اللغوي.[2]

أخذ هذا الاتجاه في التوسع والانتشار على يد ليوسيترز من خلال تأليف لكتاب "المدخل إلى اللغة العام"، الذي بيّن ووضح فيه مدى اهتمامه بالتحول اللفظي الذي من شأنه أن يبرز مقاصد المتكلم مع ضرورة مراعاة القوانين الذاتية للغة؛ لأنّه من خلال هذا التحول اللفظي، الذي يسمح لنا بقراءة عقلية وذهنية مجتمع من المجتمعات، بفضل معرفة مراحله التاريخية.

أما باشلار، فقد تطرّق إلى مواضيع التكوين الأدبي، مرتكزا في ذلك على ذاتية الكاتب؛ لأنّه في نظره دافع الكاتب للكتابة، كما نحى بارت المنحى نفسه حيث ربط الأسلوب بالكتابة، وكلاهما في نظره متميّز ومنفصل عن اللغة، وربط ذلك بالمزاج أيضا، لكن شارل مورن استعان بالتحليل النفسي لتحليل وتفسير موضوعية الأسلوب كما بينها الصّور البلاغيّة، والتراكيب اللغوية ومنهجية توظيفها، كما ألف الباحث الفرنسي هنري موريير مؤلّفا موسوم بسيكولوجية الأسلوب، اقترح فيه طرحا يبين منهج استكشاف ما سمّاه "رؤية المؤلف الخاصة للعالم من خلال أسلوبه"، وتعرض إلى دراسة النماذج الأساسية للأساليب من الناحية النفسية، وشرف هذه النظرية أو الرؤية على استكشاف تيارات خمس

---

[1]– محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ط1، 1989م، ص90.

[2]– المرجع نفسه، ص90-91.

كبرى داخل "الأنا العميقة"، والمتمثلة في: القوة، الإيقاعية، والتوجه، والحكم، والتماسك، والتي تعدّ المكوّن الرئيسي والفعلي للطباع.

وتتجلى أهمية كل نوع منهما في إبراز الشكل الإيجابي أو السلبي، فالقوّة قد تكون منبعها، وأساسها الشّدة أو الصّعق، والإيقاع قد يرد متسقا منسجما أو ناشرا، والرغبة قد تكون ظاهرة أو مستترة، أو مكبوتة، والالتحام قد يكون واثقا أو مترددا، والحكم قد يكون متفائلا، أو متشائما.[1]

من أهمّ رواد هذا الاتجاه فيسلر وليو سبيترز، فقد رفض هذا الأخير الفصل بين دراسة اللغة والأدب واقترح الحدس كعنصر فاعل للولوج إلى عمق النص الأدبي، ويدرس المضمون والشّكل (الأسلوب اللغوي)، واعتمد على جملة من الخطوات في منهجه تتمثل في ما يلي:

- البحث الأسلوبي، يرتكز أساسا على العمل الأدبي بذاته، ولا يقتصر على المبادئ المسبقة.
- البحث الأسلوبي يعدّ همزة وصل بين علم اللغة، وتاريخ الأدب؛ لأنّ مقاربة النص بحدّ ذاتها تكشف وتبيّن شخصية الكاتب.
- من أبرز المعالم الخاصة للعمل الفني هي "مجاوزة أسلوبية" فردية، أو التفات، أو انزياح شخصي، وهي تعدّ وسيلة الكلام الخاص، والابتعاد عن الكلام العام.
- اللّغة مرآة شخصية للمؤلّف، وخاضعا له.
- العمل الأدبي يخضع للحدس، والتفاوض، ولا يمكن الوقوف على النّص الأدبي دونهما.
- ماهية النص وجوهره، يكمنُ في انفعالات الكاتب وروحه بسبب الظّروف المادية الخارجية.[2]

---

[1]– أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، ص66، بتصرف.

[2]– عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص139.

وفي هذا السّياق يقول: "عناك اعتبار صرفي عن التحليل النفسي للأسلوب؛ لأنّ دراسة (لا تقتصر على الجانب الشّكلي فحسب) تعدّ فنّا من فنون السّيرة الذاتية، وهي غير قابلة للتحريف كما يعتقدون في أمريكا، ولو قلنا أن النقاد استطاع فرضا أن يمس جانبا من الجوانب الإنتاجية النفسية شهدها وعاصرها وعاشها الكاتب، فنستطيع القول أنه يوجد توافق بين الحياة والأثر الفني، كما يساهم دائما في جمالية الإنتاج، فالتجربة الشخصية لا تعدو أن تكون مادة أولى، شأنها في ذلك شأن المراجع الأدبية مثلا، لذا انصرفت عن بحث الحالات النفسية وتبيان، وشرح أساليب الكتاب والمؤلّفين انطلاقا من عاطفتهم الجيّاشة، لذا تمّ الاهتمام والعناية بهذه المراكز قصد تحليل الأسلوب، خاضعا لتفسير الآثار، باعتبارها منظومة شعرية مستقلّة، وقائمة بذاتها دون الاعتماد، واللّجوء إلى مزاج المؤلف".[1]

وبهذا الميول والجنوح نحو النص، تجعل من الأسلوبية ذات صيغة علمية في النقد المعاصر، وكذا تبتعد عن الأحكام المعيارية، وتعدّ مقولات الاختيار، والتركّيب/ والالتفات (الانزياح من العلامة البارزة في الأسلوبية ميزتها دون المناهج الأخرى).

1- الاختيار:

تعدّ الأسلوبية الأسلوب اختيار، وهذا من أبرز مقولاتها، وحجّتها في ذلك أنّ اللّغة تخول للمنشئ إمكانيات التّعبير لا حصر لها، حيث سمح له باختيار ما يناسب ويلائم نظرته ورؤيته، مما يدلّ على أنّ "كلّ أسلوب صورة خاصة بصاحبه يبين نمط تفكيره، وكيفية نظرته إلى الإنشاء، وتفسيره، وطبيعة انفعالاته، فالذّاتية هي أساس تكوين الأسلوب".[2]

---

[1]- بشار روبنسكي جان، النقد والأدب، تر: بدر الدين القاسم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، ط1، 1976م، ص54-55.

[2]- أحمد الشايب، السلوب، دراسة بلاغية تحليلية، ص134.

كما تأسّس عملية الاختيار على المقام، أو الطّرف الحديث قصد جلب انتباه المتلقي، واستفزاز مخيّلته وملكته، لذلك كثيرا ما يلجأ المنشئ إلى حشد قدراته اللغوية؛ من أجل توظيفها، واستغلالها قصد تحقيق المنفعة كجلب منفعة، ودفع مضرة، أو دحض الشبه، إلا أن هذه العملية تتطلب كفاءة لغوية وحسن الاختيار والتوظيف، وإذا كانت اللغة تعدّ أداة تواصلية من شأنها توفير للإنسان العادي احتمالات تعبيرية، له الحرية في اختيارها وانتقائها، وفي مقابل ذلك نجدها تهيء للمؤلف والمبدع اختيارات، وبدائلَ أكثر لغوية عدة، وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، إنّ الاستثمار في الإمكانيات اللغوية في سبيل تحقيق الأهداف والمتمثلة في: "الاستعانة بالعناصر الشارحة، أو المقيدة، أو المخيلة، واستعمال وتوظيف الكلمات المتقابلة المتضادة، إن كان ذلك يخدم المعنى".[1]

لذلك يمكن القول إنّ عمليّة الاختيار متّصلة، ومرهونة بالغاية التي يسعى إلى تحقيقها المؤلف؛ قصد تسخير كل قدراته، وملكاته اللغوية، فالحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير وغيرها، من شأنها أن تضفي على الكلام القيمة الفنية ،والجمالية، ودلالة جديدة، في حال استطاع المنشئ أو المؤلف توظيفها، ومن هذا المنطلق تمكّن سعد مصلوح من أن يميّز ويفرّق بين نوعين من الاختيار هما: الانتقاء النفعي المقامي، والانتقاء النحوي الذي تتحكّم فيه مقتضيات التعبير الخاصة، إلّا أنّه اعتبر الأسلوب ينصرف إلى الاختيار النحوي، وفي السياق نفسه ربط "جاكبسون" الاختيار كأسلوب بمحور التركيب، وهو ما ساهم في خلق وتشكيل العلاقة العمودية والأفقية في النظرية البنيوية.[2]

ومن خلال ما سبق يمكن أن تجمل الاختيارات على النحو التالي:

---

[1]– محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص116.

[2]– موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م، ط1، ص32، ينظر: محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي، المركز الثقافي العرسي، د ط، بيروت، لبنان، ص299.

- تحديد واختيار الغرض من الكلام: كالإبلاغ، الإقناع، واختيار موضوع الكلام وما يتماشى معه من مفردات اللغة، وتحديد الرمز اللغوي، والاختيار النحوي المرتبط بالتراتيب النحوية المناسبة، والاختيار الأسلوبي، والموازنة بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما، حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.[1]

ومثل ذلك قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ** بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

والملاحظ من خلال هذا البيت أنّ للّغة ألفاظ وبدائلَ تمكّنها من أداء وظيفتها، في حين أنّ هناك ألفاظ أخرى لا يمكن أن تستبدل، أو يحلّ أي لفظ آخر مكانها، فلفظنا "قفا" و "نبك" تتلازمان دلاليا مع عدة بدائلَ لغوية أخرى، إلا أنّ أسماء الأماكن حالت دون ذلك، فرفقت نفسها على الشاعر لارتباطه بتجربته الشعورية.

يمكنُ القول إنّ عملية الاختيار تتعلّق بأسس وقواعدَ أخرى، مثل التركّيب، والسّياق، وتشكيل النّسق فتوظّف لتوصيل، وتبليغ فكرة معينة نتاجها الوعي والقصد "فاللغة الأدبية بهذا المعنى يحكمها القانون الخاص، وبه تكسب خاصّيتها الفنية، منفردة عن باقي الظّواهر المغايرة لها".[3] يقوم به المتكلم من بين الإمكانات الاختيارية المتساوية دلاليا[4]، عادة ما يكون الاختيار مقيدا بنظام اللغة، ومحكوم بالقصدية، والسّياق، والموقف، والقواعد

---

[1]– أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيان، تح: علي أبو ملحم، د ط، منشورات دار ومكتبة الهلال، مج1، ص131.

[2]– امرؤ القيس، الديوان، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ط5، ص110.

[3]- *GulesMaewzeau, précis de stylistique, Française, ed, Masson, 1969, paris, p17*

[4]– عبد الغفار مكاوي، ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر، الهيئة المصرية للكتاب، دط، القاهرة، 1972م، ص13-34.

المعجمية، والنحوية، ولا أثر فيه للتلقائية التي تميّز اللغة العادية لارتباطه بغاية مقصودة[1]؛ لأنّ الوسائل اللغوية ليست ممكنة دائما.

2- التركّيب:

إذا سلمنا أنّ الأسلوبية ترتكز على الاختيار، وعلى أساسه يكون توجيهها مقصورا على الألفاظ، وهو مقيّد، ومحكوم بقواعدَ لا يمكن تخطيها، وبناءً على ذلك أدخل عبد القاهر الجرجاني أثناء معالجة نظرية النظم المعجم والتركيب على سواء في عملية الاختيار، وخصّ بذكر اتحاد أجزاء الكلام، "تتّحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة أن تصيغها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حاله فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم، وفي حال ما يبصر مكان ثالث، ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ يحصره وقانون يحيط به، فإنّه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة".[2]

ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ عملية الاختيار تكون غير متناهية لا نهاية فيها، تنفتح على قدرات لا حصر لها، سواء تعلق الأمر بالمعجم أو التركيب، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنّ عملية التركيب تمتد إلى البنيات والتراكيب، فللكاتب فرصة اختيار العلامات والسّمات اللغوية له أن يختار لها المكان الملائم ويقوم بإيجاد الربط والصلة فيما بينهما، فـ"كل يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، وماهية كل عنصر وقف على بقية العناصر بحيث لا يتحدّد أحدها إلا بعلاقة أخرى".[3]

---

[1]- موسى سامح ربابعة، المرجع السابق، ص30.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، قر، وتع، أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004من ط5، ص93.

[3]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، المرجع السابق، ص208-209.

ومن هنا تظهر أهمية النحو في التركيب الأسلوبي، لأنّ الكلام لا ينتظم ولا يستقيم إلا به، ومن هذا المنطلق "كان النحو شرطا من شروط الأسلوبية، سابقا لها، فكل أسلوبية هي رهينة القواعد النحوية الخاصة، باللغة المقصودة".[1]

مفهوم التراكيب لا يختلف عن مفهوم النظم داخل دائرة الأسلوبية في النقد القديم، فأدبيّة النّص لا يمكن لها أن تحقّق دون النظم، بما فيها جميع الوحدات اللّغوية التي تتأسّس عليها الأسلوبية في الخطاب الأدبي، وعليه أعدّ النقاد العرب الأسلوب تركيبا لغويا ذا أهمية وقيمة جمالية، ومن خلال هذا التركيب يتشكلّ الخطاب الأدبي فنيا.

وقد قام "محمّد مفتاح" بتقسيم التركيب إلى قسمين هما: التركيب من الناحية النحوية، والتركيب من الناحية البلاغية، انطلاقا من قوله: "إنّ المسلّمة التي تنطلق منها الدراسات المتعلقة بالنحو العربي هي أنّ الجملة العربية يتقدّمها الفعل، وذلك راجع إلى عدة اعتبارات في مستهلها أنّ اللغة الطبيعية موجّهة للعامة، ولا بد أن تكون عملية تهتمّ بعموم الناس، أما اللغة الإبداعية بالبدائل المتعددة، ولا يمكن للظواهر الأسلوبية أن تتحقّق إلا في ظلّ اللّغة الإبداعية العبقرية، التي يمكنها أن تسمح بتجاوز، وتخطّي النظام المسلم به، والمعتاد عليه إلى نظام ذي كثافة إبداعية تعبيريّة متميزّة، يفوق البساطة المعهودة، ويتخطّى الدلالة الأولى القريبة".

تعد ظاهرة الانزياح عند شارل بالي "موجودة أساسا بين بنية التعبير المحايدة، وبين التعابير المفعمة بالقيم التعبيرية التي تزعزع اللغة، بما تزرع فيه من اضطراب، فيستحيل أن يتكوّن نظاما جديدا".[2]

وليس في ذلك أنّ التعابير الشّائعة والمألوفة تصل وتجمع بسبب الانزياح عن أصلها، يجعلها تكسب قالبا جديدا في أبهى حلّته، مفعمة بالإشارات والإيحاءات، وغنّية

[1]—عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، المرجع السابق، ص56.

[2]— عبد الله صولة، فكرة العدول في البحوث الإسلامية المعاصرة، مجلة دراسات سال، فاس، المغرب، ع1، ص73، ص101.

بالدلالات، تثير في الذهن تساؤلات ذات حركة ونشاط، وتعلو وتسمو بالنص، بما تضمنه بالقيمة الجمالية، ومظاهرها تأثر في نفس القارئ، وعليه تبنّى ليوسيتزر ماهية الانزياح ومفهومه انطلاقا من أهمية الأسلوبية، وكثرتها، وعمقها، ومدى تأثيرها ونجاعتها، ثم شرع في تطبيق المنهج الاستقرائي التتبعي حتى يتمكّن من أن يحدث توافقا وتطابقا بين هذه المعايير، وما سمّاه بالعدول لدى الأدب[1] نتائج خطيرة على مستوى دراسة المعنى والتداول للجملة العربية، ولذلك فإنّ (جاء زيد) تعدّ تركيبا أتى على أصله؛ أي أنه محايد، لا يحتوي على إيحاء أو إشارة تداولية، ولكننا إذا قلنا (زيد جاء)؛ فإنّ التركيز يقع على زيد دون غيره من الأسماء التي يمكن أن يتصوّرها الذهن المخاطب، الذي يشترك في معرفتها مع المتكلم، وكذا إياك، أحب، وقائما كان زيد، فتقديم –إياك– قصر المحبة على مخاطب لوحده، كما أن تقديم –قائما– بقصد بها عدم جلوسه أو نومه[2]، والغرض من ذلك أن الجملة تكون محايدة كلما كان ترتيبها الطّبيعي الأوّل، ولكنّها تتّسع، وتُثرى دلاليا كلما حدث فيها خرق على مستوى دلالة الألفاظ، أو ترتيبها.

3– الانزياح:

هناك تعلّق وارتباط للانزياح بعملية الاختيار بشكل كبير؛ لأنّ هذا الاختيار يتأسّس، يرتكز على عوامل عدّة من شأنها أن تسهّل حدوث الانحراف، مما يضفي على النّص قيمة جمالية، تسهم في شدّ انتباه القارئ، ويتأثر بها، وهذا ما دفع الأسلوبيين إلى الاهتمام بهذه الظاهرة، وقد أدّى هذا الاهتمام إلى تقسيم اللّغة إلى مستويين هما:

أ– المستوى الطّبيعي أو العادي: ومن خلاله تظهر سيطرة الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب.

---

[1]– عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص102.

[2]– محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1985م، ط1، ص69.

ب- المستوى الإبداعيّ الفنّي: وفيه يحدث احتراف التوظيف اللغة واستعمالها على حسب طبيعتها، والهدف من ذلك الكلام أو الخطاب مميّزات وجماليات أسلوبية، من شأنها أن تجذب فكر، وذهن السّامع، أو المتلقي، وتؤثّر فيه.[1]

فالكلمة اللّغوية، والقدرة على التحكّم في ألفاظ اللغة وحس توظيفها التي ينفرد بها المبدع دون سواه، هي التي تخلو له التفوق والذهب بعيدا بالدلالات اللغوية وتوظيفها بكثرة، هذا ما يتيح عنه بما تسمى بصناعة الظواهر الأسلوبية، التي تعرو النص بالتذوق الجمالي في النص الإبداعي وتكون سببا ودافعا له من أجل التفرد، ومن هذا المنطلق يمكن ان نقول الأسلوبية تهتم بالمظهر والجودة التي مصدرها حسن التوظيف والاختيار للقدرات اللغوية التي تصنعها اللغة للمبدع، وهذا الأخير يتمكن بأن يميز ويفرق بين الإمكانات الخالية والإمكانات بالدلالات التي يقوم وتتخطى القواعد والسنن، والتعدي على المألوف وخروج عن دائرته وتجاوزه إلى آفاق أرحب وأوسع.

أما ريفاتير فقد اعتبر الانزياح انزياحا عن النمط والمنهج التعبيري المألوف والمتواضع عليه، إلا إذا تحقق خرقا للقاعدة مرة، والاعتماد على الصيغ نادرا تارة أخرى، فهو في الأولى يكون تحت غطاء البلاغة ويخضع لأحكامها المعيارية، أما في الثانية فهو يتعلق بالموضوع اللسانيات العامة والأسلوبية خاصة.[2]

[1]– نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص179.

[2]– المرجع نفسه، ص103-104.

ويهذا نستطيع القول أن الانزياح بمفهومه جمع بين البلاغة الأسلوبية كذلك، وهو يتحدد انتظار سماه بالمفاجأة حظيت بجملة من السنن:

1- البند الأول: في أن المفاجأة كلما كانت غير منتظرة وغير متوقعة كلما كانت أكثر تأثيرا ووقعا على المتلقي.

2- البند الثاني: ويتمثل في تكرار الخاصية الأسلوبية التي تفتقر إلى شحن تأثيريه في المتلقي ومنه عرفت عبارة فاليري التي انشترت وشاعت مفادها: "إن الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما وهذا ما ذهب إليه عدد من النقاد ومن خلال هذا واجب على الباحث أن يعرف القاعدة ويعتاد عليها حتى يتسنى له استكشاف الانحرافات المتفرعة عنها"[1]، لأن إغفال الباحث لقواعد الانزياح وجهله لها اعتباره مفهوما بلاغيا وأسلوبيا يرتب عنه صعوبة معرفة الانحرافات المختلفة، المبثوثة في النص.

إن المستقرء والمتتبع لحركة النقدية عربية كانت أو غربية، يلمس وجود تعدد المفاهيم والمصطلحات التي عرفها الانزياح وأطلقت عليه، فقد سماه النقد الغربي بعده مسميات نستذكر منها، الانحراف، التجاوز، الاحتلال، الإطاحة، المخالفة ... في مقابل ذلك أطلق عليه النقد العربي، قديما وحديثا أسماء عدة منها، الاتساع، العدول، الغرابة[2]، أما هذا التعدد من حيث الأسماء خلق تعدد وتنوعا في الأنماط من حيث إمكانية تحققها في النصوص الأدبية، متنوع في الأمساء والأنماط ينتج عنه تنوع في الدراسة ما دام جوهره كائن في هذا العدد يصنع من هذه المقولة عدة إجراءات في المقارنة والتطبيق، فهذا الأخير مرتبط معينة بعيدا عن الذاتية الذي يجسده الحافز في الذهن، كان نصا أو حقبة معينة سابقة على حقبة النص، وهذا يدل على ضرورة ما يجب أن يكون عليه الباحث، حين لا بد أن يكون على علم ودراية بهذا المفهوم ومدى تنوعه وفهم حقيقة وما يمكن أن ينتج عنه داخل

---

[1]- موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياته، ص35.

[2]- المرجع نفسه، ص35.

النص[1]، اللغة العادية، وهذا ما ذهبت إليه مدرسة براغ حينما اعتبرت "أن الأسلوب هو كيفية الكلية للرسائل اللفظية ويقصد بها النصوص، وأنه لا يمكن فصل النص عن الأسلوب، فالنص الأدبي يتشكل أسلوبيا بالعلمية الاتصالية المرجعية".

يمكن القول أن هذه المسألة نسبية وليست مطلقة، مرتبطة بالأسلوب، والسبب راجع ـه يمكن للباحث أو القارئ أن يصادف نصوصا أدبية تجعله عاجزا عن تبيان أسلوبها لخلوها من الانزياح، وهذا ما يدل على وجود أسلوب ما، ولعل كتابات البشير الإبراهيمي تماز بغناها الأسلوبي في مختلف المستويات اللغوية، الذي يدل على حسن توظيف المفردات والتأنق اللفظي، من شأنه أن يؤكد على أن الأسلوب هو طريقة الكتابة يعتمدها الكاتب أو الشاعر على حد سواء.

ولذلك لا بد أن نقف على هذه النصوص حتى نستعرض توظيف الإبراهيمي للغة باعتبارها أداة يلجأ إليها الباحث في تكوين وتشكيل المادة الفنية متجولا بين أفكار كاتب تارة ومشاعره تارة أخرى، فيثير ويضفي عليها معالم وأبعادا ومقاصد مختلفة ومتنوعة.[2]

وقد ربط تودورف الأسلوب بالانزياح بقوله: "بأنه –لحن مبرر– ما كان يوجد لو أن اللغة الأدبية كانت عبارة عن تطبيق كلي للأشكال النحوية الأولى، ثم حصر الانزياح حيث أحاله إلى جون كوهين، فقرر أن يوظف اللغة ويستعملها في ثلاثة أضرب من الممارسات أو المستويات: المستوى النحوي، والمستوى اللانحوي، والمستوى المرفوض، ويمثل المستوى الثاني أريحية اللغة فيما يسع للإنسان أن يتحكم ويتصرف فيه".

ونستنتج مما سبق أنّ مقولة الانزياح تشمل تنوّعات النص الأدبي، في حين أنّ موكاروفسي حاول أن يضع قانونا داخل قانون الانزياح، فقال: "كلّما كان قانون اللغة المعيارية أكثر ثباتا في لغة ما، كان انتهاكه أكثر تنوّعا، ومن ثمّ تعدّدت إمكانات الشعر في

[1]–تودوروق، بلغاري الأصل، من مؤلفاته نظرية الأدب، باحث بالمركز القومي للبحوث العلمية باريس، جنسية فرنسة.

[2]– حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص44.

تلك اللغة، ومن ناحية أخرى، كلّما قلّ الوعي بهذا القانون قلّت إمكانات الانتهاك، ومن ثمّ قلّت إمكانات الشّعر".

يمكن للباحث أن يعترضه إشكالا -في هذه الجزئية- يتمثّل في مسألة المعيار الذي يكشف عن الانزياح ومن ثمّ توصّل إلى التعريف بين اللغة العادية واللغة الأدبية، وهذا ما جعل "جون كوهن"يحصر دائرة الانزياح في الشّعر، فقال: "إنّ الانزياح لا يكون إلا في الشّعر؛ لأنّ النثر هو اللّغة الشّائعة، والقصيدة انزياح عنه".

الفصل الأوّل:

أسلوب البشير الإبراهيمي ومستويات اللّغة في كتاباته

المبحث الأول: المميزات والخصائص الفنية والأنواع النثرية في كتابات البشير الإبراهيمي.

في أدب الإبراهيمي ميزة فنيّة تسمح للباحثين بدراسة أسلوبه نقديا وأدبيا، مما يدفع الباحث للتّساؤل من أي ناحية يُقْدِم على عملية التناول لهذا الأدب؟ وقد يخرج الدارس بحكم على أدب الإبراهيمي بأنّه يجمعُ بين الأصالة والمعُاصرة، وهذا يدلّ على أنّ الإبراهيمي لم يخرج عن القدامى في الأسلوب واللغة، غير أنّه ينهج منهجَ المحدثين في المحتوى والمضمون، وبالتالي فهو يحافظ على الموروث القديم في ثوب جديد ومعاصر، ومن هذا المنطلق يجد الباحث نفسه بين نسيج من العمل الأدبي عند الإبراهيمي، من خلال الأسس والعناصر الآتية الّتي تستحقّ أن تكون محلّ الاستنتاج، والمناقشة، والتّحليل وهي:

المطلب الأول: الأسلوب والأداء.

للإبراهيمي أسلوب منفرد عربي أصيل، يأخذ أصالته من ينابيعَ التراث الأدبي القديم، ويستكمل أدواته من عصوره المختلفة من لغة، وبلاغة، وتعبير، في السّبك، والحبك، والتّحبير بكلّ ما تتطلّبه معاني الأصالة في السلوك، كما يجدّدها بعضهم بقوله "وملاك الأصالة لا تكتب كما يكتب الناس، ملاكها أن تكون أصيلا في نظرتك، وكلمتك، وفكرتك، وصورتك، ولهجتك ..."[1] فلا يكاد أسلوب الإبراهيمي ينسلخ من هذه التّحديدات الأسلوبية، ولا يخرج من دائرة الأصالة، إذا كان المراد الأصالة في الأسلوب هي بناؤه على ركنين أساسين من خصوصية اللّفظ، وطرافة العبارة.[2]

وأما طريقة الأداء، فهي عند الإبراهيمي تتمثل في طريقة العرض الفني للأثر الأدبي وسط مَناخ من التلاؤم في المعاني، والانسجام، والاتّساق، والتوازي في العبارات، وحسن

---

[1]– أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب 26، القاهرة، 1967م، ص90، البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص310.

[2]– المرجع نفسه، ص310.

التوظيف والانتقاء للمفردات، سواء في المقالة أو الخطبة، أو المقامة، كما يوضّحه هذا النص: "داو العلوم يا شرق، فما زلنا كلما استشفينا بك نجد الراحة والعافية، ونظفر بالأدوية الشافية، وما زلنا كلما استنشقنا استشفينا منك رندك وعرارك، وكلما استو رينا زندا استمجدنا مرخك وعفارك، وما زالت أفئدتنا تهوى إليك فتصافحها حرارة الإيمان، ويرد اليقين، وروح الأمان، وما زالت تتحفنا مع كل بازخة منك بالنور اللائح، والشعاع الهادي وتسري إلينا من صباك في كل عمل، نفحات منعشة".[1]

إنّ المتمعّن في هذا النّص يُدرك القيمة الأدبية والفنية الّتي يحملها، كما يدرك حسن التّوظيف للألفاظ والعبارات، فهو يوضّح أسلوب شاعريا ذا نغمة موسيقية أقرب للشعر، كما يلحظ القارئ تواجد النغمة الذاتية وكأنّ الإبراهيمي يقف على أطلال الماضي، وبهذا قد أعاد ذهن القارئ إلى الصّورة القديمة للكتابة الأدبية بعودته لزمن الكتابة الأصلية، فيبلغ النص مداه من العناية، والتساوي، والتوازي بين الفواصل في عملية التّقسيم كما يبيّنه قوله: "وما زلنا كلما استنشقنا استشفينا منك رندك وعرارك، وكلما استو رينا زندا استمجدنا مرخك وعفارك ".

نجد الإبراهيمي ينتقي المفردة، ثم يجد لها جرسا موسيقيا ينبغي لها أن تكون فيه، وهذا ما نلمسه مع جميع الألفاظ. فهو يحافظ على الإيقاع الموسيقي الّذي تحدثه المقاطع المتساوية، إنّ كلّ الألفاظ تشمل على أربعة مقاطعَ صوتية، مما يساعده على تلازم الألفاظ، وتماشيها مع العاطفة الجياشة والانفعال.[2]وهذا يدلّ على أنّ الإبراهيمي يمتلك خاصية تكاد تكون بارزة في جميع أعماله الأدبية وهي ظاهرة السجع، فهو من بين الأدباء الّذين عرفوا به، وأصبح العلامة الواضحة في ثنايا كتاباته، سواء كان عفو خاطر وهذا ما جاء في

[1]–جريدة البصائر، سل2، العدد 164، السنة5، (1370هـ، 1951م)، ص01.

[2]– ينظر، محمد البشير الإبراهيمي أدبيا، المرجع السابق، ص ص 311، بتصرف.

مقالاته الّتي ألقاها في مناسبات مختلفة، أو كان مقصودا لذاته كما فعل في سلسلة للمقالات الّتي كتبها بعنوان "سجع الكلمات".[1]

والملاحظ أن الإبراهيمي يميل إلى توظيف هذه الظاهرة البلاغية إلى حدّ الإسراف والمبالغة، ومثال ذلك قوله: "... آمال فساح، في الفوز والنجاح، تباشير صباح، باليسر والاسجاج وتوقف وطماح، إلى السؤدد اللماح، وكد وإلحاح من أصلاء في العز أقحاح، وعزمات صحاح، في الذّياد والكفاح، ومغذى ومراح في الحق الصراح، والشباب تطاح، عن الشرف الوضاح، ومليك مسماح في العلم والإصلاح...".[2]

إن المتأمل في تركيب النص، يلمح مدى التكلّف والمبالغة في السجع من جهة، ومن جهة أخرى يظهر مدى تمكّن الإبراهيمي من ناصية اللغة، والتحكّم فيها، وحسن توظيفها واستعمالها، وقدرته على استحضار غرائب الألفاظ، والترادف، والتّطابق، وحلقها على نسق واحد من حيث الوزن، إلا أنّ هذه الطريقة أو هذه العملية الّتي يتخلّلها الاسترسال على هذا النحو والنمط تجعل السّجع حاضرا بقوة وبكثرة، مما يحدث خللا في المعاني، وسببا من أسباب الملل يجده القارئ. ويمكن القول إنّ الإبراهيمي له من التنوّع الثقافي، وحسن التعامل، والمقدرة على التحكّم في هذه الظاهرة البلاغية بشيء من الحكمة، وما ينطبق على السّجع ينطبق على الظواهر البلاغية الأخرى؛ لأنّ له طابعا واستعدادا خاصّا به، الّذي من خلال يتسلّل بعمق إلى القارئ، بطريقة ترضي وتستميل السّامع، وهذا يدلّ على وطنية الإبراهيمي، وذكائه، والموهبة في منهجية التّنسيق بين الفكرة والعبارة في شتّى النصوص نثرية، كانت أم شعرية.

---

[1]– عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث.

[2]– البصائر، سل2، العدد 58، السنة2، (1328هـ، 1948م)، ص01.

المطلب الثاني: مستويات اللّغة في كتابات البشير الإبراهيمي.

أولا: المستوى الشّعري.

المقصود به شاعرية الأسلوب فهي تلد العاطفة الجياشّة مشحونة بقدر من الذّاتية الّتي تعتمد على الواقع أو ذاتية المتأمّل في الوعي الباطني، والكشف عن خبايا الانفعال.[1]

ومن النماذج الّتي تدلّ على شاعرية أسلوب البشير الإبراهيمي قوله: " يا عبد... بأية حال عدت؟ ... وهذه فلسطين الّتي عظمت حرماتك ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن، وتأزج ثراها بالأثر العاطر من إسراء محمّد وتضخّ بدماء الشهداء من أصحابه. واطمأنت – من أول يوم- قلوب أبنائها بهدي القرآن، وجنوبهم بعده عمر –تسام الجون، وتقاسي عذاب العون قد اجتمع عليها عدو الأقوياء، وكيد الضعفاء، يريدون أن يمحوا معالمك منها، ويحسروا ظلال الإسلام عنها...".[2]

وقال في موضع آخر: "سِرْ – يا صبا مسراك، وصفا مجراك في جوّ ضاحك الصفحة، وفضاء سافر الغرة لا جبلا لعنان".[3]

لغير ضان مهبك، ولا عواصف الدّبور تعارض مديك، فإذا لاحت لك بواذخ الأطلس، فاسلك منها ما سلك بنو هلال فرقة عن اليمين، وفرقة عن الشّمال خذ آثارهم بما يجدي، فكلاكما نجدي وستقع في شمالك على الخؤولة، وفي يمينك عن العمومة، وابثث أسرارك، وانثث أخبارك، فهناك محطّة الهوى والشّوق.[4]

---

[1]– محمد عباس، المرجع السابق، ص313.

[2]– البصائر، سل2، العدد 12، السنة1، (1366هـ، 1947م).ص2

[3]– حسان بن النعمان الغساني: وهو من الفاتحين لشمال إفريقيا حوالي –88هـ– قتل الكاهنة وقضى على مقاومة الروم والبربر، ينظر: "الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا"، مجلة المؤرخ العربي، محمد محمد نرنيون، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، القسم الأول، (1401هـ، 1981م)، ص80.

[4]– البصائر، سل2، العدد 299، السنة6، (1372هـ، 1953م)، ص1، ص2.

فكـلا النّصـان يظهـران لغـة الإبراهيمـي وانفعالاتـه، ومنـه مـن الطّبيعـي أن تخضـع اللّغـة لهـذا الموقـف الانفعـالي، فهـي تـوحي بـالحزن، والتـألّم، ومشـاعرَ تـنمّ عـن أنـين، فجـاءت هـذه اللغـة معـبرة عـن مـدى حـزن الإبراهيمـي، وصـدق مشـاعره الجياشـة، كمـا تـدل علـى الواقعيـة الّـذي يحـدّدها الـنص، وحضـور ذاتيتـه بالتعجـب والحسـرة والحـيرة، ممـا يزيـد في العمـق الحـزن، وتشـكل الانفعـال لـدى الإبراهيمـي ممـا دعتـه ضـرورة إلى اللجـوء إلى الاقتبـاس؛ حـتى يعـبّر عـن ما في نفسه، من أمثلة ذلك: "بأية حال عدت يا عيد".

ولا يختلـف النمـوذج الثـاني عـن الأوّل، فهـو يـوحي بمعـاني اللوعـة، والحرقـة الّـتي أصـابت الكاتـب في عـالم الغربـة وحنينـه للـوطن، وللأهـل، فهنـا تبقـى اللّغـة عـاجزة عـن تصـوير ألم الفراق عن الأحبة، فيلجأ إلى اللغة والمستوى الشعري في إيحائها وألفاظها.

إنّ لغـة الإبراهيمـي قويـة مـؤثرة؛ بسـبب مـا تحملـه مـن شـاعرية وهـذا مـا دفـع الجـاحظ إلى القـول: "... والمعـاني مطروحـة في الطريـق يعرفهـا العجمـي والعـربي، والبـدوي... وإنمـا الشـأن إقامـة الـوزن، وتخـير اللفـظ، وسـهولة المخـرج، وصـحة الطبـع وجـودة السـبك، فإنمـا الشـعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير".[1]

لكـن الجـاحظ يقصـد بقولـه الشـعر دون غـيره، ويحصـره في الصـياغة والنسـيج، وهـذا لا يتحقـق دون اللغـة ودون مكوناتـه الأساسـية الّـتي تصـنع الأسـلوب الشـعري، والمتمثّلـة في جمـال اللغـة، وجرسـها، وموسـيقاها، الّـتي مـن شـأنها أن تمـنح لغـة الكاتـب القـدرة علـى التـأثير، وهـذا مـا ميّـز أسـلوب البشـير الإبراهيمـي، حيـث بـثّ روح الانفعـال في نفـوس قرائـه، ومنـه "لا نسـتطيع تبيـان الخصـائص المميـزة لأسـلوب الأديـب بعينـه دون أن تـتفهم طريقـة تفاعلـه مـع اللغـة. فالأسـلوب لـيس سـوى نتيجـة للتفاعـل بـين ذاتـه وظـاهرة جماعيـة هـي ظـاهرة اللغـة.

[1]– الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1969م، ج2، ص131، ص132.

ولكي يكون للأديب أسلوبه الخاص؛ فإنّنا نجده ينفصل عن لغة الناس بمقدار ما ينهمك فيها".[1]

وممّا يدلّ على أنّ الإبراهيمي كان صاحب باع طويل في اللّغة، وعمق تجرِبته والغني الّذي يملكه في المفردات اللغوية، ويحسن توظيفها، واستعمالها حسب المقام، ومتى اقتضت الضّرورة، وحسب كلّ فنّ من الفنون النثرية أو الشعرية، ومما يثبت ذلك محافظته على الإيقاع في القصيدة كاملة، ولجوئه إلى ظاهرة التزام لزوم ما لا يلزم ولا يعذب عنه قليلا، سواء في القصيدة، أو الأرجوزة، يقول:

ذكراك يا يوم ** تحز في الأحشا**[2]
إذا أقبل القوم ** وحش تلا وحشا**
ربيع الحمى فيكا ** والأهل في عقله**
لم يعفا عافيكا ** طفلا ولا طفله**
لهفي على موضع ** قد عفرت أمنه**
ما صب أو وضع ** إلا الشقا أمته**
زرعت أحساكا ** منبتها الصدر**
فكيف منساكا ** إنا إذن عذر**

إنّ حروف لزوم ما لا يلزم تعطي للبيت إيقاعا خاصّا، ونغمة خاصة "ولما كانت القافية لازمة البيت الموسيقية، فقد بالغوا في تضمينها هذا النغم؛ لقوته في التزام حروف غير لازمة في حشو البيت، فيما يسمّى "لزوم ما لا يلزم"".[3]

---

[1]– اسماعيل عز الدين، الشعر في إطار العصر الثوري، دار القلم، بيروت، ط1 (1974م)، ص27، ص28، ينظر: محمد عباس، المرجع السابق، ص315.

[2]– البصائر، سل2، العدد 35، السنة2، (1367هـ، 1948م)، ص1.

[3]– ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، 1980م، بغداد، ص236، ينظر، محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص318.

وما يميّز أسلوب الإبراهيمي غلبة طابع الانفعال المشحون الحاد في كتاباته نثرا وشعرا، وهذا كان دافعا لإقبال الجماهير على أعماله الفنية الّتي تتّصف بالقوة، والجاذبية للعبارة، وسلاستها، ورصانة الترتيب، ومتانته ورونق الأسلوب، وحسن توظيف الألفاظ وحبكها.

ثانيا: المستوى الخطابي.

إنّ النزعة الخطابية أكثر شيوعا وانتشارا في أدب الإبراهيمي، والسّبب الرّئيس هو شخصية الإبراهيمي الّتي فرضت نفسها، وكذا كونه رجلا من رجال الإصلاح، ولا شكّ أنه يلجأ إلى فنّ الخطابة وما يماثلها، لكي يحدد موقعه ويبرزه ويبين الحق ويدحض الباطل، ولا يمكنه التواصل مع الجماهير إلا بهذا الفنّ الخطابي، أو درس أو محاضرة.

ومثال ذلك قوله: "أيظنّ الظّانون أنّ الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها الّتي وضعها الإسلام من نفسهما، لا والله، ويأتي لها ذلك شرف الإسلام، ومجد العروبة، ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الّذي عقد العقدة لمصلحته، وقايض لفلسطين لمصلحته هو الّذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلا تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم وهيهات لما يروم".[1]

فهنا نرى الإبراهيمي يهتم بالقضايا القومية والعربية ويدافع عليها، ويدعو لتبنيها، فكانت لها نصيبا من كتاباتها فلسطين نموذجا حين خصص لها مقالا وسماه "تصوير الفاجعة" وهو يحوم حول قرار التقسيم لأرض فلسطين، يستفتح الإبراهيمي قوله في هذا النص بحوار يستعمل فيه الخطاب ويستعمل أساليب متنوعة كأدوات الاستفهام والتعجب في قوله: "أيظن الظانون؟!" والنفي والقسم "لا والله" فهو يناول أطراف الحديث في كثير من مقالاته بلهجة خطابية يستحضر فيها مستمعيه بذهنه الخاص، وقد ترتفع هذه اللهجة

[1]– البصائر، سل2، العدد 5، السنة1، (1366هـ، 1947م)، ص03.

في المقال نفسه- إلى المخاطبة الصريحة الّتي تتوافر فيها شروط الخطاب كاملة دون أن يحيل حائل بين الكاتب (المتكلم) والمستمع المخاطب.[1]

وقوله في موضع آخر "أيها العرب! إن قضية فلسطين امتحن الله بها ضمائركم وهممكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تنال بأنها حق في نفسها، وليست تنال بالهونية والضعف، وليست تنال بالشعريات والخطابيات، وإنما تنال بالتصميم أقوى منه وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتنا منه:

و كونوا حائطا لا صدع منه ** وصفا لا يرفع**[2]

ومنه نخلص أن الإبراهيمي استحضر أدوات الخطاب المباشرة من النداء، وضمير المخاطب، وأدوات التوكيد، والنفي معا، (كأن، ليس) وأفعال الأمر والطلب، مثاله: "فقابلوا التصميم، وقابلوا الاتحاد، بالإضافة إلى ظهور الحماس والذي نتجت عنه هذه اللغة ذات دلالات محدودة، ومقاصد واحدة لا تتعدى المعنى الظاهري المنطوق لأن الهدف هو التوعية الاجتماعية والسياسية وهي ذات أساليب منفردة في شتى المقالات الاجتماعية والدينية والسياسية، المقصد منها أن يستقطب همم الشباب ويوقظ الضمائر ويحددها من الركود وتقويم الأعمال والإعمال على إصلاحها وتعزيز القيم الإنسانية، ولهذا لجأ الإبراهيمي إلى النبرة الخطابية على اعتبارها أقصر طريق لتبليغ وتأدية المهمة القولية والكلامية، فبلغت في نفوسهم حماسة الّذي كتب به أو ألقى به الخطبة أو المحاضرة لذا هي من أهم ميزات

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي أدبيا، المرجع السابق، ص319.

[2] - محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3، ص320.

[3]- البصائر، سل2، العدد 5، المرجع السابق، ص03.

الفن الخطابي على الجمل القصار والمعاني الموجزة، واللفظ المميز، فهو يشد مستمعيه وقارئيه بموهبة التأثير والذوق والجمال فيجد منهم تجاوبا وانفعالا".[1]

ثالثا: المستوى التقريري.

هناك علاقة وثيقة بين الأسلوب الخطابي والأسلوب التقريري، لما فيه من مباشرة، وعرض وسرد، لما فيهما من تقريرية للحقائق الّتي يقصدها الأديب، ويريد توصيلها إلى القارئ أو المستمع بأمانة، والإبراهيمي يميل أحيانا كثيرة إلى لغة ذات مستوى تقريري تتطلبها الغاية ويفرضها الموقف سواء أكان ذلك في الخطبة أم في مقالة بأنواعها، ومثال ذلك قوله: "إن القوة –إذا لم يزنها العقل– ضعف، وإن العلم– إذا لم تحطه الحكمة جهل، وإن الملك– إذا لم يحميه العدل– زائل، وإن سلاح الحق من حرير، يفل سلاح الباطل من الحديد، وإن (السيادة)، ليست حسنى ولا زيادة، وإنما هي استعباد ببعضه للعباد ورب العباد، ويا ويح الأقوياء من غضب الله وغضب المستضعفين من عباده".[2]

يمثل هذا المنطق تسيير اللغة عند الإبراهيمي في كثير من كتاباته، كما يقترب هنا التقرير من نهج الحكماء في معارض أقوالهم وحكمهم الّتي تتعارض من منطق العقل والحقيقة، وتتجلى هذه الظاهرة في معظم آثاره نتاج التجارب ومعاصرته للأحداث الّتي عايشها خلال عصره.

لذلك وجب على الدارس أن ينبه إلى خطورة الأسلوب أثناء قراءته وتقصيه لأن الأسلوب يحتاج إلى فهم وإدراك كلي وتدقيق للصورة والفكرة والشعر، فالقارئ لا يهتم بالأسلوب، يفهم الأثر الأولي فهما بائسا للصور والشعور والأفكار، مثله كمثل الّذي لا

[1]– محمد البشير الإبراهيمي أدبيا، المرجع السابق، ص321.

[2]– البصائر، سل2، العدد 111، السنة 3، (1339هـ، 1950م)، ص01.

يتحسس تفاعل ألوان الوجه، ولا ينظر إليها متكاملة، ولذلك لا يفهمها في الحقيقة لأن تفاعل الألوان هو من أول عناصر الصور المرسومة.[1]

ومن هذا المنطلق نستطيع القول إنّ لكل أديب أسلوبه، وطابعه الخاصّ في كل إنتاجاته الأدبية، والعمل الفنّي؛ "لأنّ الطّابع الشّخصيّ لا يفارق صاحبه في لحظة من اللّحظات، وكل أدب هو أدب في الحقيقة من هذه الناحية".[2]

وربما قام الجدل من هذا المنظور، حول قضية الأسلوب، فبعضهم يرى أنّ الأسلوب هو الرّجل نفسه ويذهب هذا المذهب محمد مندور في قوله: "وفي الأدب الموضوعي تتركّز شخصية الأديب، وعبقريته المتميّزة فيما يسمّيه الأوروبيون بالأسلوب (*STYLE*)، عندما نراهم يقولون: "إنّ أسلوبَ الرّجل هو الرّجل نفسه"".[3]

في حين يرى البعض الآخر أنّ الأسلوب من الرجل نفسه، أي جزء منه وهذا ما ذهب إليه بوفون "*Buffon*" الفرنسي بقوله: "إن الأفكار والحوادث والمكتشفات مشتركة بين الناس ولكن الأسلوب من الرجل نفسه".[4]

ومنه نخلص أنّه مهما كان الاختلاف، أو الاتفاق حول ماهية الأسلوب، إلّا أنّه يُمثّل الصّورة الحيّة لشخصية صاحبه، ويكشف عن طريقته الّتي يتبعها في كتابته، كما يوضّح فكرة وشعوره، والشّاهد هنا أن الأسلوب عبارة عن: " الملامح الّتي تميز الأفريقي عن

---

[1]– تشيتشرس، الأفكار والأسلوب في الفن الروائي، تر: حياة تنرارة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، (1978)، ص21، نقلا عن: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص324.

[2]– سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، ط3، 1959م، ص21.

[3]– محمد منظور، محاضرات في الأدب ومذاهبه، معهد الدراسات العربية العالية، دط، 1955، القاهرة، ص11.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، المرجع السابق، ص324.

الآسيوي، مثلا: هذا عن ملامح الوجه والقسمات والتسميات المادية اللاإنسانية، فما بالك بملامحَ الروح".[1]

مما سبق نستنتج أنّ أسلوب الإبراهيمي أسلوب خاصّ، ومميّز في عصره، وهذا ما أكّد عليه عبد "الملك مرتاض"في قوله: "فإذا رأيت أسلوب الإبراهيمي قويا جزلا، ومتينا، رصينا، فبما حفظه لامرئ القيس، وغيره من فحول الشعراء عبر العصور الأدبية المختلفة". فهذا يدلّ على قوة حفظ الإبراهيمي، وقدرته على استرجاع ما حفظه، وهذا ما يُوضّح قوّة ذاكرة الكاتب، وفي ذات السياق تابع عبد المالك مرتاض في إبداء رأيه حول أسلوب الإبراهيمي، مُضيفا بقوله: "وإذا رأيته يجنح أحيانا إلى السجع، فلا تحسبن ذلك تكلفا وتصنّعا منه، وإنّما هو أمر طبيعي بالقياس إلى أديب ينبغي أن يكون قد حفظ أطرقا صالحة من هج البلاغة، ومتون المقامات، وأحاديث الأعراب...".[2]

والجدير بالذكر أنّ الذاكرة وحدها لا يمكن التّعويل عليها، بمعزل عن الثروة اللغوية من آثار غيره ومكتسباته القبلية، والبيئة الّتي تلقّن منها تكوينه الأول، فالذاكرة ما هي إلا عامل من بين العوامل المساعدة، فالتّعبير موهبة مهمّة في طرق الموضوعات، والقدرة على التّصوير الفني السليم لا تتحقّق دون ناصية اللّغة، والتبحّر في علومها، كما أنّ هذه الذاكرة والقوّة في الحفظ لم يمنعا الإبراهيمي من الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، محاولة منه صناعة العبارة، ونسجها، والتحكم في تركيبها، والاستعانة بالموروث الثقافي والأدبي عامة، فاقتباس الإبراهيمي من القرآن الكريم يضفي على أسلوبه جمالا، ورونقا،

[1]– عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925م–1954م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1971م)، دط، ص119.

[2]– عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925م–1954م)، المرجع السابق، ص119.

وقـوّة، وحجّـة في القـول، وتوظيفـا ملائمـا حسـنا، ومثـال ذلـك قولـه: "أمّـة كـالأمم حلّـت لهـا ويلات الحرب كما حلّت لغيرها، وذاقت لباس الجوع والعري، والخوف".[1]

من خلال قوله نلاحظ أنّ الإبراهيمي اقتبس كلامه من القرآن الكريم في قوله: "وذاقت لباس الجوع والعري والخوف"، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [2]

كمـا يتحـدّث عـن إبـادة المسـتعمر في قولـه: "ويحـدثهم الاسـتعمار بلغـة الـدم، ومنطـق الأشـلاء، أنـه إنمـا أقـام سـوق الحـرب البشـري حياتـه بمـوتهم، ولـيرمم جـداره بهـدم ديـارهم، فـإذا بقـي مـنهم كلـب بالوصـيد، أو مـن ديـارهم غـير حصـيد، قضـي ذلـك المنطـق فيـه بالإبـادة والمحو".[3]

وهذه المرة قد اقتبس من سورة الكهف بقوله كلب بالوصيد وجاء في الآية الكريمة ما يعذر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ .[4]

وقولـه في موضـع آخـر: "أيشـرفك أن ينقلـب الجزائـري مـن ميـدان القتـال إلى أهلـه، بعـد أن شـارك في النصـر لا في الغنيمـة، ولعـلّ فرحـه بانتصـارك مسـاوية لفرحـه بالسـلامة- فيجـد الأب قتـيلا، والأمّ مجنونـة مـن الفـزع، والـدار مهدومـة أو محروقـة... والعـرض منتهكـا... والصّغار هائمين في العراء".[5]

---

[1]– البصائر، سل2، العدد 35، السنة 2، (1368هـ، 1948م)، ص02.

[2]– سورة النحل الآية : 112.

[3]– البصائر، المصدر السابق، ص02.

[4]– سورة الكهف الآية 18.

[5]– البصائر، العدد 35، المصدر السابق، ص02.

وقد اقتبس الإبراهيمي من سورة الانشقاق لفظة "ينقلب"،إذ يقول تعالى:﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾ [1].

هذه بعض النماذج الّتي تشير إلى اعتماد الإبراهيمي على الاستشهاد، والاستدلال، والاقتباس من القرآن الكريم دلالة واضحة على ثقافته الدّينيّة الواسعة، أما الاقتباس من الحديث النبوي الشريف لا يقل أهمية عن اقتباسه من القرآن الكريم، وسنذكر بعض الأمثلة مما جاء في آثاره، ومن ذلك: "و يا نشيد الحق في جامع المبطلين... لا ردّ الله ضالكم".[2]

وقد اقتبس الإبراهيمي قوله "لا ردّ الله" من الحديث النبوي الشريف: {من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المسجد لم تبن لهذا}.

وقوله: "ألا هل بلغت؟ اللّهم اشهد!".[3]

وهنا اقتبس الإبراهيمي كلامه من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجّة الوداع، كما اعتنى الإبراهيمي بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واقتبس منهما.

وكان للشعر العربي نصيب من اقتباسه، ويظهر ذلك في الإتيان بالأبيات كاملة، أو جزءا منها كقوله:

أما آن لعشاق سلمى أن يقولوا ** صحا القلب عن سلمى**[4]

هذا المقطع من بين زهير بن أبي سلمى (البحر الطويل):

---

[1]– سورة الانشقاق الآية 09.

[2]– البصائر، س2، العدد 118، السنة 3، (1369هـ، 1950م)، ص01.

[3]– البصائر، س2، العدد 30، السنة 3، (1367هـ، 1948م)، ص02، ينظر: مسلم بن حجاج النيسبوري، صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، رقم الحديث 221، ج1، ص201.

[4] – أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ظبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ-1987، ج1، ص 377.

صحا القلب عن سلمى وأقصر ** وعري أفراس الصبا ور واحله[1]**

وقوله: "ويحكم أحيوا العدل وانشروه، وأميتوا الاستعمار... فإن لم تفعلوا فأيقنوا أن كلّ ما تنفقونه من جهد، ووقت، ومال في تكوين الاستعمار ضائع، ولا الحمد مكسوبا، ولا المال باقيا".

وقد اقتبسَ من بيت المتنبي (الكامل):

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا[2]**

لم يكتفِ الإبراهيمي بالاقتباس من الأدب العربي، أو من مصادر الشّريعة، بل جنح إلى الاستشهاد بأقوال اللغويين، والبلاغيين، والنحاة، يقول: "كأن الموصوف لكثرة ما ألحت عليه الصفحة وغلبت أصبح هو هي أهو إياها".[3][4]

كما لا يفوتنا أن نذكر رأي أحد أفراد عائلته الّتي تعرفه حق المعرفة، وهي الأقرب إلى وصف أسلوبه أسلوبا دقيقا، يقول "أحمد طالب البشير الإبراهيمي": "... أن الّذين كانوا يقرؤونها (ويقصد مقالات البشير الإبراهيمي الأدبية، والفكرية، والاجتماعية، والسّياسية) في للمشرق، كانوا يواجهون أسلوبا أشدّ ما تكون الأساليب رصانة، وأقوى ما تكون جزالة وأقدر ما تكون على التفنن في المعالجة... كان له من المشارقة صفاء البيان، ومن المغاربة منطقية العرض، وكان من أسلوب القرآن الكريم –تنوّعا وأصالة– استمداده واستلهامه".[5]

أ/– القوّة والعُمق:

تشكّل اللّغة في أدب الإبراهيمي الخليّة الحيّة لقياس درجة العمق، والقوّة الّتي يرتقي إليها أدبه، ويلتقي مفهوم اللغة والأدب، ويُصبح عنده محتوى العمل الأدبي أيضا– أفكارا

---

[1]– البصائر، سل2، العدد 04، السنة1، (1366هـ، 1947م)، ص01.

[2] – أبو علاء المعري، لامع العزيزي، شرح ديوان المتنبي، تح محمد سعيد الملوي، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،ط1، 1429-2008، ج1، ص1464، ينظر: أبو عباس الأسدي المهلبي، المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، تح عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 1424-2003، ج2، ص236.

[3]– البصائر، سل2، العدد 33، المصدر السابق، ص01.

[4]– ينظر، البشر الإبراهيمي أدبيا، محمد عباس، ص331.

[5]– مقدمة عيون البصائر، ص07.

قائمة بذاتها.[1]، فاللّغة قوّية وعميقة عمق وقوّة شخصيته، ذات دلالات وتفسيرات عميقة أيضا، وتتعدّى المتانة والقوة إلى المقصود والمعنى الّذي تحمله معها وارتباطها بالمضمون الّذي يدلّ على سلاسة الفكرة، ووضوحها، وثقل الفكرة والأفكار الّتي يتبناها بقلمه وعقله يقول: "ولكن سوء هذا القلم أن تناثر العروق الخفية حبنا بعد حيث- بالظلم، ملفوفا بالعلم، وبالمغلطات في صورة نصائح، وأن يستحقنا هؤلاء القوم، ويقصد هاهنا بالقوم المستشرفين الّذين يسيرون في ركب الاستعمار ويدينون بفكره وينشروه، ... وأن يلهمونا بالخيالات عن الحقائق فنلهو، وأن يستغفلونا عن ديارنا فيصبحوا سادة فيها، ونصبح عبيدا، ثم هم يستغفلونا عن ديننا ولغتنا فيصبحوا أئمة فيها، ونصبح مقلّدين، وأن يغزونا الاستعمار الفرنسي (الأوروبي) بالحديد حتى بفل غزانا بالرأي، والكتب، والعلم، والعالم، وأن تتعصى عليه أقفال عقولنا فيجد مفتاحها عند المستشرق".[2]

ولم ينسَ الإبراهيمي المشكلات الّتي عاشها المجتمع الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية ، فقد تطرّق إليها بشكل عميق وفي مقدمتها مشكلة الاستعمار، وجعل منها محركا رئيسيا تتحرّك حوله الانحرافات الاجتماعية في جميع ميادينها من فقر، وجهل، وفقدان الشخصية، ومضايقة الدّين، وتشديد الخناق على الفرد الجزائري، ومحاصرة اللغة العربية، ومنع تعلّمها، وانتشار ظاهرة الانحلال الخلقي، وغيرها من المعضلات الّتي اهتمّ بها، ويحوي أدبه قيما شعورية، ونصائح توجيهية خاصة للشباب؛ ليرسم له معالم الطريق الصّحيح، فهو كاتب وطني وقومي له رؤية واضحة ذات منبح إصلاحي، ويستند الإبراهيمي في أدبه في عملية طرح المشكلة وتقسيمها إلى جزئيات وجذور فكرية قصد معالجتها، كأن يعمد أحيانا إلى التاريخ، وإلى الثقافة، وإلى الحقيقة العلمية الّتي استند إليها الباحث في كشف الحقائق،

[1]– جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر (1974)، القاهرة، دط، ص390.

[2]– البصائر، سل2، العدد 115، السنة3، (1399هـ، 1950م)، ص01.

يقول: "إنّ لشعب الجزائري فرع باسق، من تلك الدوحة الفينانة، وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء، عدت عليه عوادي الدهر، فنسى مجد العروبة. ولكنه لم ينسَ أبوتها، واستيلاء الاستعمار-عن قصد- بالبليلة، فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضاد، ولم يبق من العروبة، مع هذا أو ذاك الأسماق، وشمائل...".[1]

من خلال ما سبق ذكره تظهر قوة والروح والعمق الّذي يكتب بها الإبراهيمي، وحسّه المرهف، وكذا المسؤولية الّتي أخذها على عاتقه في بيان الحقائق للشعب الجزائري، ورفع الجهل عنه وتوعيته، فيتّضح لنا من خلال النص أنّ الإبراهيمي له تجاربَ عميقة انعكست على كتاباته، وتميز هذا العمق بالوضوح، وعدم الغموض والاهتمام بجواهرَ الأفكار، وعناية بالأفكار الأساسية للموضوع، فنجده يجعل الأفكار الثنائية تتألّف وترابط في إتمام الصورة الكاملة للموضوع، واستطاع بذلك اكتساب الملكة اللغوية، ومنه الحصول على أسلوب عظيم؛ لأنّه جمع بين العقل، والمنطق، والحكمة، واستطاع أن يوثّق تجاربه كشاهد على إرثه الثقافي المتنوّع بين أصالة الشخصية، وتأثره بالأدب العربي، ونهله من مصادرَ التشريع القرآن الكريم، والحديث النبوي.

وبهذا المفهوم يكون الإبراهيمي رائدَ جمهوره، وقائدا في أدبه وفكره، أيقظَ الشّعور الجمعي في الفرد والأمة، والعمق عنده وليد تجرِبة طويلة، ناتجة عن الظّروف والأحداث الّتي يكتب فيها، ومن اتّصاله بالمجتمع اتصالا مباشرا، واطلاعه الواسع على خصائص مجتمعه بإيجابياتها وسلبياتها، فترتب على عمله هذا حصره للمشكلات الأساسية بنظرة عميقة، وهذا ما شكل عنده الأسلوب الرصين والقوي وهذا ما جعله يعتز بنفسه في قرارة نفسه بقوله: "... ولو غير نفس العربي المسلم كانت، وغشيها من صدأ السنين وعنت الأيام ولؤم التحكم ما غشي النفس العربية المسلمة-للانت، ثم هانت، ثم ذابت وادغمت، أولا

[1]– البصائر، سل2، العدد2، السنة 1، (1366هـ، 1947م)، ص01.

طمأنت إلى شيمة العبيد، أبد الأبيد، ولكنها النفس العربية المسلمة، تركّز في التراب ولا تبلى، وتراوحها الأنداء فلا تصدأ، وتصلى النار ولا تحترق، فقولوا للذين يريدون طمس التاريخ، ومحو الخصائص النسبية، والمعاني الإرثية، اطمسوا ما شئتم مما سطرته الأقلام في الكتب، أما ما كتبته يد الله في النفوس، فمحال أن تطمسوه، ولأنتم أعجز من ذلك ولا كرامة، وإن نبض عرق واحد بخصيصة دمومية، ليضع عليكم جهد العقول والسنين".[1]

ب/–القيمة الفنية:

تتكوّن الخصائص الفنيّة في أدب الإبراهيمي كوحدة فنية مترابطة، وتحافظ على علاقة الالتحام بين الشّكل والمضمون في أعماله الفنية، فمن حيث الشكل فإنّ طريقة الإبراهيمي خاصّة به، في انتقاء الألفاظ وتأليف الكلام وفي منهجية الطرح، ومعالجة المواضيع، في عملية التقديم والتأخير، والفصل، والوصل، والتوازن والتقسيم في الأسلوب.

وأمّا من حيث المضمون فإنّ أدبه ذو قيمة نفعية، و غاية هادفة كما يبيّنها عمله الأدبي، إذا كان القصد من وراء المضمون هو "الاتجاهات الخلقية، والنفسية، والقيّم الإنسانية في العمل الفني...".[2]

واستطاع الإبراهيمي من خلال كتاباته أن يحدّد ملامح أدبه بنفسه، حين ما تعرّض إلى الأدب العربي في العصر الحديث بقوله: "إنّ الأدب العربي هو الرباط الّذي لم تفلح السياسات الإقليمية المقرفة في حلّ عروبته والّذي يبقى على الدهر يجمع العروبة، ويوحّد آلامها وآمالها، فإذا أفلح المستعمرون وأذنابهم في تشكيكنا في أصالته، وتحطيم خصائصه لم يعد لأدبنا هذه الذاتية القوية العارمة، من أجل هذه الخاصّية الجامعة الّتي يرهبها أعداؤنا،

---

[1]–البصائر، سل2، العدد2، السنة 1، (1366هـ، 1947م)، المصدر السابق.ص02.

[2]– إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط5، (1985م)، ص190.

ويعملون على سحقها، يجب أن يظلّ أدبنا عربيا، يستمدّ شخصيته وأهدافه من حاجاتنا الواقعية لا المفتعلة ولا المزيفة".[1]

ومن هنا نستخلص أن الإبراهيمي كشف الحقائق بتعلّمه، ممّا يؤكّد عمق فكر الإبراهيمي، وإدراكه للحقبة الّتي عاش فيها، وانفعاله واندماجه مع القضايا، والمشكلات الّتي واجهها مجتمعه، وكيف استطاع أن يصوّر الحالة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية داخل المجتمع الجزائري بحكمة، ووعي، ومنطق، ومنهج واضح وصريح الدّلالة حتى كاد أن يكون مؤرّخا، كما تميّز بحسن الصّياغة والأسلوب في أعماله الفنية؛ لأنّ الإبراهيمي كان يميل إلى عنصر التشويق، وقد ساعده في ذلك قوّة اللغة، والمقدرة على التعبير، وهي أصالة في نفسه، فكان يتحكّم في عملية توظيف العناصر البلاغية، ويحسن توظيفها، من دلالات لغوية للألفاظ، ومن الإيقاعات الموسيقية للكلمات والتراكيب، والصّور البيانية، ومنهجه في طرح الأفكار وعرضها ما يتوافقُ مع الأحداث مما يحدث ترابطا بين الأفكار، واستاقها، وانسجامها مع الحالة النفسية، والشّعورية له، يقول: "موفقه من حال مصر: "عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق، تتكسر عليها أمواج الباطل، فكوني أصلب مما كنت وأرسخ قواعد مما كنت تنحسر الأمواج وأنتِ أنتِ أقدمت فمضي... وبدأت فتممي... وحذار من التراجع، فإن اسمه الصحيح "الهزيمة"، وحذار من التردد، فإنه سوس الهزيمة "".[2]

وفي موقف آخرَ كان يبرز مشاعره، ويبثّ حزنه وتأسّيه على مصرَ مخاطبا إيّاها: "تأسى لك- يا مصر- أن أنزلتك الأقدار بهذه المنزلة الّتي جلبت لك البلاء، وجرّت عليك الشقاء، "سمَّوكِ" عروس الشرق فكأنما أغروا بك الخطاب... وسموك بمنارة الشرق فلقنوا إليك الأعين الخزر... ولو

[1]- أنور الجندي، الأدب العربي الحديث في معرفة المقاومة والجدية والتجمع (1883هـ، 1959م)، مصر، مطبعة الرسالة، دط، دن، ص97، ينظر، البشير الإبراهيمي أدبيا، محمد عباس، ص348.

[2]- البصائر، سل2، العدد 128، المصدر السابق، ص02.

دعوك لبوءة الشرق؛ لأناروا بهذا الاسم في النفوس معاني رهيبة، منها دقّ الأعناق، وقصم الظهور، وتزيل الأعضاء، وقديما سمو بغداد "دار السلام"، فجنوا عليها، وكأنما دلوا المغرمين عليها...".[1]

ومنه نستنتج أنّ القيمة النفعية والقيمة الفنية لا يمكن الفصل بينهما في الأعمال الأدبية للإبراهيمي، فهذا الأدب نِتاج ظهور هذه القيمة إلى الوجود؛ بفضل اعتناء الإبراهيمي بالقضايا الوطنية، والقومية العربية الإسلامية، يتخلّلها أسلوب نابض بالحياة، نابع من فكر أصيل وناضج، عنوانه التجارب والأزمات الّتي عرفها المجتمع الجزائري خاصة، والأمّة العربية عامة، فتشكّل عنده الإدراك والفهم، كما سعى إلى إحياء التراث العربي، ومُحاربة تخريب اللّسان العربي في الجزائر، تحرّكه مشاعر صادقة وجياشة، وشعوره بالمسؤولية اتجاه الوطن الأكبر تحت راية الإسلام فلم يجد أحسن من اللغة كوسيلة تواصلية يحقّق بها أهداف حضارية، بفضل تمكّنه من ناصية اللغة، وحسن التوظيف، والاستدلال، والاستشهاد، وقوّة الإقناع.

[1]– البصائر، سل2، العدد 128، السنة5، (1371هـ، 1952م)، ص01، ينظر، مجلة الرسالة (المصرية)، العدد 968، سنة 20، (1371هـ، 1952م)، ص73، ص74، ينظر البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص350.

المبحث الثاني: الأنواع النثرية في كتابات البشير الإبراهيمي.

المطلب الأول: فن المقال وفن الخطابة.

عرفت الجزائر برجالها في مختلف الميادين، كلّ منهم قدّم لها وِفق ما يستطيع، وفي حدود قدرته البشرية ومن بين رجال الجزائر الّذين ذاع صيتهم في مجال الإصلاح والنصح والإرشاد، وحتى اللغة نذكر البشير الإبراهيمي، الّذي كرّس وقته، وجهده في سبيل الجزائر، وأبنائها، خاصة وأن الفترة الّتي عاصرها البشير الإبراهيمي تزامنت مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، فوجدت الجزائر نفسها آنذاك محاطة بكلّ أنواع السّلب الذاتي من محاربة الهوية والقضاء على اللغة العربية، والإسلام، واستفحال الجهل، والأمية، وانتشار الفقر، والبطالة، وتدهور الأوضاع السّياسية، والاجتماعية، والأدبية؛ ممّا انعكس سلبا على المستوى الثّقافي والعلمي في الجزائر، وهذا ما دفع البشير الإبراهيمي إلى مواجهة هذه المشاكل الّتي واجهت المجتمع الجزائري على غرار أقرانه من العلماء، باعتباره عالما مُصلحا بالدرجة الأولى، فاتخذ من الأدب وسيلة فنيّة؛ لتمرير رسائله الإصلاحية، وتمثلت هذه الرسالة في فنّ المقال؛ لأنّها لأبلغ، والأنجع، والأنسب للتعبير عن عواطفه المتأججة، وتفجير طاقاته الإبداعية، كما اهتمّ بالمقال بدراسة وعرض مختلف القضايا الّتي عانى منها المجتمع الجزائري، نذكر منهما القضايا الاجتماعية، الدّينية والسّياسية.

أولا:ماهية فنّ المقال.

1- المقال لغة:

إذا استعرضنا ما ذكرته المعاجم اللغوية نجد "الفيروز أبادي" يذكر في مادة "قال" "القول الكلام، أو كل لفظ ما دلّ به اللسان، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل، أو القول في الخير، والقال والقيل في الشر، أو القول مصدر والقال اسمان له، أو قال قولا وقيلاً وقولة ومقالاً فيهما".[1]

وجاء في لسان العرب: "قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة" [2]، لقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [3].

ومنه ينصرف المعنى اللّغوي للمقال إلى أنّه شيء يُقال، واستخدم أيضا لفظ مقالة بمعنى البحث في مسألة أو المذاهب الدينية، إذا يقسّم الكاتب إلى مقالات، كلّ منها تتطرّق إلى موضوع دينيّ، أو فلسفيّ.[4]، وعليه نستطيع القول إن لفظة مقالة لم تكن متناولة في المعنى الّذي يستخدم في اليوم.

2- المقال اصطلاحا:

أما فيما يخصّ المعنى الاصطلاحي، فإنّ المقال قطعة نثرية نابعة عن فكر الكاتب، تتحدّث عن مجموعة من الظّواهر، والأحداث، والتطوّرات[5]، ومن أهمّ ما يتميّز به فنّ المقال أنّه يختصّ بمعالجة الموضوعات العامة والخاصة، بأسلوب العرض، والتحليل، والاستنتاج، هادفا إلى تقديم رؤية فكرية وترجمة لهذه الأفكار بقدر من الشّمولية والعمق،

---

(1)- الفيروز أبادي، القاموس المحيا، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009م، ص1104.

(2)- ابن منظور، لسان العرب مادة (ق. ول)، عامر أحمد حيدر، دار صادر، بيروت، ط7، 2004م، مج12، ص221.

(3)- سورة فصلت الآية: 32.

(4)- شرف عبد العزيز، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دار الجبل، بيروت، (د.ط)، 2000م، ص19.

(5)- جمال الجاسم محمود، فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد الأول 2008، المجلد 24، ص445.

ويعرّفها "أحمد أمين" بقوله: "فمن أهمّ صور النثر الأدبي وأمتعها، وهي إنشاء نثري قصير كامل يتناول موضوعا واحدا، غالبا ما كتبت بطريقة لا تخضع لنظام معيّن، بل تكتب حسب هوى الكاتب، ولذلك تسمح للشّخصية بالظّهور، والمقالة النموذجية تكون قصيرة، ولكن القصر ليس صفة ضرورية، فقد تكون المقالة طويلة، والسرّ الأعظم فيها أنها لا تخضع لنظام كما ذكرنا سالفا، أو صورة محدودة في كتاباتها بل تتبع هوى الكاتب وذوقه"[1]، وبذلك فالمقالة الأدبية مادّتها المعرفة، وهي نسيج يستمد عناصره من القصة، أو الشعر، أو المسرحية، ففيها يعالج الكاتب أفكاره، مجاورا أو واصفا للنّفسيات.[2]

ونستخلص مما سبق أن المقالة لها أسلوبها وطابعها ولغتها الخاصة الّتي تتفرد بها من غيرها عن باقي الفنون النثرية.

3- أنواع المقال:

أ- المقال الأدبي: المقال الأدبي "تعبير صادق عن تجارِب الكاتب الخاصة، والرواسب الّتي تتركها انعكاسات الحياة وتقلّباتها في نفسه، وهي في أحسن حالاتها ضرب من الحديث الشخصي الأليف، والثرثرة، والمسامرة، والاعتراف والبوح"[3]، فالهدف من المقال الأدبي تبيان أغراض جمالية، ويتوخّى درجة عالية من رونق التعبير، كما يتوخّاها الأديب الّذي يرى الجمال غاية في ذاته، وهدفا وغرضا يسعى إلى تحقيقه[4]، وإلى جانب ذلك كثيرا ما يتوفّر المقال عنصر المفاجأة، ودليل على براعة الكاتب، وذكائه، والحسّ الفكاهي، وحضور السخرية الناعمة، أو الحادة، نبعا لاتجاه الكاتب، وألوان شخصية، ومذهب[5]، ومن أهمّ الخصائص الّتي يتميّز بها هذا النّوع هي: التّعبير عن وجهة نظر الكاتب الشّخصية الّتي

---

(1)- أحمد أمين، النقد الأدبي، لجنة التأليف والنشر، (د،ط)، 1952، ج1، ص99.

(2)- عبد العاطي شلبي، فنون الأدب، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005، ص56-57.

(3)- محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1966، ص102.

(4)- عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د،ط)، القاهرة، 2000، ص23.

(5)- المرجع السابق، فن المقالة، ص102.

تجذب القارئ، مع استعمال الصّور الّتي تجعل من المتلقي ينسجم مع ما كتب الكاتب إلى عالم أرحب خيالا من ألوان البيان والبديع،الّتي تضفي على المقالة رونقا وجمالا، ومن هذا النوع نجد:

ب– المقال الاجتماعي:يهتمّ المقال الاجتماعي بالمشكلات الّتي يشهدها المجتمع بجميع أطيافه، ومن المواضيع الّتي يتبناها هذا النوع من المقال الآفات الاجتماعية، حيث يتعرّض الكاتب لمثل هذه القضايا الاجتماعية، حيث "يبسط الكاتب أفكاره ليحلّ مشكلة اجتماعية، أو يعالج ظاهرة اجتماعية تهدّد أمن المجتمع، كمشكلة الفقر، أو السّكن، أو ظاهرة البطالة، أو الهجرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، وغيرها من المشاكل الّتي تعترض تقدّم المجتمع ورخاءه".[1]

أمّا جمعية العلماء المسلمين، فقد خاضت صراعا حالكا مع الاتجاهات الفكرية المناهضة لها، ممّا أدّى إلى تطوّر فنّ المقال ورواجه، حيث فترة ما بعد التأسيس، هذه الجمعية كانت "فترة ازدهار فن القضايا الأدبية في الجزائرية"[2]، فقد كان لها الأثر البالغ، والدّور الملموس حيال القضايا الاجتماعية، فكان لا يقلّ أهمية عن باقي القضايا الأخرى الّتي تتّصل من ذلك الاهتمام النابع من اهتمام الفكر الإسلامي به؛ لأنّ "الإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام"[3]، وهذا دليل على العلاقة الوطيدة بين الإصلاح الاجتماعي والإسلامي، ولهذا عمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الجمع بين الإصلاح الديني، والاجتماعي لتلازمهما.[4]

---

[1]– صابر عبد الدائم، حسين على محمد، فن المقالة، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، (د،ط)، (د،ت)، ص26، نقلا عن.

[2]– ينظر، عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة والنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص35 .

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط2، ص103.

[4]– الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1963، ج1. ص215.

لهذا استطاع الإبراهيمي من خلال مقالاته الاهتمام، وتسليط الضّوء على أهم القضايا الاجتماعية الّتي استقطبت وكدهم كالوحدة وقضايا الأسرة، والدّعوة إلى التكافل والتآزر، ورؤيته إلى المرأة وقضاياها، والشّباب سواعد هذه الأمة، والتعليم الّذي يعدّ شرطا من شروط نهضة أي أمة، وغيرها من القضايا الّتي لها علاقة بالمجتمع وعلى سبيل المثال مقال: "الدّعوة إلى الوحدة، والتّكافل الاجتماعي، فقد كان من بين المواضيع المطروقة الّتي عالجها فنّ المقال كنتيجة حتمية الّتي آل إليها المجتمع الجزائري من فرقة، وتمزّق، وسوء خلافات بفعل السياسة الّتي لجأ إليها المستعمر الفرنسي؛ من أجل تسهيل عملية التّنصير، وكتعبئة شعبية، لكي يشتغل المجتمع الجزائري عن ما هو أهمّ "الحرّية"؛ لأنّ الفرنسيين أرادوا أن يضربوا نقاط القوة في المقاومة الجزائرية، وفي مقدّمتها الوحدة الوطنية" [1]، ونفس الفكرة تطرّق إليها أدباء الجمعية، وأشار إليها من خلال كتاباتهم، وكاتب دعوتهم إلى الوحدة والإخاء بين الشّعوب، والأمم مستمدّين هذا وذاك من نصوص قرآنية إلى الوحدة، ونبذ الخلافات لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

ومنها نستخلص أن القرآن الكريم دعا الأمم والشعوب إلى الوحدة والتماسك والتآزر.[4]

ب- المقال الدّيني: يحاول هنا صاحب المقال إبراز وإظهار عاطفة دينية صوبَ موضوع نقائدي، أولّه علاقة بمعتقدات المجتمع، حيث يزخر هذا المقال بالقيم الدينية، والإخلاص لما تدفعه إليه، وتظهر القيّم الأخلاقية حسب ما يقتضيه الموضوع من دلائلَ وشواهد، وسبب توجّه الإبراهيمي إلى هذا النوع من المقال هو تدخّل الإدارة الفرنسية في شؤون

---

[1]– أسعد السحرياني، مالك بن نبي مفكر إصلاحي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص34.

[2]– سورة الأنبياء، الآية: 92.

[3]– سورة آل عمران، الآية: 103.

[4]– منير حميد البياتي، النظم الإسلامية، دار النشر، عمان، الأردن، ط1، 1994، ص130.

الدّين الإسلامي، فحاول إقحام فرنسا بأنّ هذا العمل يتنافى مع المبادئ الّتي قامت عليها الدّولة الإسلاميّة، فصال وجال بغية تحرير الدين من السّيطرة "الّتي كانت تعتبر إشرافها على الدّين الإسلامي (مسألة جوهرية) خرقت لأجلها دستورها الّذي ينص على أن فرنسا لا نكبه".[1]

وقد عبّر الإبراهيمي عن هذا في مختلف مقالاته، ومنه مقال بعنوان "الدين مظلوم"، وقد حاول الإبراهيمي تذكير الشّعوب النّائمة بقوله: والدّين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر، مظلوم من أهله إذ لم يدافعوا عنه ولم يأخذوا له بحقّه من ظالمه.[2]

وهذا فيض من فيض مما أجاد به الإبراهيمي وعبقريته في طرح المواضيع، واقتراح الحلول المناسبة لها في مختلف الشّؤون، والقضايا الإصلاحية الّتي تعدّ وعاء فكره، وقوته اللغوية، وبراعته التوظيفية للغة والدلائل، حسب كل مقام، وحسب كل فن من الفنون الكتابية.

ج- المقال السّياسي: وهنا يهتمّ صاحب المقالة بمعالجة القضايا السّياسية القومية، والوطنية في ظلّ تسارع التطوّرات السّياسية آنذاك، وتعدّ أملا للأمة في شيوع استقرار سياسي مزهر[3]، ومن المعلوم أنه لم يشهد تاريخ الأدب الجزائري فضح أسرار السياسة الاستعمارية، ومنهجها الشنيع، فراح البشير الإبراهيمي يقوض أركانها من خلال مقالاته،الّتي ظلت بلاء مقدرا يهدم بنيانها، ويشتّت أنصارها[4]، ويتطلّب المقال السّياسي

---

[1]- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص28.

[2]- الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2،المرجع السابق، ص138.

[3]- صابر عبد الدائم، حسين علي محمد، فن المقالة، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، ج1، (د،ط)، (د،ت)، ص26.

[4]- محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، المرجع السابق، ص141199.

توعّية خاصّة من العاطفة الوطنية الصّادقة، والمضمون الوطني الحماسي، الّذي من شأنه استلهام الهمم وإنهاضها، ويؤكّد هذا الإصلاح السّياسي، ويتّصل بالاستقرار السياسي.[1]

د- المقال الإصلاحي: يندرج المقال الإصلاحي ضمن المقال الأدبي الّذي يعنى بالقضايا الاجتماعية والدينية والسياسية، يبرز فيه الكاتب رأيه في الموضوع المطروق، بهدف النصح، والإرشاد، والتوجيه، وإيقاظ الوعي الجماهيري، وقد دفعت الظّروف الأليمة والشاقّة الّتي عاشها الوطن العربي والإسلامي على غرار الجزائر الّتي وطأها الاحتلال، فشرع الكتاب، والأدباء، والمفكّرين الإصلاحيين العرب إلى الكتابة في الصّحف، والانحراف هذه المهمّة، وكانت مقالاتهم شديدة الحماسة دافئة العاطفة، شديدة اللهجة ذات رؤية مشبعة بالإيمان الصحيح المبدأ الإصلاحي، فكانت تؤثّر على القلوب، وتؤتي أكلها الطيب في الإبان المطلوب.[2]

أما المقال الإصلاحي عند الإبراهيمي، فحظي بمكانة مرموقة ضمن أنواع المقال، وهذا راجع إلى مقدرته الفذّة في بلورة الرأي العام، وذلك من خلال مقالاته المتعدّدة سابقة الذكر، وقد استعمل هذا الفنّ في خدمة الأمة عامة، والجزائر خاصة من خلال رسائله الإصلاحية، في سبيل إنقاذ المجتمع الجزائري، وانتشاله من أوضاعه المزرية.

4- خصائص فنّ المقال عند الإبراهيمي: من خلال ما سبق نستخلص أهمّ مميّزات، وخصائص فنّ المقال عند الإبراهيمي:

---

[1]- عبد اللطيف السيد الحديدي، فن المقال في ضوء النقد الأدبي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ط3، مصر 2003، ص39.

[2]- عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (1931-1945)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (د،ط)، 1983، ص151.

- ✓ أنّه يعكس شخصية الإبراهيمي المفكر الرّصين، صاحب النظرة الثاقبة، والفكرة الصّائبة، والصّورة الصّادقة، يلامس الواقع بمرارة، ويُصيب في مقالاته بحرارة توصّل لهيبها إلى القارئ، فيندمج في واقعها ويتبنى أفكارها.
- ✓ مقالاته منظّمة منسقة مرنة؛ إذ نجد لكل مقال عنوان يتماشى مع مضمون المقال وفق منهجية متسلسلة مقدمة، عرض، خاتمة، فضلا عن تقسيم الموضوع إلى فقرات، تسهّل على القارئ المتابعة، والإحاطة بالفكرة وأجزائها.[1]
- ✓ حضور أسلوب السخرية في كتاباته، باعتبارها هدم لواقع صعب ومرير، وجب الوقوف على مخلّفات المحتلّ، و من ثم بناء واقع بديل، يراه أصلح، وقد وظّفها الإبراهيمي متعدّيا غاية الإضحاك إلى أسلوب ناضج نحو تعبير لاذع، حيث جاء هذا المعنى "والحقّ أنّ السخرية لا تختلف كثيرا عن العنف؛ لأنّ استخدام سلاح السخرية في الأدب ضرب من العنف، فإنما العنف قصف الخصم بقذائف من الكلام، وقصم ظهره بسهام من القول، في حين أنّ السخرية تهكم معنوي شديد اللذع، ثقيل الوطء، عنيف الوقع".[2]

وقد لمع نجم الإبراهيمي في استعمال هذا الأسلوب في مقالاته باعتبار أنّه ذو شخصية قوية، يغير على مبادئ الأمة ومقوّماتها، وتقضيب لبعض الاحتلال وسياساته وعملائه، وكل من هو في فلكه ومثاله: مقال بعنوان "عبد الحي الكتاني ما هو؟ وما شأن؟" والّذي بدأ سخريته دون مقدّمات، إذ لجأ إلى استعمال (ما) لغير العاقل بدلا (من هو؟)، يعرض بهذه الشخصية المثيرة للجدل، فيذمّه من خلال اسمه رغم أنّه متخيّر الأسماء، ويجزّأه إلى جزئين في اللّغة أوّلهما (عبد) بمعنى العبودية والذلّ، وثانيهما (الحي)، ويقصد به المكان، فصار هذا الاسم مدعاة للسخرية، فهو عند الكاتب عبر الحيّ والعبر هو الحمار الّذي يحمل الأسفار ويُساق بالضّرب.

---

[1]– محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص139.

[2]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، المرجع السابق، ص384.

ومن أهمّ ما تميّزت به مقالات البشير الإبراهيمي هو تواجد الفنّ القصصيّ، فمعظم القضايا الّتي عالجها تتحدّث عن قصصها عاشها وعاصرها المجتمع الجزائري، كقصّة الاحتلال، وقصّة التعليم العربي، وفصل الدين عن الحكومة، وكل ما تطرّق إليه يحمل بين طياته أسلوب السّرد القصصيّ، من وصف الشخصيات، وحكي الأحداث، ولكن مع كلّ هذا فالإبراهيمي "يستعمل القصّة على الوجه المعروف؛ لأنّ هناك تناقضات أساسة بين عقلية الإبراهيمي، وبين القصّة إن صحّ القول".

فالإبراهيمي متأثّر أيما تأثر بالثقافة الإسلامية، وأسلوبه النابع عن هذه الثقافة، ومن المعلوم أنّ هذه الأخيرة لا تقوم على الخيال.[1]

ومنه نستنتج إنّ مقالات الإبراهيمي تكشف عن لغة قوّية عميقة للدّلالة ذات ألفاظ دقيقة، تُراعي الموضوع المتناول، فنجده في المقال الاجتماعي لغة تختلف عن لغة المقال السّياسة مثلا، وتخوض مقالاته مواضيع متفرقة بلغة راقية عالية المستوى رفيع، يشدّ القارئ، وتجعله يحسّ أن أمامه موسوعة أدبية، وتبرز في مقالات الإبراهيمي جزالة الألفاظ، وقوّتها، وانسجام، واتّساق الأفكار، وكرم المعاني، وأصالة اللّغة، وحسن التّوظيف بكلّ فصاحة، وفخامة.[2]

ثانيا: فنّ الخطابة.

إنّنا نهدف من خلال هذه الجزئية إلى تسليط الضّوء حول المحتوى الموضوعي لفنّ الخطابة لدى البشير الإبراهيمي، إذ يعدّ هذا الأخير عالما مصلحا، ومجاهدا متألّقا، بعلمه وقلمه فهو يرمي إلى إصلاح حال الشعب والوقوف على نقائصه، ومشاكله، والتّعبير عن حال الأمة وواقعها، ويرسم صورة أفضل وأسرع، فنظّم خطبا عالج من خلالها القضايا الدينية برؤية واعية، وصادقة، نظرا لمعايشته الأحداث والحقائق، وقضايا سياسية كونها معلّما

[1]– شكر فيصل، قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، دار الأمة، العدد 87، 1985ن ص211.

[2]– المرجع نفسه، ص211-212.

حكيما ناضجا مستبصرا لقضايا تربوية، وجاءت هذه القضايا ترجمان لرسائل الّتي أراد لها أن تكون نبراس الحياة للشّعب الجزائريّ.

أولا: ماهية فنّ الخطابة.

اكتسب موضوع الخطابة اهتماما كبيرا منذ الأزل عند العلماء الغربيين والعرب، حيث حمل أفلاطون في محاورته على الخطابة لاهتمامها، بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة.[1]

1- الخطابة لغة:

عرّف"ابن منظور"الخطابة لغة كما يلي: "من خطب: الخَطّبُ: الشّأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر، ينال ما خطبك؟ ما أمرك؟ وتقول هذا خَطْبُ، جليلُ، وخَطْبُ يسير، والخَطْبُ: الأمر الّذي تقع فيه المخاطبة، ورجل خطيب، حسه الخطبة، وجميع الخطيب خطباء، وخِطبُ، بالضمّ خَطابَةً بالفتح، صر خطيباً".[2]

وجاء في أساس البلاغة ل"الزمخشري": "خَطَبَه أحسن الخطاب: وهو المواجهة بالكلام، ومن المجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخطبك الأمر، وهو أمر مُخْطِبٌ، ومعناه أطلبك من طَلَبْتُ إليه حاجة فاطلبني".[3]

2- الخطابة اصطلاحا:

ويعرّفها "قدامى بن جعفر" بقوله: "إنّ الخطابةَ مأخوذة من خَطَبْتَ، أَخْطُبُ خطابة، كما يقال: كنت أكتب كتابة، وأشق ذلك من (الخطب) وهو الأمر الجليل لأنّه إنما يقام بالخطب من الأمور الّتي تجلّ، وتعظّمو بالاسم منها: خاطب مثل راحم، وإذا جعل وصفا

---

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا، الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص13.

[2]- ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، تصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، مادة [خ ط ب]، ص755-776.

[3]- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، (د،ط)، (1420هـ/2000م)، ص167-168.

لازما قبل خطيب... والخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيّم، والضربة من الضرب، وإذا جمعتهما قلت خُطَب وجمع، والخطبة اسم المخطوب به".[1]

ويعرّفها: "أبا هلال العسكري بقوله: واعلم أنّ الرسائل والخطب متشابكان في أنّهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية".[2]

ومن خلال التّعريفين السّابقين يظهر أنّ كل من قدامى بن جعفر، وأبو هلال العسكري أنّهما تطرّقا إلى موضوع الخطابة.

في حين يعرّفها "أحمد محمّد الحوفي" بقوله: "فنّ مشافهة الجمهور، وإقناعه، واستمالته، فلا بدّ من مشافهة، وإلا كانت كتابة، أو شعرا مدونا، فلا بدّ من جمهور مستمع، وإلا كان الكلام حديثاً، أو وصيّة".[3]

كما عرّفها "عبد الجليل عبده شلبي": "هي فنّ المُخاطبة بطريقة إلقائية، تشتمل على الإقناع والاستمالة"[4]، وقد برز في الأدبية الجزائرية من يتقن هذا النوع من الفنون، في مقدّمتهم البشير الإبراهيمي الّذي أتقن هذا الفنّ، وأبدع فيه، بحكم امتلاكه مؤهّلات هذا الفنّ الخطابي، ومنها الملكة اللغوية، وحسن توظيفها في المكان المناسب، وقدرته على الاستدلال، باعتباره معلما ناصحا مرشدا عالما، وفي الوقت نفسه كان مدركا أن الأدب مرآة الحياة، والوجه الّذي يعكس الواقع المعاصر، ممّا جعل كلامه خالداً، ودرسا ليومنا هذا.

3- أنواع فنّ الخطابة.

تعدّ الخطابة من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالواقع المعيش، فهي "تتناول جميع نواحي الحياة العلمية والأدبية، والفلسفية، والاجتماعية، والسّياسية، والدينية، والقضائية"

---

[1]- قدامى بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنا، (د،ط)، (1406هـ/1980م)، ص94-95.

[2]- أبو هلال العسكري، الصناعيين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط2، (1404هـ/1984م)، ص154.

[3]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة مصر، (د،ط)، 2001، ص05.

[4]- عبد الجليل عبدو شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، (1401هـ/1981م)، ص13.

[1]، وتعود المجالات الّتي تعالجها الخطابة إلى تنوّع، وتعدّد أنواعها، فجاءت الخطب الدينية كالّتي ألقاها في حفلة تكريم عبد الحميد بن باديس بمناسبة اختتامه لتفسير القرآن الكريم، وتتميّز هذه الخطبة بظاهرة التعميم في المعاني، والشمولية، والأحداث، أما فيما يخصّ الخطب السياسية كالّتي ألقاها ارتجالا أمام الوفود العربية الإسلامية في الأمم المتحدة بمدينة باريس سنة 1952م، ويدور موضوعها حول التنديد بأعمال فرنسا، وخطورة الموقف، والتحذير من عواقب الاستعمار، والخطب الأدبية مثل الكلمة الّتي ألقاها في مجمع اللغة العربية، والحث على التمسك باللغة العربية في القاهرة، وكان موضوعها يتمحور حول تمجيد لغة الضاد، وغيرها من الخطب الّتي كان من أهم مقاصدها التّوعية، والإرشاد، وإنهاض الهمم والتذكير بقضايا الأمة المصيرية، كما كان يدعو البشير الإبراهيمي من خلال خطبه إلى "استجلاب العبر والعضات من مباحثَ التاريخ، وتسيير أمجاده، مع الحثّ على ضرورة إحيائها، ويتوقف نجاح الجهود على تطهير النفوس من الأمراض الاجتماعية، والنفسية".[2]

وتظهر قيمة الخطابة عند الإبراهيمي في سعيه للقضاء على البدع وترقية النفوس وإنارة دروبها، حيث كان يخطب في كل مناسبة، ثم كان يدفع أقرانه إلى الخطابة بهدف توجيه الشباب في هذا المجال للتدرب على امتلاك ناصية القول فيها، ملحا على العلم في خطابه لأبناء أمّته "إنكم لا تكونوا في العمل إذ كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونوا أقوياء في العلم إلا إذا اقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كله".[3]

من خلال قول الإبراهيمي تتّضح أهمية العلم ومكانته عنده، بدوره المهمّ والفعّال الّذي يلعبه في حياة الفرد والمجتمع، إذ يعدّ الأساس الّذي تتقدّم به الأمم في مختلف

---

[1]– علي بوملحم، الأدب وفنونه، المطبعة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (د،ط)، 1970م، ص135-136.

[2]– محمد بن قاسم بوحجام، من أساليب السخرية في أدب الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد2، 2010، ص72.

[3]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (د،ط)، 1983، ص284.

المجالات، لذلك نرى الإبراهيمي قد ربط قوة العمل بقوة العلم/ ويشير إلى ضرورة التفرّغ له، ويرمي الإبراهيمي إلى توعية الفكر، ورفع عنه غياهب الجهل في مختلف الميادين، ولذلك ظهر لنا جليا تعدد خطبه، فمنها السياسية لإصلاح المجال السياسي، الّذي يعدّ من عوامل، وركائز صلاح الوطن، أما الخطب الدينية فتسعى إلى غرس الإيمان في النفوس، بغية بث روح الإصلاح في فكر الفرد، وتصحيح العقيدة، وتثبيتها، وتخليصها من البدع والخرافات، في حين تهدف الخطب التربوية العلمية لإنارة الفكر، والتّوسيع من دائرة الثقافة، وله خطب شتى في مناسبات كثيرة في فتح مدارس جديدة لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية عبر ربوع الوطن، أو في حين تبنى المساجد الّتي كان الشّعب يؤسّسها بماله الخاص، وكذلك له خطب كثيرة في رحلاته داخل الوطن وخارجه، ومثال ذلك الخطبة الّتي ألقاها في نادي القلم ببغداد عام 1953م، ويومها قالت عنه صحف العراق أنّه يشبه فسل بن ساعدة[1]، وغيرها من الخطب الّتي أظهر فيها حسّه الأدبي اللغوي، فسجّلها الزّمن، ووقّع على بقائها.

وهكذا استطاع الإبراهيمي أن يتربّع على عرش البيان عموما، وهذا الفنّ خصوصاً، ووقّع اسمه ضمن أشهر الخطباء في الوطن العربي وأكثرهم ارتجالا في الإلقاء والقول "، فقد كان يسحرهم ببيانه ويأخذهم بعذوبة لسانه، ويملك عليهم نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بما كان يصدر عنه من زخرف القول البليغ" [2] الّذي كان يأسر النفوس ويستميلها للخضوع لما يرمي إليه من أهداف وغايات مسطّرة.

لقد تعدّدت الفنون الأدبية، وانتشرت في مختلف الأقطار والأزمان منذ الجاهلية إلى غاية العصر الحديث، ومن بين هذه الفنون فنّ الخطابة الّذي عرف بتطوّره تارة وذلك بفخامة ألفاظه وجزالته، وبين ضعفه في فترات أخرى، فقد ذاع هذا الجنس الأدبي بين

[1]– عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ط1، 1978، ص30.

[2]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، المرجع السابق، ص282.

علماء الجزائر ونخصّ بالذكر علماء جمعية علماء المسلمين الجزائريين أمثال: عبد الحميد بن باديس – والطيب العقبي – والبشير الإبراهيمي.

أ– الخطابة الدّينية:

هذا النوع يتميّز عن غيره من الخطب؛ كونها كانت أسبق ظهورا نظير لغيرها من الأنواع إذا كان من خلالها العلماء، أو الخطباء يحاولون نشر الوعي بين أوساط العامة، والجدير بالذّكر أنّ الخطابة كانت تقتصر على المساجد؛ إذ اتّخذ هذا الجنس الأدبي لكونه يعتمد على إثارة الوجدان، وتحريك العواطف تزرع في النفوس حبّ الخير والإيثار، وننفرها من الشّر، وتوجهها إلى تقوى الله، وحبّه، والتضرّع إليه، إذ في مجمل كلمها تضمّ كلاما دينيا تخاطب به العامة، والخاصّة من الناس في أمور دينهم، فلم يحدّد لها خصائص، ومميّزات تنفرد بها عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى.[1]

فهذا التعريف يعتمد على إثارة عاطفة المتلقي، فهناك من لم يخرج عن هذا الاتجاه في تعريفه للخطبة الدينية على أساس أنّ جلّ موضوعاتها تدور في فلك واحد، في مستهله التمسّك بالدّين، والتبصير بحدوده والحثّ على فضائله، والدّعوة إلى مكارم الأخلاق[2]، غير أنه هناك من يعطي مفهوما مغايرا للخطابة الدينية باعتبارها: "هي أوفى الأنواع بمطالبَ الناس، إذ الخطيب الديني رائد في قومه لا يكذب أهله وهو معهم في صباهم ومساءهم، وفي السّراء والضّراء لا يفترق عنهم بحال، إذ لا بد أن يكون خبيرا بالنفوس، بصيرا بسنن الله في المجتمع البشري، إلى جانب الأسلوب المؤثّر".[3]

يسلّط هذا المفهوم الضّوء على بعض السّمات، والمميّزات الّتي لا بدّ أن نجدها في الخطيب الحصيف، إضافة إلى ما يجب الإحاطة به، وإذا ما تعمّقنا في جذور هذا الفن

---

[1]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، كلية الأدب، جامعة بغداد، دار الفجر، وهران، ص203.

[2]– بلوافي محمد، فنون النثر الأدبي في العصر الجاهلي والإسلامي، ص105.

[3]– محمود عمارة ، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ، ص245.

الّذي احتلّ مكانة مرموقة، وتربّع على السّاحة الأدبية منذ الأزل، فقد تناول موضوعات أخلاقية ودينية، وفلسفية، وتبحث عن روح الأديان خاصّة بعد بزوغ فجر الإسلام، إذ كانت الخطابة الدّينية في هذه الفترة تجدّدت روح الخطابة، فأصبحت توجّه إلى العقل والقلب على حدّ سواء، وتعمل على توضيح الآيات فتعدّ في الوقت نفسه خطابة دفاعية تدحض آراء الخصوم، وتردّ على كل مكابر، كما استدعت أن تكون إلى جانبها خطبة أخرى، وهي الخطبة السّياسية فتكون امتداد لها؛ لأنّ العهد عهد الصّراع.[1]

لكن إذا انتقلنا إلى القرن الثامن عشر لمحنا تغيير الحال، وصار اللّمح تصريحا؛ إذ عرف هذا العصر بعصر التّنوير، والتحرّر العقلي، إلى درجة الإلحاد، واستيقظت فيه السّياسة متمثّلة بيقظة الشعب، إذ ظلّت طوال هذه الفترة متمسّكة بالثورة في أي بلد ومساندة له، لكن مع حلول القرن التاسع عشر الّذي عرف، والعاطفيّة ساهم في بروز الخطبة الدينية، مما جعلها أكثر نموّا فيما لحقها من القرون.[2]

وكما سبق الذّكر أنّ هذه الخطب ذات الموضوعات الدّينية حاولت معالجة مواضيعَ مختلفة كلّها تتصلّ بالدين وتعود إليه، وأهمّها خطب الجمعة، وذكرى بدر، وليلة القدر، والمولد النبويّ، وشهر رمضان، إذا كان لهذه المناسبات الدينية الّتي ألقبت فيها الخطب دورا كبيرا في الجزائر، خاصّة في تصوير الخطابة العربية، وإثرائها كما كانت فرصا عريضة لرجال الإصلاح،الّذين كانوا يمثلون في الوقت ذاته رجال الأدب، وأعلامه البارزين، ليظهروا فيها مواهبهم الخطابية، وقدرتهم على الارتجال، واقتضاض المعاني[3]، هذا ما يحيلنا إلى القول أنّها في بداية الأمر كانت تتميّز بشيء من طابع تعليم ديني؛ أي الشّعائر التعبّدية من صلاة،

---

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجبيل، بيروت، (د. ط)، ص337.

[2]– علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979م، ص167.

[3]– عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي، المرجع السابق، ص289.

وصيام، وحج، ولكن بفعل متطلّبات العصر تحرّرت، لتشمل جوانب أخرى، فيتعدّد بذلك الخطباء الّذين أبدعوا فيها.

كما كوّنت الخطبة الدينية ظلّا واسعا في الأدب بصفة عامة، نجدها كذلك في أدب الإبراهيمي، والّتي تأتّت له بفضل امتلاكه للبيان الراقي، إذا كان آية من آيات الله في الخلق، فقد كتب وألقى الخطب فيما يخصّ الجانب التعبّدي صيّت كان فيها شديد الحرص على تبيان الحقائق الدينية ،كما أنزلت خالية من التّعقيد والابتداع[1]، إذ لم تنحصر خطبه في تعليم الدين، بل تعدّته إلى الاحتفالات الدينية، مثل ختم القرآن حيث نراه من خلالها ينزع منزعا إصلاحيا، فخطب الإبراهيمي الدينية أثناء تصفّحنا لكتاباته، فقد نقف على مميّزات قد لا نجدها في خطب غيره، كما أنّه لم ينتهج منهجا واحدا في جميع الخطب، مثال ذلك الخطبة الّتي ألقاها في الحفل البهيج،الّذي أقيم بكلية الشّعب على شرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بمناسبة ختمة تفسير القرآن.[2]

يبدأ فيها بقوله: "أيها الملأ الكرام ما أشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس، ولقد مضى بجلاله، وروعته، ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة، ولا اختلجت في نعته شفتان بحرف لا زاهدا فيه، ولا عرفانا لحقه، ولا غبنا لحقيقته".[3]

إذ كان من المفروض أن يبدأ بتقديم لخطبه، لكنّه لم يقدم على ذلك؛ لأنّ الهاجس الوحيد أمامه هو صون تعاليم الدّين الإسلامي في الجزائر، وحماية العروبة، وهذا ما أضفى على الخطبة ميزة خاصّة عنده، كما أنّه في خطبه ذات اللّون الدّيني يلجأ إلى الموازنة، والمقارنة، والإسقاط على الدّين، والتّاريخ الإسلاميّ، كما أنّه كان كثير التوزيع في الأسلوب من التقديم والتأخير، إذ نجده في نفس الخطبة ختمها بما هو من المفروض أن يبدأ به، إلّا

[1]– عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص82-83.

[2]– محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي واللغة العربية، رسالة ماجيستير، جامعة دمشق، 1986-1987، ص120.

[3]– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، ج1، ص249.

أن ذلك لم يؤثّر عليها، وذلك راجع لثقافته الواسعة، وإلمامه الدّقيق باللّغة وعلومها، وقدرته على التحكّم فيها من توليد المعاني منها، وإخراجها كما يريد، فضلا على ذلك تأثير الخطبة في المستمعين، لاشتمالها على حقائق، وخصائص فنيّة إلى جانب حسن توظيفه للغة والأفكار.[1]

ونادرا ما نجده يوظّف العامية، ومن مفردات هذا الحقل: "إكليرجي، كاتدرائية، ثيوقراطية...، فالأديب يكتب بالعربية، ولا يطلق على رجال الدين المسيحيين بالجزائر مصطلح رجال الدّين، أو القساوسة؛ لأنّ القيمة الدلالية لرجال الدين في المعجم العربي الإسلامي هي رمز للسّماحة والعدل... وهي قيمة ثابتة في أذهان الناس إنما يوظّف اللفظ الفرنسي (*Le, Lergé*)؛ لأنّه رمز للظّلم، والتّسليط، والتّعبير في الجزائر"، ومعنى هذا اللفظ في المعاجم هو سلك رجال الدّين، أو قساوسة المقاطعات الّتي كانت تنتمي إلى فرنسا، وكانت متمثّلة في رجال الدّين، حتى أنّ البشير الإبراهيمي يضمّ فرقا بين الدّين الإسلامي، ورجاله، والأديان الأخرى بقوله: "إنّ الإسلام دين ديمقراطي سمح، وليس فيه نظام إكليرجي مسلّط كبقية الأديان".[2]

فالإبراهيمي في خطبه الدينية يُحاول إيقاظ الفكر الإنساني من الجمود، والمحافظة عل الدّين الإسلامي وغرس ثقافة الانتماء، والإصلاح في أوساط الشّعب الجزائري.

ب- الخطابة الأدبيّة:

لون الخطابة حديث في الأدب العربي، وشمل الأدب، والتاريخ، والثقافة، وما يتعلّق بها.[3]؛ إذ يُشير هذا اللّون إلى حداثة الخطبة،ويحاول الخطيب التعريف بأديب ما، أو الوقوف على مآثرَ شخصيته، كما يمكنه التأريخ لقضية من القضايا الأدبية، إذ من الممكن أن نشرك هذا النوع من المقالة الأدبية في بعض خصائصها، وفي مقدّمتها: كأن يذكر

---

[1]- محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي واللغة العربية، المرجع السابق، ص120-122.

[2]- عبد الله بوخلخال، العلاقة بين اللفظ والمعنى المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر.

[3]- أنيس المقديسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية، دار الطبع للملايين بيروت، لبنان، ط6، 2000م، ص400.

الأديب كونه خطيبا، يعبّر عن وجهة نظره في أي موضوع، وذلك باستهلال يجذب القارئ مع توظيف واستعمال الصّور الّتي تنقل المتلقي، إلى عالم أرحب خيالا، كالتّنويع بين الخبر والإنشاء.[1]

لقد تميّز الإبراهيمي في هذا اللّون؛ كونه الأديب الموغل في الالتزام بقضايا أمّته، ويمكن أن نطلق هذه التّسمية على قسط من خطبه الّتي ألقاها في المناسبات الفكرية، والعلمية، والأدبية، ومنها الخطبة الّتي ألقاها في المجتمع العلمي بالقاهرة يوم أن عيّن عضوا فيه سنة 1961م، والخطبة الّتي ألقاها بمناسبة مهرجان شوقي، فمن هاتين الخطبتين يمكن أن نستنبط بعض المميزات أو الخصائص، ومنها: أنّ تقديمه في الخطبة يختلف عن الخطبة الدينية الّتي سبق وأن أشرنا إليها من حيث الشّكل؛ إذ أن الخطيب هنا يتقيّد، ويلتزم بالمنهج القديم لخطباء الرّعيل الأوّل من العصور العربية، فيوظّف أسلوبهم التقليدي بقوّة الصّيغة، وحرارة اللّهجة، وقدم المعنى[2]، كقوله في بدايتها: "حياكم الله وأدامكم، وأحياكم، وأبقاكم للعروبة تصونون عرضها، وتستردون فوضها، وللغة العرب تجمعون شتاتها، وتحيون مواتها...".

وكذلك في خطبته الثانية سلك نفس المنهج؛ إذ استفتحها بمقدّمة شبيهة بها، إلى جانب لجوئه إلى توظيف الترادف، والألفاظ، والتقارب بين الأفكار، حتى يفسح المجال لتوارد أفكاره، فمثلا يبدأ في خطبته الأولى بطرح قضية اللّغة العربية جوهرا للخطبة، ويحاول الإلمام بمنزلتها في الوجود، ومراحلها التاريخية الّتي قطعتها، وهي تساير أعاصير الزمان[3]، إلى جانب اعتماده الأسلوب السّردي في أغلب خطبه الّذي يميل من خلاله إلى ... والتّعليم،

---

[1]– أحلام بالولي، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي –عيون البصائر أنموذجا–، جامعة العقيد أكلى محند أولحاج، البويرة، 2013–2014، ص36–37.

[2]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، المرجع السابق، ص197.

[3]–المرجع نفسه، ص179.

وسبب ذلك هو أنّ الإبراهيمي كان مدرّسا ملقّنا، وعرض التاريخية، والأدبية قاصدا من وراء ذلك الإفادة، فغلب على أسلوبه الوصف الخارجيّ، فاعتمدت خطبه على أدوات الرّبط البسيطة، ومن الملاحظ أنّ هذه الخطب لها قيمة شعورية ووزن،الّتي خوّلت لها السّيطرة على أفكار الخطيب.[1]

وهذا النموذج يبيّن لنا أسلوب السّرد الّذي تضمّنه هذا الموضوع من الخطيب يقول فيها: "فالقرآن هو الّذي هذّبها، وأدّبها، وزكّي منها النفوس، وصفّى القرائح، وأذكى الفطن، وجلا المواهب، وأرهف العزائم، وهذب الأفكار، وأعلى الهمم، واستفزّ الشواعر، وانتشار القوى، وصقل الملكات، وقوّى الإرادات، ومكّن للخير في النفوس، وغرس الإيمان في الأفئدة، وملأ القلوب بالرحّمة، وحفّز بالأيدي للعمل النافع، والأرجل للسّعي المثمر، ثمّ ساق هذه القوى على ما في الأرض من شرّ وباطل، وفساد فطهّرها منه تطهيرا، وغمرها بالخير، والحقّ، والإصلاح تعميرا".[2]

فالإبراهيمي على الرغم من اعتماده على السّرد، إلا أننا نلمس استفادته منه من الناحية الزمنية، حيث يجعله يطوي أحاديثه في جمل قصيرة اختصارا للأشياء، والبناء، والتّركيب الّذي يتطلّب الجمل الطويلة، فتركيب الجملة عنده في هذا السّياق لا يتجاوز، فعل، وفاعل، ومفعول به، هذه هي المهارة الأدبية الّتي تظهر قدرته على الارتجال، وعلى اقتناء العبارة، واستعانته للثّقافة، والبلاغة العربيّة، كما يبرز توظيفه للسّجع بقصد أو بغيره، لكن هدفه من ذلك في كلا الحالّتين هو التّصوير، واللّغة الفنيّة، ومما ندركه كذلك من استهلاله للخطبة تعلّقه بالصّور الفنيّة السّياسيّة،واحتقانه بالألفاظ الجزلة القوية، وتمكّنه من استقطاب شوارد المفردات.[3]

---

[1]–محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، المرجع السابق، ص198.

[2]– عبد الحميد بن باديس مجلة الشهاب، م14، السنة (1357هـ/1938م)، ج4، ص277.

[3]– عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، 1983م، ص29-33.

وممّا يلاحظ كذلك حضور ظاهرة التّكرار، والسبّب الراجع هو محاولته التركّيز على ما يريده إلا أنّه كان يحسن توظيفه كلّما واتته الفرصة، واعتماده الموضوعية، لهدف توضيح الأفكار، وإيصالها، والتحكّم في معانيها الّتي تتناسب، والموافق مما جعله يلجأ إلى أسلوب الاسترسال[1]، فالإبراهيمي كان في خطبه الأدبية حين ما يتعلّق الحديث بأديب، أو شاعر؛ فإنه يعطي لكل حقّ حقه، إضافة إلى ذلك تنوّع المناسبات الّتي كان يلقي خطبه فتحضر القيمة الأدبية، والعلمية، والمعرفية.

ج- الخطابة السّياسيّة:

هي مظهر من مظاهر حرّية الأمّة واستقلالها، فكلّما كانت أوفر حرّية، وأعمق استقلالا، انطلق لسانه يعبّر عن مكنون الضّمائر، والمشاعر، وكان الخطيب هادي الأمة عن طريق الإصلاح، مقوّما اعوجاجها، ومصلحا لما فسد من أمورها، ناصحا لشبابها، تلك هي مهمّة الأدب تحريك الأمة للعمل على حداد الأمل[2]، وهي نوع من الخطابة، وعادة ما تكون وطنية، أو حزبية، أو خطب برلمانية، أو إدارية، وأكثر ما تكون ارتجالا في الأمم الحرّة المستقّلة الّتي لا يعقل ألسنتها سلطان غالب.[3]

ونجد في العصر الحديث تعريف آخرَ ل"عماد عبد اللّطيف" في كتابه "الخطابة السّياسيّة" بأنّها: "كلام شفاهي يلقبّه السّاسة أمام الجمهور، ويتناولون فيه أمور الحكم، وقضاياه مُضيفا إلى ذلك أنّها وسيلة من وسائل التواصل بين النخب السّياسية والشّعب، وإلى النخب السّياسية فيما بينها فضلّت الأداة المثلى للتّأثير في الجماهير وحشدهم"[4]، فمن خلال هذه المفاهيم يمكننا القول إنّهدف الخطيب من هذه الخُطب السّياسيّة هو إبداء

---

[1]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، المرجع السابق، ص200.

[2]– محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، (1416هـ/1997م)، ص243-244.

[3]– محمود الفاسي عمر الدسوقي، محمد صادق حصفي، الأدب والنصوص للسنة الرابعة ثانوي، مكتبة الوحدة العربية، دط، دت، دس، ص102.

[4]– عماد عبد اللطيف، تجليات الخطبة السياسية في العصر الحديث، جريدة الصبح الجديد، القاهرة 22 ماي 2015م.

رأيه والإفصاح عن موقفه، والقضايا المتعلّقة بدينه، أو أمته، أو وطنه، فالخطبة السّياسية عُرفت منذ القدم حتى عند العرب، إذ مارسوها باختلاف أنواعها لكن بعد اجتياح الاستعمار الغربي العالم العربي، ونشأة الأحزاب السّياسية تأجّجت، وتحرّرت من الأسلوب المسجوع البديعي، وتناولت الموضوعات السياسة والاستعمار.[1]

وبما أن الخطابة لقيت العناية الفائقة من قبل الأُدباء، إلا أنّ هذا النوع كان له الحظ الأوفر مقارنة بغيره من الأنواع الخطابية؛ بسبب حاجة الأمّة إليها، حيث اهتمّوا بوضع خصائص لها، ومنها: اختيار الألفاظ المعبّرة عن الموقف السياسي، أو الوصف السياسي لحالة من الحالات، أو شخص من الأشخاص؛ إذ هذه الألفاظ تعبّر عن معانيها دون لبس، أو غموض، الإيجاز حيث يلاحظ في هذه الخطب أنّها أقصر من الخطب الدينية أو الفكرية، الاكتفاء بالإشارة، واللّمحة السريعة، الاستعداد بالكلمات، والآيات القرآنية؛ إذ هذه الخاصية نجدها في خطب المسلمين ؛كونهم متشبعين بالثقافة الإسلامية، والدين الإسلامي، مخاطبة العقل، والعاطفة.[2]

فإذا ذهبنا للحديث عن الخطابة السّياسية في الجزائر، إذ لقيت اهتماما وإقبالا من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وفي مقدّمتهم البشير الإبراهيمي الّذي أبدع في هذا اللّون، مُحاولا التركيز فيها على توفّرها على جملة من الخصائص، حيث استطاع أن يجمع قوّة الأسلوب وجماله، وقوّة الأفكار، ورزانتها، أمّا إذا تحدّثنا عن الألفاظ نجده يحسن اختيارها وتوظيفها، إذ كان له معجم خاص بالحقل السياسي مثل: الديمقراطية، الدكتاتورية، اللائكية، الساندیكا، إذ نجد لفظة الديمقراطية تكرّرت كثيرا، وأخذت دلالات متعدّدة مُغايرة عن مفهومها القاموسي، فمفهوم الديمقراطية هو سلطة الشّعب، وتتميّز بعدد المبادئ

[1]—إبراهيم بن حسن الدريعي، أحمد بن سليمان المشعلي، حمود بن عبد الله السلامة، الأدبي العربي للصف الثالث الثانوي، وزارة التربية والتعليم، الرياض، ط3، 2010-2011، ط3، ص64.

[2]—محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص250.

كالاعتراف بالشّعب، كمصدر للسّلطة، وبحقوق المواطنين، وحريّاتهم، ومساواتهم، والدّولة الّتي تحترم هذه المبادئ تعدّ دولة ديمقراطية[1]، ولكن مفهوم الدّيمقراطية عند الإبراهيمي متناقض لمعناه القاموسي، فهو عنده يجمّل ماهية متعلقة، ومرتبطة بالسّياسة الاجتماعية، والواقع المعيش، ثم ترسيم مفهوما آخرَ يرى الديمقراطية في الممارسة الاستعمارية، وهي الديمقراطية الصّناعية الّتي أضحت تقابل الديمقراطية في علاقة تضاد وتنافر وتناقض، فالديمقراطية الطبّيعية عنده تعني السّماحة، والمُساواة، والعدلولا تختلف عن جوهر الإسلام، وقد أطلق عليها أيضا الديمقراطية العمرية، وهي ذات قيمة دلالية في المكان والزمان ثابتة، أما الديمقراطية الصناعية فهي الّتي تسعى إليها فرنسا، وهي ذات قيمة دلالية متغيرّة.

إذ قارن لفظة الديمقراطية مع لفظة الدكتاتورية في مقال له، في نسق مجاور ومرادف بصريح العبارة، كما قارن اللائكية بالمسيحية للغاية ذاتها، قال "كأني بهذه الحكومة اللائكية المسيحية معا الديمقراطية الدكتاتورية معا إذ هذا التركّيب لا يعدّ طباقا عند الإبراهيمي، بل هو ترادف، وتوكيد لفظي فالحكومة، فالحكومة الفرنسية لائكية ولكن حكّامها في الجزائر رهبان، وبهذا يكون الإبراهيمي قدّم مفهوما آخرَ للدّيمقراطية في وجه آخر من معنى مضاد إلى معنى مرادف للدّكتاتورية الّتي كثيرا ما يذكرها في كتاباته".

أما لفظة الساندیكا الّتي تجمع مكوّنا أصلا للدفاع عن المصالح المشتركة لأعضاء هذا المجتمع، لكن معناه في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية أصبح مرتبطا برجال الجمعية، الّذين كانوا ليس للدّفاع عن أصحابها، أمّا الإبراهيمي لم يوظّف مصطلح الثقافة مثلا، وإنّما استعمل (ساندیكية، رجال الدين) حتى يُقرّب السّامع، أو القارئ من هذا التّوظيف الوارد في غير موضعه.

[1]– عبد الله بوخلخال، العلاقة بين اللفظ والمعنيين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر، المرجع السابق، ص75.

فالإبراهيمي يعتمد على توظيف هذه المصطلحات، بهدف مخالفة دلالتها المعجمية، ويضفي عليها دلالات مرتبطة بالتداول، والاستعمال الاجتماعي، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على صلته الشديدة بواقع مجتمعه وأحواله السياسية، والاجتماعية.[1]

هذا كله يؤكّد لنا حسن اختيار الإبراهيمي للألفاظ، وتوظيفها، واقتنائها، ووضعها، وعليه نستطيع القول إنّ الخطبة الدينية تشبه المقال الأدبي، فانطلق فيها من الحيّز، والنطاق المكاني، والزماني؛ إذ حاول التعريف بالموضوع،أو المناسبة مركّزا على العنصر الحيّ الّذي يخدم خطبة الموضوع، واللّقاء الّذي جمع الشّمل من كلّ حدب، وصوب وهو "الأخوة"، متّخذا منها العقدة الوثيقة الّتي تتدلى منها خيوط الأفكار الكلية، والجزئية محقّقا بذلك أدلّة تقوم عليها خطبته من جهات ثلاث، وهي مما يتّصل بالخطيب، وبالسّامعين، وبالخطبة نفسها[2]، إضافة إلى قدرته على توليد الأفكار، وصناعة المعاني، وتسلسلها، وارتباطها ببعضها البعض محكما، لا يشعر السّامع بانقطاع في السّياق، أو انتقال في الفكر[3]، معتمدا في ذلك على التّسلسل، والانسجام، وسلاسة الانتقال من فكرة إلى فكرة، وتوظيفه للحجج والبراهين على الواقع، وما فيه من وقائع وأحداث، فإنّ معظم خطبه لا تكاد تخلو من تصوير أدبي رائع، تمتزج فيه الحقيقة بالخيال، مثل قوله عن منظمة الأمم المتّحدة: "هذه المنظّمة سميّت بغير اسمها، وجلبت بغير صفتها، وما هي إلا مجتمع يقود أقوياؤه ضعفاءه، ويسوي أغنياؤه فقراءه، وما هي إلا أسواق تسترى فيها الأصوات بأغلى ما كانت تشترى به أصوات.."، إلى جانب التّكرار الّذي طغى على هذه الخطبة.[4]

---

[1]– العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر، المرجع السابق، ص18.

[2]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، المرجع السابق، ص190-191.

[3]– محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي واللغة العربية، ص124.

[4]–محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي واللغة العربية، المرجع السابق، ص127.

فعلى الرغم من أنّها خطبة سياسية محضة، إلّا أنّه أضفى عليها جانب الإصلاح، وهو طابع ديني، حيث نجد خطبه يتخلّلها الوعظ، والإرشاد، والتوجيه، كما نراه يلتزم بخاصّية الإيجاز الّتي تعدّ أساسا من أساسات الخطبة السّياسية، فلا تخلو الخطابة من اقتباس أو تضمين، فكثيرا ما نلمس تفشّي، وانتشار هذه الظّاهرة في ثنايا كتاباته وآثاره، كما أنّ خطبه تخلو من الألفاظ العامية والأجنبية، في هذا استطاع الإبراهيمي إحياء هذا الفنّ العربي الأصيل، فأعاد له قوله، ورونقه، في وقت كانت فيه العربية في الجزائر تحتضر بفعل مخطّطات المحتلّ الفرنسي ومنعها من الاستعمال، وقد عالج فيها موضوعات عصره، وأضاف لها قيّم إنسانية حضارية هادفة، كالحفاظ على العزّة العربية، والذود عن الوطن، والغيرة عن العقيدة واللّغة، مما جعل هذه الخطب تحتفظ بالتراث العربي الخالد، ولا تسقط إلى مستوى الوثائق التاريخية.[1]

4- خصائص فنّ الخطابة.

عرفت الخطابة في عصر البشير الإبراهيمي تطوراً، ولاقت رواجا كبيراً بفضل نشاط الجمعيات والنوادي الثقافية، وانتشار الصحف، وقد أسهم في بروزها ثلّة من الأدباء والمصلحين في جمعية العلماء المسلمين، فكانت الورقة الرابحة بين أيديهم؛ بحيث ساهمت في انتشار الفكر الديني، وتوعية الشّعب الجزائري، كما ساهمت في نشر مبادئ وفكر الجمعية بين أطياف المجتمع،الّذين تشهد لهم بالفصاحة، والبلاغة، والبيان أمثال عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وأحمد توفيق المدني، غيرهم ممن خلدتهم آثارهم، وبقيت مسجّلة في صحف الجمعية مثل البصائر، والشّهاب، والسّنة، والمشعل، وغيرها من المصادر.[2]

---

[1]–محمد مهداوي، البشير الإبراهيمي واللغة العربية، المرجع السابق، ص131-132.

[2]–عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط3، ص23.

ويتصدّر الإبراهيمي طليعة أولئك الخطباء وبلغائهم، ذلك أنّ الخطابة بلغت على يده شأنا، بفضل تفرّده وتميّزه بالملكة اللغوية من فصاحة وبيان، وسرعة بديهة، وقوّة حافظه، وهي في ذلك تستمدّ أصالتها وقوتها من العصور الذهبية لهذا الفنّ، ونظرا لشعور الإبراهيمي بأهميّة الخطابة، وتكفّله بالاعتناء بها؛ لحاجة الجمعية إلى خدماتها، من طرح الأفكار، وعرض فلسفتها على المجتمع، ومن بين سمات الخطابة عنده الّتي تجعل من أدبه متميزاً نذكر:

أ- الارتجال:

إنّ الارتجال سمة غالبة في خطب الإبراهيمي، لذلك ضاع معظمها نظرا لعدم تدوين هذه الخطب، وإنما كان يلقيها مباشرة أمام جمهوره، فالارتجال صفة من صفات الخطيب المقتدر،الّذي يعتمد على ملكاته اللغوية الخاصة، وقدراته العلمية، وممّا هو معروف أنه كلّما كانت الكلمة مرتجلة، كان وقعها في السامع أكثر قوة، وأبلغ أثراً؛ لأنّ الأصل فيها الارتجال، ومجالها السّمع، لا القراءة، والحقيقة أنّ الإبراهيمي لم يكن يكتب خطبه قبل إلقائها، بل كانت تسجّل بعد إلقاء استجابة لطلب المعجبين به، وتعميما للفائدة، كما تبيّن في خطبه الّتي ألقاها بمناسبة ختم حفلة تكريم لابن باديس في كلية الشعب، وقد نبّهت مجلة الشّهاب في تصديرها إلى هذه الخطبة بما يلي: "ارتجل بخطبته هذه، فلم تصطد أقلام الكاتبين من ألفاظها إلا قليلا مشوشا لم يحفظ ترابط المعاني بين أجزائها، فألحّ جماعة من المعجبين على أن يكتب ما علق بذاكرته من ألفاظها، ويضيف إليها بقلمه ما يربط بين معانيها حرصا على بقائها، وتخليد خطبه، فحقق بالكتابة ما يراه القارئ منشوراً بعد هذا".[1]

ب- الحماس:

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج4، ص360، ينظر، أحمد معمر الدين عبد القادر، الخصائص الفنية للخطابة عند البشير الإبراهيمي، الخطاب والتواصل، العدد2، ديسمبر 2016، ص476-477.

من أبرز خصائص وسمات الخطابة عند البشير الإبراهيمي ظاهرة الحماس الّذي يجب أن يكون حاضرا في الخطبة مما يحتويه المقال[1]، وتتأرجح هذه الظّاهرة الانفعاليّة عنده بين اللين تارة، والشّدة طورا آخر حسب ما يقتضيه الموقف، أو الحال، وعليه يتّجه سير الخطبة صوب اللين كلّ ما تعلق الأمر بالعقل، وإعمال الفكر، كما نجد ذلك في موضع النقد، والتّحليل، والمقارنة، وسوق الحجج، ومحاولة الإقناع كقوله: "ولقد علمتنا لغة العرب فنّاً في مصاص الأشياء، ففهمنا أنّ من الشتاء عقائل، وأنّ في الأموال كدائم" [2]، والخطاب هنا نراه موجّها إلى عقل المتلقي،الّذي وجب أن يكون له من الثقافة نصيبا، حتى يتمكّن من فهم، وإدراك رسالة الخطيب، وفي معرض حديثه عن ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها، يلجأ الخطيب إلى أسلوب المقارنة،الّذي هو لا يتعدى مستوى العقل أو يكاد، إذ يقول: "قارنوا بين هذه الأمة الإسلامية المطفية في بطن الأرض تجدوا الفرق بعيدا جدا، ووجوه مفقودة البنية مع وجود في الاشتراك والنسبة".[3]هذا من جهة، ومن جهة أخرى تشتدّ نبرة الإبراهيمي كلما تعلّق الأمر بالانفعال والعاطفة، فيتقاذف جملا قصيرة تُوحي بالحماس والتوتر،الّذين يتركان أثرا عميقا في النفوس، ونجد أنّ هذه الحالة الانفعالية تتكرّر كلما تحدّث عن صراع الجزائريين، والاحتلال الفرنسي، وذلك حين يخطر الخطيب إلى دعوة الناس، وحثهم على مجابهة الاستعمار ومقاومته، ومما يؤكّد ذلك قول "محمّد الغزالي": "وكان في خطاباته يزأر كأنه أسد جريح، فكان ينزع الوجل من أفئدة الهابين، ويهيج في نفوسهم الحمية لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فعرفت قيمة الأثر الّذي يقول: إنّ مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء".[4]

---

[1]– محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، المرجع السابق، ص320.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص361.

[3]– المرجع نفسه، ص363.

[4]– محمد الغزالي، مع البشير في القاهرة، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون والمطبعية، العدد 87، الجزائر، مايو 1985م، ص96.

ويتدرّج الإبراهيمي في استثارة العواطف، وتنبيه المشاعر حتى تبلغ ذروة انفعالاتها، مُستعينا بصورة من الواقع المعيش، فيقول: "ولولا عهود يجب أن نرعاها لديارنا، لكننا نغفر لباريس جميع ما جرته علينا من جرائم، ونمحو لها بهذه الحسنة جميع السيئات، ولكن تأبى علينا الدّماء في تونس تسيل، وشعب في المغارب الثلاثة تعذب، وشباب تقبع له السجون والمعتقلات، وتغلق في وجهه المدارس والمعابد، ودين في جزائر الكرامة".[1]

ج- الخروج عن المألوف:

كان الإبراهيمي يتصّرف في مطالعَ خطبه، فيخرج بها عن المألوف من خطب العرب؛ إذ كان يؤثر استعمال عبارة (أيها الإخوان) في نداء الحاضرين معلّلا ذلك بقوله: "فمعذرة إلى إخواني الّذين أعتز بإخوانهم إن خرجت عن النمط المألوف في رسوم الخطاب، وخاطبتهم بـ أيها الإخوان"[2]، وتأكيد خطاب هذه العبارة يعودُ إلى جملة الأسباب حسب تصوّرنا نذكر منها:

- صدور مضمونها عن نزعة إنسانية أصيلة في الإسلام، وأساس هامّ في بناء، وتماسك النّسيج الاجتماعي للأمّة.
- إنّ إنزال السامعين في مقام الأخوة هو تعبير صادق على مكانة هؤلاء، ومنزلتهم من نفس منزلة الخطيب.
- ج. استعمال هذه العبارة، وتكرارها في الخطاب يجعل الجمهور أحرص الناس ثقة في الخطيب، وأكثرهم تصديقا لكلامه.
- د. توطيد علاقات الأخوة بين أبناء الأمة الواحدة، مهما تعدّدت طوائفهم، وأديانهم، ومناهجهم.[3]

---

[1]- المرجع السابق، الآثار، ج2، ص466.

[2]- المرجع نفسه، ص465.

[3]-الخصائص الفنية للخطابة عند البشير الإبراهيمي، مجلة الخطاب والتواصل، المرجع السابق، ص479.

د- الاقتباس:

1- من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

تتمثّل ظاهرة الاقتباس عند الإبراهيمي في استدلاله بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشّريف، والشّعر العربي، وهي خاصيّة من خصائص الخطابة، الهدف منها الاعتبار والذكرى، وإقامة الحجّة، والبرهان على الغاية المقصودة.[1]

أمّا بالنسبة لاقتباسه من القرآن الكريم، فإنّه يتّخذ شكلين، أولّهما استشهاده بالآية كاملة في معرض حديثة عن العدل في الإسلام، والإحسان، والإيثار، وحبّ الخير للناس كافة، كقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [2]، وثانيهما توظيفه الألفاظ القرآنية دونما إشارة لسياقها القرآني مثل قوله: "فليكن آخر ما توصى به الحق والصبر والاتحاد"[3]؛ إذ يحيل هذا النص مباشرة على سورة العصر، وهذه ظاهرة تتناثر في نصوص البشير الإبراهيمي، وتدلّ على التأثر العميق ببلاغة القرآن، وسعة ثقافته الدينية، فهي تكسب أسلوبه جمالا، ورونقا، وتقوّي من حجّته، غير أن التلقي الجمالي لمثل هذه النصوص لا يمكن أن يكون له ذلك الأثر المبتغى دون حدوث توافق تواصلي بين الخطيب والمتلقي، ويمكن أن نجمل هذه الشّروط، وهذا التواصل في "صفة المواطنة، أو صفة الإلمام باللغة، أو الانتماء إليها"[4]، وإذا علمنا بهوية المخاطبين الّذي توجّه إليهم البشير الإبراهيمي في خطبته تلك، لأيقنا أنّ الرّجل كان على بيّنة من أمره.

---

[1]- تطور النثر الجزائري الحديث، (1930-1974)، المصدر السابق، ص20.

[2]- سورة النحل، الآية: 90.

[3]- البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص478.

[4]- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، مسائلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص31، ينظر: الخصائص الفنية للخطابة عند البشير الإبراهيمي، مجلة الخطاب والتواصل، المرجع السابق، ص480.

وأما الاقتباس من الحديث الشريف، فقد كان له النصيب الوفير في خطب الإبراهيمي، ففي أول صلاة جمعة له بعد الاستقلال، وبمسجد كتشاوة بالعاصمة، ارتجل الرجل كلمة جاء فيه: يا معشر الجزائريين إنّ الاستعمار كالشيطان الّذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: {إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك} [1]، ثم يؤول الخطيب هذا الحديث مبّينا خطر الاحتلال الّذي لا ينتهي بانتهاء وجوده العسكري على أرض الجزائر ما دامت ثقافته الاستعمارية –الّتي عمل مخلصا على غرسها في عقول وقلوب أبناء هذا الشعب- باقية حتى يصدهم عن دينهم، ولغتهم إن استطاع، تماما كما يفعل الشيطان بالإنسان حيث يوسوس له في صدره، ويزيّن له سوء عمله ليزيغ عن الحق، إذ يقول الإبراهيمي: "فهو قد خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قبول بعضكم".

وهذا التّشخيص الدّقيق من رجل حكيم من رجال الأمة المثقلة الّتي تعاني من بقايا الاستعمار، فيراه يقدم الداء والدواء قائلا: "فلا تعاملوه (الاستعمار) إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضّرورة يقدر بقدرها"[2]، فالمقصد من هذا الاقتباس هو بيان حقيقة فرنسا، ومكرها، ومكائدها الدنيئة الّتي لا تصدر إلا عن شيطان رجيم، ويعدّ هذا الاقتباس نوعا من أنواع التشبيه، يعادلُ فيه الخطيب بين حال الاستعمار وحال الشيطان نظير أعماله الدنيئة، ولعل بزوغ وشيوع ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في خطابة الإبراهيمي، ونخصّ بالذكر ما جاء في سياق المواضيع المرتبطة بالقيم، والأخلاق، والمبادئ، وذلك لتشبّعه بالثقافة الإسلامية، فقد كانت كلماته مردّها القرآن الكريم، فقد تمكّن من معرفة بيانه، وعلم بأسراره شأنه شأن الحديث النبوي الشّريف، فكل هذا إن دلّ إنما يدلّ على أصالة أدبه.

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3، المرجع السابق، ص307.

[2]–المرجع نفسه، ص307.

❖ **أثر المفردة القرآنية في كتابات البشير الإبراهيمي:**

إن للإعجاز القرآني أوجها كثيرة ومتنوعة منها اشتماله على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد ومنها الإخبار عن المغيبات ومنها ما يتعلق بحسن نظمه وتأليفه وتلاؤم كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عند العرب...

وهذا الأخير مشتمل على إعجاز القرآن في دقة مفرداته، ونظم جمله وآياته، وهذا ما يسمى بالإعجاز البياني ولا شك أن المفردة القرآنية في أعلى درجات الاختيار إلا أن ترتيبها مع أخواتها لأداء المعنى المراد هو المقصد الأصلي الذي به يكتمل وجه بلاغته، ويصل ما لا تحيط به العقول وإذا كان لا يتوصل الإنسان إلى معرفة دقة التركيب المؤدي إلى معرفة الأسلوب إلا من خلال التعرف على دلالات المفردة القرآنية، فقد لزم التعرف على هذه اللبنات الأولى من خلال الوقوف على ماهية المفردة القرآنية وما خصائصها وكيف تأثر المفردة القرآنية على السياق القرآنية؟ وكيف وظف البشير الإبراهيمي المفردة القرآنية وفي كتاباته من خلال مقال الطلاق أنموذجا؟

أولا: مفهوم المفردة القرآنية لغة واصطلاحا

1- لغة:

فالفرد ما كان وحده فيقال: فرد، يفرد، وأفردته أي جعلته واحدا، هي جمع مفردة وتلتقي مع كلمة الفرد والإفراد والفريدة، وتدل على العدد الواحد نقيض التثنية والجمع[1].

وفي معجم مقاييس اللّغة: الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة من ذلك الفرد وهو الوتر والفارد والفرد: الثور المنفرد. والظبية فارد: انقطعت عن القطيع والفريد: الدرّ إذا نظم وفصل بينه وبغيره[2].

وتدخل المفردة بوجه عام في معنى الكلمة وهي كما عند الزمخشري اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع[3].

أما السيوطي فيعرف الكلمة: " بأنها قول مفرد أو مستقل معه كالضمائر المستترة[4].

2- اصطلاحا:

المفردة هي: "المجموعة الصوتية التي تدل على المعنى، وهذه المجموعة هي وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في الجملة، وهي الجزء الأولى في النظم والوحدة المكونة له، فلا يغني أحدهما عن الآخر[5].

وعندما نضيف المفردة إلى القرآن نجد أنها ليست فقط كائنا معجميا، بل إنها تتضمن معاني جديدة يقتضيها الموضوع، كما أنها تتميز بأدائها للمعنى المراد، بحيث لا يمكن

---

[1] الأزهري، تهذيب اللغة، د ت، دار الإحياء العربي، بيروت، لبنان، 2001، ج4، ص 70، ينظر، ابن منظور لسان العرب، دون تح، دار صادر، بيروت، ط3 (1414ه)، ج3، ص 332.

[2] ابن فارس، مقايس اللغة، دار الفكر،د تح، 1399ه -1979م، ج4، ص500.

[3] الزمخشري، المفصل في صيغة الإعراب، مكية الهلال بيروت، ط1، (1993م)، ص 23.

[4] السيوطي: جمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، د تح، د ط، المكتبة التوقيفية، ج1، ص 22.

[5] أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، ط2 (1999)، ص19- 20.

إزاحتها من مكانها أو استبدالها بغيرها كما قال ابن عطية الأندلسي: " لو نزعت منه لفظه ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لا يوجد"[1] .

ومعنى المفرد في الألفاظ ما لا يدل جزؤه على جزء معناه كلمة "عذب" مكونة من ثلاثة حروف هي "ع" "ذ" ب" فلو أخذ كل منهما مستفردا ما دل على شيء من العذوبة التي تفيد الكلمة مجتمعة[2].

ويمكن تعريف المفردة القرآنية بأنها تشكيل صوتي ذي وظيفة دلالية أو تفسيرية أو فقهية مقاصدية تساهم في بناء الوحدة الكلامية ويحدد السياق ملامحها ومعانيها.

ثانيا: مفهوم السياق لغة واصطلاحا

1- لغة:

يقول ابن منظور في مادة (س، و، ق): .... وساق الإبل .... وتساوقت تساوقا إذا تتابعت.... ويقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم إثر بعض ليس بينهم جارية[3].

وفي أساس البلاغة للزمخشري مادة (س، و، ق) ".... وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا وأسقتهم إبلا،... وتساوقت الإبل تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن السياق[4].

يتبين من خلال ما قدمه كل من ابن منظور والزمخشري أن السياق بمعنى التتابع والسير والانتظام دون أن يكون هناك انفصال أو انقطاع.

[1] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، المصدر السابق، ج1، ص 52.

[2] للمثاوي، التعاريف: دار الفكر بيروت، ط1 (1410ه) ص 668.

[3] ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج 10، ص 166-167.

[4] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، محمد ياسر عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1419هـ- 1998م)، ج1، ص484.

2- اصطلاحا:

إن الناظر في كتب العلماء يجدها زاخرة من الأقوال في بيان ماهية السياق وأهميته في تفسير القرآن الكريم، ومن هذه الأقوال ما يلي:

قال الشافعي: " فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف معانيها: اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا، يراد به العام، يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره.[1]

وقال الطبري " توجيه الكلام إلى ما كان نظيرا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان معدلا عنه[2].

وقال البغوي: "مبينا جواز تأويل القرآن الكريم لأهل العلم، ولكن يشترط احتمال اللغة له، وموافقته للسياق، وعدم مخالفة الكتاب والسنة. فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل الموافق لما قبلها وبعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، فقد رخص فيه لأهل العلم[3].

وقال ابن دقيق العيد: " السياق والقرائن : فإنها دالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات[4].

وقال العز بن عبد السلام: " السياق مرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق ألذم كانت ذما، فما كان مدحا بالوضع فوضع في سياق

[1] الشافعي، الرسالة، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1415هـ)، ص50.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420)، ج5 ص117

[3] البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، (1408هـ- 1987م)، ج1، ص 46.

[4] ابن دقيق العيد، إحكام الإحكام، شرح غمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، د ط، ج2، ص 21.

الذم صار ذما، واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال مثاله: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) أي الدليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم[1].

وضح ابن تيمية أن السياق الذي ينشء الدلالة فيقول: " الدلالة في كل موضع تحسب سياقه، وما يحق به القرائن اللفظية والحالية[2].

وقال السيوطي: أثناء باينه للشروط الواجبة على المفسر رعايتها...وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات[3].

وقال محمد عبد الله دراز: " فهم السياق على رأس قائمة الشروط الواجب على المفسر الإلمام بها، حيث قال: " إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء و جزء منه وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معونا له على السير في تلك التفاصيل عن النية[4].

وتقول عائشة بنت الشاطئ: " إن ضوابط منهجنا الالتزام بصريح النص وحكم السياق، والالتزام بدلالات الألفاظ، كما يعطيها الاستقراء الكامل لكل مواضع ورود اللفظ في المصحف، والاحتكام إلى توجيه صريح السياق[5].

---

[1] العز الدين بن عبد السلام، الإمام في بيان أدلة الأحكام ،تحقيق: رضوان مختار بن عربية، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط1 (1407هـ، 1987م) ص 159- 160.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمان محمد بن قاسم، مجمع ملك فهد لطباعة، المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (1416هـ- 1995م)، ص23.

[3] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن دار الفكر بيروت، ج4، ص 227.

[4] عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، تح، أحمد مصطفى، دار طيبة للنشر والتوزيع د ط، د س ط، ص 192.

[5] عائشة بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري، تحرير: رجب البنا، دار المعارف، القاهرة، ط3، د س ط، ص 25.

من خلال ما سبق وعرض أهم المفاهيم التي قدمها العلماء للسياق على مختلف مشاربهم ومذاهبهم نلاحظ اجماعهم على دوره وأهميته في تفسير القرآن الكريم.

❖ **مفهوم السياق القرآني:**

عرّف المثنى عبد الفتاح السياق بقوله: السياق القرآني هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود من دون انقطاع أو انفصال[1].

وعرّف عبد الرحمان عبد الله السياق القرآني بأنه تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى، كما عرف دلالة السياق القرآني بأنها بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة[2].

أهمية السياق القرآني ودوره في تفسير المفردة القرآنية:

يعتبر السياق الذي ترد فيه الألفاظ من أكبر العوامل المحددة للدلة ومعرفة أي مدلولاتها أولى بالتقديم والقبول، لذا كان للسياق القرآني أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم، فهو أصل عظيم من أصول التفسير، لا غنى للمفسر عنه لما له من أثر ظاهر في فهم مراد الشارع الحكيم، وبيان المعنى الصحيح في الآية.

وتتجلى أهمية السياق القرآني من خلال ما يلي:

[1] – المثنى عبدالفتاح محمود، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، رسالة ماجيستير في تفسير وعلوم القرآن، الجامعة الأردنية، 2001، ص 18.

[2] عبد الرحمان عبد الله المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجيستر في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الأردنية، (1429هـ- 2008م)، ص 81- 82.

أولا: السياق من تفسير القرآن بالقرآن:

السياق مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث أنه تفسير القرآن بالقرآن لأنه تفسير الآية بما تضمنته من دلائل والقرائن، وبحسب مناسبتها لما قبلها وبعدها، وذلك يبين ويؤكد دوره وأهميته في التفسير، واعتباره أصلا من أصول التفسير .

قال صاحب قواعد الترجيح عند المفسرين في تحريره لمفهوم مصطلح القرآن بالقرآن: " وبعد طول تأمل في هذا المصطلح ظهر لي أنه ينقسم إلى قسمين: أحدهما توقيفي: وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيما يأتي بما يزيله ويفسره، إما بعده مباشرة أو في موطن آخر وارد مورود البيان له ومن أمثلته تفسير الهلوع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يقول بعده ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾[1] وتفسير سورة الطارق أي تفسير الطارق بالنجم الثاقب في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾[2] بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾[3] .

وتفسير أولياء إليه في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾[4].

بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[5] .

فهذا القسم ولا شك أنه أبلغ أنواع التفسير، ولا قول لأحد معه، ومثله لا يختلف فيه، وهو الذي يصنف من أنواع التفسير بالمأثور وهو أصح الطرق[6].

---

[1] سورة المعارج الآية (19-21).

[2] سورة الطارق الآية (1-2)

[3] سورة الطارق الآية (3).

[4] سورة يونس الآية 62.

[5] سورة يونس سورة 63.

[6] حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، دار قاسم ، الرياض، ط1، (1417هـ- 1996م)، ج1، ص 320-321.

ثانيا: السياق ركن من أركان الإعجاز:

فالقرآن حجة الله البالغة، وآياته المتجددة، ومعجزة الرسول الخالدة معجزة لكل جيل، معجزة في كل عصر ومصر للبشرية جمعاء في شتى أطوار حياتها، بل معجزة أيضا للجن لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [1].

ويعتبر السياق من أعظم وجوه الإعجاز القرآني ودلائله التي تظهر القرآن كأنه كلمة واحدة ترتيبا وتماسكا.

وفي بيان هذا الإعجاز يقول عبد القهار الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز " : فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عما إذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: " عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ؟ أم ما بهرهم منه؟[2] .

فقلنا: أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وبيان... بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظما، والتئمًا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم[3].

[1] سورة الإسراء الآية (88).

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تحقيق، محمد شاكر أبوفهر مدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، (1413 هـ، 1992م)، ج1، ص39.

[3]– الجرجاني، دلائل الإعجاز ، المصدر السابق ، ج1، ص 39.

ويقول الرازي: "ومن تأمّل في لطائف هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علما أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وبشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته[1].

ثالثا: إعمال النبي صلى الله عليه وسلم لدلالة السياق، واعتباره لها في التفسير

مما يدل على أهمية السياق توظيف واستعمال النبي صلى الله عليه وسلم له واعتماده عليه في التفسير، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث فسر فيها بعض الآيات القرآنية.

ما ورد عن عائشة أم المؤمنون رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [2]. أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "لا يا بنت الصدّيق، ولكنّهم الذّين يصومون ويصلّون ويتصدّقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم[3]".

ففي هذا المثال وظف عليه الصلاة والسلام السياق في تفسير الآية وتصحيح الفهم الذي فهمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث ظنت أن المراد من هذه الآية هم العصاة الذين يرتكبون المعاصي ويقترفون كبائر الذنوب، وهم خائفون من لقاء الله تعالى، فبينها الرسول صلى الله عليه وسلم المعنى الصحيح للآية مستندا على السياق واستدل بلاحق الآية وهو قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ على أن المراد بها الذين يعملون الطاعات وهم خائفون أن لا يتقبل منهم لتقصيرهم.

[1] – الرازي، مفاتح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1420هـ، ج8، ص106.

[2] – سورة المؤمنون الآية : 60

[3] – محمد بن عيسى الترميذي، الجامع الكبير (سنن الترميذي)، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1998م)، أبواب تفسير القرآن ومن سورة المؤمنون، رقم الحديث 3175، ج5، ص180.

وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصية النبي موسى والخضر عليهما السلام أنه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١﴾ [1] ، فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا[2].

ففي هذا المثال نجد: " أن الله عز وجل قال في سورة الكهف في الموضع الأول عن الحوت الذي حمله موسى عليه السلام وفتاه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١﴾ [3] وفي موضع آخر قال: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ [4] .

فالقصة واحدة ولكن الوصف لذلك الحوت اختلف، ففي الموضع الأول كان سربا، وهو الوصف للحوت الذي انسل ودخل البحر، وفي الموضوع الثاني عجبا، لأنه بيان لحال النبي موسى وفتاه عليهما السلام والذي بين ذلك وحدده هو السياق.[5]

رابعا: إعمال السلف لدلالة السياق واشتهادهم عليه في التفسير.

اعتنى السلف الصالح (الصحابة) بالسياق واعتمدوا عليه في فهمهم وتفسيرهم للقرآن الكريم، وجعلوه أصلا من الأصول التي يرجع إليها عند اشتباه المعاني، وأنكروا على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي وردت لأجله.

ومثال ذلك الذي يدل على اعتبار السلف في تفسير ما يلي:

---

[1] سورة الكهف الآية 61.

[2] البخاري، صحيح البخاري دار ابن كثر اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف برقم ،4448 ج4، ص 1752.

[3] سورة الكهف 61.

[4] سورة الكهف 63.

[5] الفهد الشنوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجيستر، الرياض، (1426هـ-2005م)، ص 51.

- ما روي عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه:" يخرج الله قوما من النار فيدخلهم الجنة"[1]، فقال له رجل في حديث عمرو إن الله يقول:﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾[2]. فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاصعاما، هذه للكفار إقرؤوا ما قبلها ثمّ تلا قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾[3] هذه للكفار[4] .

ففي هذا الأثر المروي نرى أن أحدهم استشكل عليه فهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: " يخرج الله قوما من النار فيدخلهم الجنة"، وذلك عند سماعه هذا من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. فقال له الرجل كيف هذا والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾. فيبين له جابر رضي الله عنه التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة وأنها خاصة بالكفار، ولا يدخل فيها عصاة المسلمين، واستدل على هذا التفسير بالسياق، لكون الآية في سياق الحديث فيها عن الكفار.

---

[1] -محمد بن حبان الدارمي، صحيح با حبان ابن لبان، تح شعيب أرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414، 1993، باب صفة النار وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف خمسة أنفس يدخلون النار من هذه الأمة، رقم الحديث 7483، ج16، 526.

[2] سورة المائدة 37.

[3] سورة المائدة 36-37.

[4] ابن حيان، صحيح ابن حيان، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ، 1993م،كتاب اخباره صلى الله عليه وسلم من مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، باب صفة النار وأهلها برقم 7483،ط2، ج16، ص526-527، (الثقات، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1493هـ- 1973م)

خامسا: تعريف الطلاق لغة واصطلاحا والحكمة من تشريعه.

1- تعريف الطلاق لغة:

من طلق وهو بمعنى التخلية والترك والإرسال[1]، تقول أطلقت كل محبوس أي خليت سبيله وتحرر من قيده، وطلقت البلاد القوم تركتهم، كما يترك الرجل المرأة[2]، وأطلقت القول...والناقة الطلاق هي التي تنطلق إلى الماء، ويقال التي لا قيد عليها، والنعجة طلاق أي مخلاة ترعى وحدها حيث شاءت، ومن المجاز طلقت المرأة فهي طالق[3].

وعليه يكون معنى طلق الزوج امرأته أي حلها من قيد الزواج وخرجت من عصمته[4].

بمعنى الطلاق قد أستعمل في إرسال العصمة لأن الزوجة كالموثقة، والمطلق كأنه أطلقها من وثاقها، ولذلك يقول الناس للزوج هي في حبالك إذا كانت تحت يده وفي عصمته.[5]

وخلاصة القول: إن العرف قد خصص استعمال أطلق لرفع القيد الحسي، وطلّق لفظ صريح لا يحتاج إلى نيّة، أما الإطلاق فهو من الكنايات التي لا يقع بها الطلاق إلاّ مع النيّة.

2- تعريف الطلاق اصطلاحا:

عرفوه بأنّه "حل عقد النكاح على اعتبار الحال والمال[1]، فتعريف الطلاق عند المالكية يبين عدد التطليقات التي تقع بلفظ الطلاق وما يتعلق بذلك من الرجعة وعدمها، فيملك الزوج الرجعة في البينونة الصغرى إذا طلقها واحدة أو اثنتين ولا يملكها في ثلاث.

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط2، (1418هـ، 1998م)، ج3، ص 623.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (1419هـ، 1998 م) ط1، ج1، ص 350.

[3] الجوهري، الصحاح، (تاج اللغة)، دار الفكر، ط2، (1418هـ- 1998م)، ص 151.

[4] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، (1424هـ- 2003م)، ط7، ص 904.

[5] أحمد الأزهري الفواكه الدواني، المكتبة الثقافية، بيروت، دط، ج2، ص 57.

3- الحكمة من مشروعية الطلاق:

إن عقد النكاح من أعظم نعم الله تعالى، فهو يقرب بين العباد، ويربط العائلات ببعضها البعض، وبه تتكون الأسر ومن الأسر تتكون الأمم، فكان لزاما على من يبرر الله له المؤونة وحياة الاستطاعة أن يعمل على استكمال دينه، حتى تستمر الحياة الزوجية التي الأصل فيها الدوام، ولكن قد استحكم النفور والخلاف بين الزوجين حتى يستعصى البقاء، ولا يكون الحل إلا بالفراق، لأن هذا الفراق أولى من بقاء الرابطة الزوجية مع الخلاف والنفور بين الزوجين، مما يحقق المصلحة للزوجين ويدفع عنهما المضرة.

وقد أشار إلى هذا المعنى بعض الفقهاء في أقوالهم: فقد ذكر الكاساني: "إذا تعذر استمرار الحياة الزوجية فإن الله ملك الزوج الطلاق، و حتى لا يكون الزوج مرغما على نفقة ومعاشرة مما لا تطيب نفسه إليها، ومن ما لا يركن إليها بما ترعاه الزوجة"[2].

وقال الزيغلي:"شرع النكاح لمصلحة العباد لأنه ينظم لهم مصالحهم الدينية والدنيوية، ثم شرع الطلاق إكمال للمصلحة لأنه قد لا يتوافق الزوجان يكون الخلاص بالطلاق"[3].

وقال ابن نجيم: "إنما أُبيح للحاجة، ومن محاسنه التخلص من المكاره الدينية والدنيوية.[4]

[1] الخرشي، حاشية الخرشي على مختضر خليل، دار الكتب العلمية، ط2، ج4، ص 448.

[2] الكساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، (1418هـ-1997م)، ج4، ص 185

[3] - الزيغلي، تبيين الحقائق كنز دقائق، دار الكتب الإسلامي ط2 (1400هـ- 1980م)، ج2، ص 188.

[4] - ابن نجيم، بحر الرقائق ، شرح كنز دقائق، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1 (1395هـ- 1975م)، ج3، ص 254

وقال العيني: وسببه الحاجة المحوجة إليه[1].

وعليه فالحكمة العامة في تشريع الطلاق هي توفير الراحة لكلا الزوجين، وضمان الاستقرار وأداء الأسرة لواجبها الإنساني والاجتماعي لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [2] .

ويمكن الكشف عن وجوه الحكمة من مشروعية الطلاق في التقاط التالية:

1. قد يصاب أحدهما بمرض لا يستطيع معه دوام العشرة، وقد يكون أحد الزوجين مصاب بمرض معد تتحول معه الحياة إلى نفور وخصام، فيكون التفريق هو الوقاية من ذلك.[3]
2. أن يكون الزوج معسرا بالنفقة، بحيث تتضرر الزوجة بذلك خصوصا إذا لم يكن لهما مورد رزق غير النفقة الزوجية، فيكون الفراق الحل الأمثل[4].

قد يكون الزوج سيء العشرة خشن المعاملة، وقد تكون الزوجة سيئة الخلق أو معوجة السلوك، لا يستطيع تقويمها إلا بالتفريق لأنه لن يقام التوفيق بينهما على ضوء قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا [5] .

3. قد تكون المرأة عقيما والرجل يريد نسلا، وطلب النسل مشروع، وهو من أهم مقاصد الزواج، فله أن يطلقها إن كان عاجزا عن ضم أخرى إليها وعن العدل بينهما، فإن استطاع كان له الأفضل شرعا أن يبقيها في عصمته، وقد يكون بالزوج مرض أو عجز

---

[1] – العيني البانية في شرح الهداية، دار الفكر، (1411هـ- 1990م) ط2، ج5، ص 03.

[2] – سورة النساء الآية: 130.

[3] – أحمد فراج، أحكام الأسرة في الإسلام، دار الجامعة الجديدة، ط3،(1425هـ-2004م) ص 109.

[4] – عطية صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام مكتبة وهبة، ط2، (1427هـ- 2006م)، م ج6، ص 257، ص 258.

[5] – سورة النساء 130.

يمنعه النسل، والمرأة تتوق إلى تحقيق عاطفة الأمومة، ووجودها مع الزوج على حالته هذه إيذاء لها وحرمان من حاجتها، فيكون الطلاق محققا لمصلحتها[1].

سادسا: نموذج تطبيقي لأثر مفردة السراح أو التسريح من خلال توظيف البشير الابراهيمي لها في المقال الموسوم بـ" من مشاكلنا الاجتماعية – الطلاقة أنموذجا–"

التفسير اللّغوي لمفردة السراح:

يرتبط سراح بالفعل "سَرَاحْ" بالفعل سرّح، يُسرّح بوزن (فَعَلَ، يَفْعَلُ)، وقد وردت مرتين في القرآن الكريم، الأولى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾[2].

والأخرى في قوله من السورة ذاتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾[3].

والسراح من سَرَّحْتُ إذا طلَّقْتُها، وهو اسم مصدر، والمصدرُ السَّرْح والفعل سَرَحَ يقول ابن القطاع: "سَرَحَتِ الأنعامُ سرْحاً وسرَّحها راعيها أرسلها ترعى[4]، فسرح يتعدَّى ولا يتعدَّى، والمضارع منه يسرح ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦﴾[5].

---

(1)- عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام الأسرة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط2 (1420هـ-2000، ج7، ص 348.

[2] سورة الأحزاب (28)

[3] سورة الأحزاب (49)

[4] ابن القطاع الصقلي، كتاب الأفعال، تقديم وضبط : ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1 (1424هـ -2003م)، ص 250.

[5] سورة النحل الآية (6)

أمّا سرّح فقد جاء مقرون بلفظ السراح في القرآن الكريم مرة بصيغة المضارع، كما في قوله تعالى: "وأسرحكنّ سراحا جميلا" ومرة بصفة الأمر في قوله " وسرّحوهن سراحا جميلا".

وورد في "المصباح" "سُرِّحت الإبل سَرْحاً.... وَسروحاً رعت بنفسها، وسَرَّحْتَها يتعدَّى ولا يتعدَّى، سرَّحتها بالثقيل مبالغة وتكثير، ومنه قيل سرَّحتُ المرأة إذا طلّقتها، والاسم " السَّراح بالفتح ويقال للمال الراعي سَرْحٌ تسميةٌ بالمصدر[1].

نفهم من هذا أن سرحا مصدر الفعل المتعدّى سرَّحْتها، وسروحا مصدر الفعل اللاّزم سرحتِ الإبل وأمّا سرَّحتُها فيأتي للمبالغة والتكثير ومصدره التَّسريح والاسم السَّراح، وقد استعير اللّفظ للطّلاق فقيل سَرَّحْتُ المرأة إذا طلّقتُها.

والسَّرحُ: شجرٌ له ثمرة واحدة سَرْحَةٌ، وسَرَّحْتُ الإبل أصله أن تُرعيه السَّرْحُ، ثمّ جعل إرسال في الرّعي... والتّسريح في الطّلاق نحو قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾[2] ، وقوله: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾[3] مستعار من تسريح الإبل كالطّلاق في كونه مستعار من إطلاق الإبل.[4]

---

[1] القينومي (أحمد محمد بن علي)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الحديث، القاهرة د/ط (1429 هـ-2008) ص 148.

[2] سورة البقرة الآية 229.

[3] سورة الأحزاب الآية 49

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن راجعه وقدم له أحمد عبد الرحمان، المكتبة التوقيفية، القاهرة، د/ط ، باب الهمزة، ص235، ينظر:الغريبين في القرآن والحديث، أبو عيد أحمد بن محمد الهروي، قدم له وراجعه فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، ط1 (1419 هـ-1999م) ج3، ص883.

فالسّراح: اسم مصدر بمعنى التّسريح وهو التطليق والتخلية، والفعل منه سَرَحَتِ الإبل أو سَرَّحْتُ الإبل، أو سَرَحَتْ الإبل: بمعنى أطلقتها وأرسلتها إلى المرعى هذا في عرف اللّغة، ويرى "الكفوي" أن هناك فرق بين التّسريح والإطلاق، فالتّسريح هو إطلاق الشيء على وجه لا يتهيأ للعود، فمن أرسل البازي ليسرد فهو مطلق، ومن أرسله لا يرده فهو مُسَرَّحْ.[1]

أما رأي الشّرع لا يطلق إلا بضوابط وآداب وضعها الله عزّ وجلّ، فما كان للبشر الإبراهيمي إلاّ أن يمثل للشارع الحكيم ويذهب ماذهب إليه، فنجده يقول "... شرّعه الإسلام مقيّدا بقيود فطرية حكيمة وقيود شرعية قويمة. اعتمد في تنفيذها بعد فهم المراد منها على إيمان المؤمن، وشرع له من المخففات ما يهوّن وقعه كالتمييع ومدَّ الأملَ بالمراجعة، وتوسيع العصمة إلى ثلاث حتى تكمن الفئة إلى العشرة وما وصفه في القرآن بالسَراح الجميل والتّسريح بالإحسان، إلا تلطيف إلهي في أسلوب معجز يبعث في النفوس المؤمنة نفحات تلطّف".[2]

ولهذا نجد "الطبري": قد فسّر قوله تعالى:﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بقوله : " وأطلقكن على ما أذن الله له، وأدب عباده به"[3] لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾[4] .

---

[1] الكفوي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، إعداد عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط2، (1443هـ - 2011م)، ص 261.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الأثار، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1963، ج3، ص297 نشرت في العدد 7 من جريدة البصائر 19 سبتمبر سنة 1947م.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، دت، ط1 ج19 ص 84.

[4] سورة الطلاق الآية 1

كما فسر قوله تعالى:﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بقوله: " وخلّو سبيلهنّ تخلية بالمعروف وهو التسريح الجميل، ويقول إن كان يسمّى لها صداقا فليس لها إلاّ النّصف فإن لم يكن يسمّى لها صداقا متاعها على قدر عسره ويسره، وهو السّراح الجميل"[1].

ومنه نستنتج أن الطبري لفظ سرّح فسّر في الآية الأولى بمعنى طلّق، وفي الآية الثّانية بمعنى تخلية السّبيل.

ولم يبتعد البشير الإبراهيمي عن ما جاء به الطبري بقوله: "إن من يأخذ بفقه الطلاق من آية الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ومما بعدها من الآيات الآمرة بالوقوف عند حدود الله، الناهية عن تعدّيها، أو من آية ومتعوهن على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، أو من آية الحكمين ووعد الله بالتوفيق عند الإصلاح، والإغناء من واسع فضله عند التفرّق، أو من آية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه بين حالين: أحدهما التمتّع والسّراح الجميل، من أخذ فقه الطلاق من هذا المنبع العذب يعلم أي حكم مبثوثة تحت كل كلمة وكل جملة، ومن تفقّه هذا الفقه ونشره في النّاس... يبتعد جدّا أن يتلاعب بتلك العقدة الإلهية التي عقدها الله بين الزوجين، فيضعها في موضعها المعروف بين المسلمين"[2].

وفي هذا الصدد يقول ابن عطية الأندلسي:" والسراح الجميل يحتمل أن يكون ما دون بتّ الطلاق ويحتمل في نقاء جميل المَتَعَقَّدْ وحسن العشرة وجميل الثناء وإن كان الطلاق باتّا[3].

[1] المصدر السابق، الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج19 ص 84.

[2] البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج3 ص 298.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1422هـ، 2001م) ج4، ص381. "التسريح: التطليق وسمى الله الطلاق بثلاثة أسماء: الطلاق والسراح و الفراق "

والسـراح: الطـلاق وهـو مـن أسمائـه[1] وصـيغه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [2] والجميل الحسن حسنا بمعنى القبول عند النفس وهو الطلاق دون غضب ولا كراهية لأن الطلاق مراعى فيه احتساب تكليف الزوجة ما يشقّ عليها.

فالسّراح يعني الطلاق وهو ليس خيارا بيد المرأة وإنما بيد الرجل. وألفاظه الثلاثة وهي السّراح، والفراق والطلاق، وأي واحدة تلفظ بها الرجل وقع الطلاق، وهذا دليل على أن المسميات الثلاث بمعنى واحد (المترادفات).

وهذا ما جعل البشير الإبراهيمي يقول: " الطلاق حل عقدة، وبث الحبال، وتمزيق شمل، وزيال خليظ، وإنفضاض سامر، فيه كل ما في هذه المركّبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، ومن التياع وحرارة، وحسرة، ويزيد عليها جميعا بمعنى آخر، وهو ما يصاحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم "[3]

وهو فسخ رباط الزوجية بما يوجبه الشّرع، ولقد جاء لفظ السّراح في الآيتين المذكورتين آنفا، وفيما يخصّ أنّ العصمة بيد الرّجل نجد أنّ البشير الإبراهيمي يقول:" ..... وزاد الطين بلّة وضع منحرف لمكان الزوجة من زوجها، حتى أصبح متخلخلا متزلزلا لا استقرار له، وما جاء في هذا التّخلل إلاّ من سوء فهم من الرجل، انبنى عليه سوء تصرّف منه في الحقّ الذّي خوّله له الشارع، وهو يملك العصمة، وما جاء سوء فهم إلاّ من

[1] الهروي الغريبين في القرآن والحديث، المصدر السابق، ج3، ص 883.

[2]- سورة البقرة، الآية: 231.

[3]- البشير الإبراهيمي، الأثار، ج3، المرجع السابق، ص 297

سوء التفهيم، فالفقيه لا يعرف إلاّ أنّ العصمة بيد الزوج، لأنّه لا يجد في كتب الفقه إلاّ هذا، وهو في الحقّ في أصل الشّريعة، ولكن الإسلام لا يعطي هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلاّ للمسلم الصّحيح الإسلام، القوي الإيمان، فهوّ يكل إليه عهدا ويستحفظه على أمانة، اعتمادا على رشده وثقة بإيمانه، أمّا إعطاء هذه الامتيازات إلى الجاهلين المتحلّلين من قيود الإسلام فهو لا يقلّ شناعة وسوء أثر عن إعطاء السّلاح للمجانين " [1].

اسم مصدر وضع موضع المصدر وهو بمعناه، وفعله سرح يسرح تسريحا وهو مسرح مفعوله من سرحت الإبل أو سرحتها أو أطلقتها إلى المرعى، واستشير ويجوز أن يكون (السراح) مصدرا للأفعال التي ذكرت سابقا كما يجوز أن يكون اسم مصدر لسرحت الإبل غير أن العلة المانعة إيراد الحكم الأول هو قوله تعالى أسرحكن وقوله وسرحوهن.

ومما سبق نستطيع القول إن المتأمل في كتب التفاسير والدراسات المتعلقة بالإعجاز يجد أن المفردة القرآنية حظيت باهتمام واسع وحيّز كبير من اهتمام الدّارسين لأنها كسبت مكانتها ورفعت منزلتها ومقامها من النظم القرآني الذي ميّزها بالإعجاز وجعلها تحمل رونقا وكساها بالثوب الجديد وأفاظ عليها دلالات أخرى فوق ما يدلّ منها في المعنى اللغوي الصرفي، ومنها على وجه الخصوص بدون إنكار الغايات والمقاصد الأخرى من الجوانب اللغوية الصوتية والبلاغية والترتيبية والدلالية، ومن هنا علا شأنها لأنها من المصدر الإلهي، فقد أفاض الله عليها هذا الفيض، ونفخ فيها من روحه، كما نفخ في عصى موسى، لكي لا تتجرد الكلمات من طبيعتها التي يعرفها الناس منها، كما أبقى على عصى موسى.

ومن المعلوم بالضرورة أن أسلوب البشير الإبراهيمي لا يكاد يخلو من توظيف الآيات القرآنية على شكل اقتباس أو تضمين أو توظيف المفردة القرآنية في ثوبها البلاغي أو المقاصدي حسب ما اقتضت ودعت إليه الضرورة بحكم تمكنه من اللغة العربية وأسرارها

[1]– البشير الإبراهيمي، الأثار، ج3، المرجع السابق ، ص 299.

وبيانها وأساليبها، بالإضافة إلى حفظه للقرآن الكريم الذي يشمل ويحيط بمختلف العلوم اللغوية أو الدينية فمن أخذه أخذه بحظ وافر.

ولعل هذا النموذج المتمثل في دراسة مفردة السّراح أو التّسريح من خلال مقال من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق أنموذجا لخير دليل على تأثر البشير الإبراهيمي بالذكر الحكيم وحس توظيفه للمفردة القرآنية التي أضفت جماليتها على أسلوبه الذي يتميز بالقوة والجزالة والرزانة.

– الشّعر:

إنّ توظيف التراث في خطب "البشير الإبراهيمي" يظهر ظهورا جليّا في تضمينه أكثر من خدمة غرضه وتوشيح أسلوبه، ويتّخذ هذا التّضمين صورا وأشكالا عديدة في نصوصه، فقد يأتي بالبيت كاملا، أو ينثره نثرا، أو يحيّز منه عبارة، وهو في كل ذلك ينزع إلى تحقيق أغراض متنوّعة حسب السّياق الّذي ترد فيه هذه التّضمينات، ومن ذلك استشهاده بقول "أحمد شوقي": "لا بكم بعضكم على الخطيب بعضا أيها القوم، كلكم أبرياء"، وقد ورد هذا الاقتباس إثر قوله: "كذلك يجب أن لا نقضي في التلاؤم، وأن لا تكون كمن قال فيهم القرآن: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [1]. ومنه نلاحظ أن الإبراهيمي يرفق استشهاد الشعر يالقرآن الكريم، وذلك تأكيدا منه على النهي عن الفصل، وبيان بشاعته، وحين نستمع إلى قول الإبراهيمي: "يا أيها المسلمون أنتم أطباء هذه المعضلة، ولكنكم جاهلون، وأنتم الحكم المرضي في هذه المشكلات ولكنكم غائبون"[2]، فاستعماله لعبارة "الحكم المرضي" تحيل المستمع –إن كان ملمّا بالشعر العربي القديم وشواهده– إلى بيت الفرزدق الّذي هجاه رجلا من بني عذرة احتكم عليه، في المفاضلة بينه وبين جرير والأخطل، فانحاز العذري إلى جرير، وفضّله عليه والبيت هو:

ما أنت بالحكم التُرْضَي حكومته ** ولا الأصيل ولا ذي الرأي والحدل**[3]

---

[1]– الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج2، ص469.

[2]–المرجع نفسه، ج3، ص469.

[3]– ابن عقيل الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية مالك، تح محمد محي الدين، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد الجودة الساحر وشركاؤه، ط20، 1400-1980، ج1، 157. (هذا البيت لم يرد في ديوانه).

ينفي الفرزدق أن يكون الشخص الّذي خاطبه أهلا للحكم، فكلامه لا ينفذ، ولا يعوّل عليه، ولا يرجع إليه، فعبارة (الترضي) وحدها كافية أن تصرف أذهاننا إلى الشّعراء النقائض في الأوّلين، وعلى الفرزدق تحديدا في هذا البيت الّذي يعرف به لأنه أدخل الألف واللام (ال) –وهي اسم موصول بمعنى الّذي– على الفعل، وليس على الاسم؛ لأنّ من علامات الاسم أن يقبل (ال) والنداء، والإسناد إليه، أما أن تدخل (ال) على الفعل فهو عمال نادر الحدوث، قليل الاستعمال، وقد علّق على هذه المسألة صاحب (شذور الذهب) بعد إيراد البيت مباشرة بما يلي: "قلت ذلك ضرورة فتيحة".[1]

والشعر عند الإبراهيمي حكمة، وبلاغة، وفصاحة، وفطنة ودلالة على التنوع الثقافي عنده، ونزعته الإصلاحية، وحسن توظيفه لما يملك من معارف، وزاد لغوي، وذكرى، وعاطفة، من خلاله يعبّر عن عواطفه الجياشة، وحجته اللغوية، وزخرفة وترصيع أسلوبه، وهو يلجأ إليه متى اقتضت الضّرورة إلى ذلك، فلا يستعمل منه في الخطابة إلا بقدر حاجة المستمعين، ومستواهم الثقافي، وقدرة استيعابهم، فإذا أحسّ بتعطّشهم إلى الشعر ألقى عليهم دررا في ثنايا خطبه، ترجع إلى كبار الشعراء،الّتي تفيض بلاغة وحكمة وحلاوة اللسان.

الإطناب والتكرار:

من يتصفّح خطب "البشير الإبراهيمي"الّتي كانت موجهة إلى عامة الناس يتبيّن له أن الإبراهيمي استعمل أسلوب الإيجاز لعرض المعنى في لفظ قليل، وقد ركّز على الإطناب والإسهاب حتى يعطي للمعنى حقّه من الكشف، والإيضاح، والإبانة، ومثال ذلك قوله:

[1]– ينظر: ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، بيروت، 1988، ص21.

"لسنا نغني بأيام الأمم، هذه الأيام المتعاقبة الّتي يجمعها نسق الأسبوع، وتعرف بالأعلام، وتمتاز بمراتبها العدديّة في الشّهر، وإنما نعني هذه الأيام الّتي هي لمع في الدّهور...".[1]

فظاهرة الإطناب هنا أبانت المعنى في صورتين مختلفتين، الأولى مبهمة غامضة على سبيل الإجمال في قوله (لسنا نعني بأيام الأمم ... وتمتاز بمراتبها في الشّهر)، أما الثانية فجاءت مفصّلة مجملة، وموضّحة، ومفسّرة للإبهام الّذي ورد في الثانية، وجواباً للسّامع، في قوله: (...وإنما نعني بهذه الأيام الّتي لمع في الدهور، وشتات في غرر العصور). وهكذا يتّضح المعنى، ويزال الغموض، وتزول حيرة السامع، فالإطناب على هذا الشّكل الّذي يرد في كتابات الإبراهيمي، لا يراد به تحسين اللفظ على حساب المعنى، وإنّما هو الإيضاح، والبيان، وزيادة في الفائدة وهو منثور في خطب الإبراهيمي، كما له أغراض أخرى منها (خاص أريد به عام، وعام أريد به خاص).

وجود التكرار في آثار الإبراهيمي في مواطنَ عديدة ما هو إلا زخرفة في الأسلوب، والتّنويع فيه بهدف إثبات المقصود، والتأكيد عليه في ذهن المتلقي نفسه، وتقريراً للمعنى، والتكرار اللفظي غايته عند الخطيب تقعيدا للمعنى وتجديدا في الطرّح، يجلب به انتباه السامع، ويثير اهتمامه، كما له عدّة أغراض نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **تأكيد الرجاء**:نحو قوله: "تلك هي الأمة الّتي نرجوها ونعلق عليها الآمال، تلك هي الأمة الّتي تمحو سيئاتنا بحسناتها" [2]، فعبارته الأولى (تلك هي الأمة) **هي رجاء** صادق، يعوّل عليه الخطيب أمله في عودة الأمة الإسلامية كما كانت عليه قوية، ولها مكانة مرموقة بين الأمم، كي تضمن للحقّ أن ينتشر وللعدل أن يسود في العالم كافة، وفي تكراره للعبارة نفسها (تلك هي الأمة) تأكيدا لوقوع، وتحقّق هذا الرّجاء.

---

[1]—ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المصدر السابق، ص360.

[2]—المصدر نفسه ، ص142.

➢ **ب- طـول الفصـل**: مثـل قولـه: "فـنحن عبـاد الرحمـان الواجـب علينـا الامتثـال لأوامـره، واجتنـاب نواهيـه، وأعـداء الشـيطان الواجـب علينـا اتقـاء شـره، واجتنـاب مكـره"[1]، فكـرر (الواجـب علينـا) لطـول الفصـل بـين الأول ومتعلّقـة وهـو (امتثـال أمـره)، والثـاني اتقـاء شـره، وذلك خشية أن يكون ذهن المتلقي، ثم يتطرّق إلى ما ذكره أولاً.

❖ **الاعتناء باللفظ وحسن العبارة:**

إنّ القـارئ للخطبـة، والمتصـفّح لهاـ والمـتمعّن فيهـا يكتشـف مميّـزات الأسـلوب الّـذي يعتمـده الإبراهيمـي في أغلـب كتاباتـه، فأسـلوبه لـه طـابع خـاص، وذوق متميّـز، فهـو يبـدع فيـه، ويتفـنّن فيـه مـن خـلال:اختيـار أجـود الألفـاظ وانتقـاء أحسـن العبـارات ببراعـة يظهـر جلـي مـواطن كتاباتـه المتنوّعـة، مثـال قولـه: "مـن أراد أن يخـدم هـذه الأمـة فليقرأهـا كمـا يقـرأ الكتـاب، وليدرسـها كمـا يـدرس الحقـائق العلميـة، فـإذا اسـتقام لـه ذلـك، اسـتقام لـه العمـل وأمـن الخطـأ فيـه، وضـمن النجـاح والتمـام لـه، فـإنّ التصـدّي لأي عمـل يمـسّ الأمـة مـن غـير درس لاتجاهها، ولا معرفـة بدرجـة اسـتعدادها كـان خطّـه الفشـل"[2]، وحسـن اختيـاره والاعتنـاء بهـا لتكـون زينـة لمعانيـه، فيخـرج هـذه المعـاني، مهمـا كانـت قيمتهـا في ثـوب مـن الروعـة والجمـال، وهـو نهـج طائفـة مـن العلمـاء والأدبـاء ممـن ورثواـ وتوارثـوا فنـون الأدب والثقافـة العربيـة مـن عصـورها المختلفة. أعدت المنهل الّذي فجّر طاقتهم، وأطلق العنان لألسنتهم وأقلامهم.[3]

وقـد كانـت لـه قـوة عجيبـة تحـول لـه استحضـار الألفـاظ، والاسـتثمار فيهـا تظهـر فيـه ملامـح ومعـالم قـوة ملكتـه اللغويـة لفظـا وحفظـا، فسيختصـر وجودهـا، ووظيفتهـا في القسـم لمطابقة الواقع بالحاضر، ويصوّر منها ما يشكّل أفكاره ويخدمها، ويدعم بها حججه.

---

[1]—ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المصدر السابق ، ص132.

[2]— محمد البشير الإبراهيمي، الحقائق، جريدة البصائر، السنة 2، 1948، العدد 64، ص05.

[3]— محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص199.

لقد كان الإبراهيمي كثيرا ما يلجأ في خطبه إلى اقتناء الألفاظ السهلة المألوفة، وتجنّب حشو الألفاظ السّهلة لمراعاة مقتضى الحال، والمقام، والسياق، والكلام، نظرا لتنوّع مستويات الجمهور الّذي يستمع إلى خُطبه فقلما ترد ألفاظ غريبة الاستعمال، وإن وردت فتأتي دون تكلف ولا تصنع بل بعفوية، فقد تيقّن الإبراهيمي أن الخطابة لها وزن ثقيل في إظهار الحق، واستنفار النفوس فكانت سبيلا وطريقا للدعوة، وخدمة قضية شعبه، وتحقيق أهداف أمتّه، مُعتمدا في ذلك على مصادرَ التشريع من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الأدبي العربي القديم، وأساليبه الفنية الأصلية. كل ذلك أسهم في صناعة وإعداد خطيبا بليغا، ومصلحاً مناضلا من أجل فكره ودعوته، مما كان له الأثر البليغ في الارتقاء وتطوير أدب الخطابة، وتحقيق الأهداف السامية من اعتماد

المطلب الثاني: فنّ المقامة.

1- المقامة لغة: بمعنى "المجلس والجماعة من الناس"[1]، ويبدو أنّ لبيد بن ربيعة قد استعمل المقامة للدلالة على الجماعة من الناس، بقوله:

ومقامة غلب الرقاب كأنهم ** حب لدى المصير باب الحصير قيام**[2] وقد استخدمت في العصور الإسلامية بمعنى "المجلس الّذي يقوم فيه شخص بين يدي الخليفة أو غيره".[3]

---

[1]- ركان لصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى القرن الخامس هجري، مشروداة الهيئة العامة السردية للكتابة، ط1، دمشق، ص114، بتصرف.

[2]- لبيد بن ربيعة العامري، ديوان العرب، تح محمد علي الحسيني، دار الكتب العلمية،هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ط1 1433-2012، ص82، ينظر:ابن منظور، لسان العرب، ت ح: أحمد فارس، دار صادر، ط1، بيروت، 1330هـ، مج، 12، ص498، ينظر: لبيد بن ربيعة العامري، ديوان العرب، تح محمد علي الحسيني، دار الكتب العلمية،هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 1433، 2012، ص82.

[3]- شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف مصر، ط3، 1954، ص07.

2- اصطلاحا: يعرّفها "شوقي ضيف" من خلال مقامات بديع الزّمان بقوله: "نوع من القصص القصيرة الّتي تحفل بالحركة التمثيلية، وفيها تدور محاورة بين شخصين"[1]، ومن الملاحظ أنّ هذا التّعريف يُشير إلى عنصر من عناصر المقامة وهو الحوار دون البقية، في حين عرّف الباحثون المقامات بأنّها "مجموعة من القصص الّتي يودعها الكاتب ما يشاء".[2]

إلاّ أنّها في الحقيقة تتجاوز الأطر والميادين اللّغوية، لتشمل جميع فروع العلم والمعرفة، لكونها تعنى بـ "جمع درر الألفاظ، وغرر البيان، وشوارد اللّغة، ونوادر الكلام من منظوم ومنظور، فضلا عن ذكر الفرائد اللّغوية البديعية، والرقائق اللّغوية كالرسائل المبتكرة[3] وغيرها"، ومن هذا المنطلق فإنّ المقامة هي الفن الأدبي الّذي مكّن الكتاب من إظهار براعتهم وتميّزهم عن بعضهم البعض، وذلك لأنّها عبارة عن كتابة حسنة التأليف، أنيقة التّصنيف تتضمن موضوعا أدبيا هادفا، أو لكنة لطيفة تسند إلى بعض الرواة ووقائع شتى، وتعزى إلى أحد الأدباء، وكثيرا ما نلحظ أن المقامة قد تحضر فيها عنصر المناظرة، مما يزيدها قيمة فنية جمالية.

3- فنّ المقامة:

لما كان النثر الجزائري الحديث قد نهل التراث العربي ولم ينقطع عنه، خاصة في الأشكال الّتي ظهرت منذ القديم، فإنه من الطبيعي أن يكون شكل المقامة في هذا النثر، وأن يكتب الجزائريون مقامات أدبية بصرف النظر عن مستواها الفنّي، فهذا الفنّ في الجزائرية كينونة، وقد تلقفه الأدباء الجزائريون بعناية واهتمام، وإذا كان فنّ المقامة من الفنون الّتي تناولها الأدب العربي منذ (القرن الرابع الهجري)، فإنّ الأدب الجزائري لم يعرف هذا الفنّ إلى مع القرن السادس الهجري، بنماذجَ أحجام متعددة ومتنوعة من حيث الأسلوب، واللغة،

---

[1]- المصدر السابق، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع الخامس هجري، ص140.

[2]- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، المكتبة التجارية الكبرى (د،ط) (د،ت)، مصر ،ط2، ج1، ص197.

[3]- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، ط35 (1996)، ج1، ص308-309.

والمحتوى حسب الفترات المتعاقبة، كما أنه كان من الطبيعي أيضا أن يطوّعوا هذا الشّكل لأفكار عصرية تتوافق مع العصر، وأن يوظّفوا المقامة لوظائف جديدة تتعدى الوظيفة التقليدية.

وممّا لا شكّ فيه أنه كان للجزائر حظا ونصيبا من هذا اللون الأدبي النثري، فقد أشيع قبس المقامة في الأدب الجزائري في وقت مبكر، مع كاتب لمع في هذا اللون النثري وهو (محمد بن محرز الوهراني) الّذي أجاد وأمتع وأبهر فيها، وكانت الأكثر شيوعا وتوهّجا وتألقا...[1]

يقول "عمر بن قينة" عن المقامة في الأدب العربي الجزائري: "إنّها تكشف عن حيوية الكلمة الأدبية في الجزائر، ورغم ظروف الانحطاط والضعف والهوان الّتي مسّت الوطن والأفراد لم تمت الكلمة الأدبية، ولا اندثر النّص الأدبي المتوهّج في أكثر من حلة، فكانت الوظيفة عموما تاريخية فكرية سياسية ثقافية اجتماعية ترفيهية، تراوح فيها البناء الفني بين الأصالة والمعاصرة".[2]

وعقب الحرب العالمية الأولى انتشرت المقالة، وازدهرت في النثر الجزائري الحديث، وأسهمت الصحافة في تنشيط فن المقامة، لتحمل بقالبها المنفرد الموضوعات والقضايا الهامة، فسطع عَلَم في الأدب الجزائري، وهو محمد البشير الإبراهيمي، الّذي كتب المقامة التأبينية للإمام ابن باديس، والّتي نشرت فيما بعد في جريدة البصائر العدد 76 سنة 1949م، وقد حذف منها الكثير بسبب تضييق الاستعمار الّذي أحكمه قبضته أكثر من

[1]– ينظر الوهراني، مناماته ومقاماته ورسائله، ت: إبراهيم شعلان، محمد نفس، مراجعة، عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص01-02.

[2]– عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب العربي الجزائري، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص126

ذي قبل بعد أحداث 08 ماي 1945، لذا أسسّها الإبراهيمي (مُناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة).[1]

فمقامات العصر الحديث تختلف عن العصر القديم؛ كونها تناقش ظروفا راهنة تنتهي بوصول الكاتب إلى نتيجة معينة حسب الموضوع المطروق، وقد كان ظهور فن المقامة في الجزائر نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية الّتي تركها المحتل، وسياسته الجائرة، مما أدى إلى دخول الفرد الجزائري في صراع إيديولوجي، من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية بجميع مكوناتها ورموزها، أو التأثر بالثقافة الغربية، والانطواء تحت لوائها ، وكان الهدف الأسمى من ذلك القضاء على الثوابت الوطنية.[2]

والمقامة كفن نثري يصوّر مشاهدَ الحياة، ومشكلاتها، وبوصفها بأسلوب فيه الحركة، والتمثيلية القصيرة، وإن غلبت عليها الصيغة اللفظية والصيغة البلاغية، تتشكّل في ثلة من العناصر أهمها الراوي وسلاسته، والبطل وخوارقه، والشّخصيات، وأحداثها، والمُكدى والعقدة، والحلّ، ويطوف حولها شيء من السّخرية والاحتيال تطعم بالشعر والغريب من اللفظ الّذي يحبه الكاتب فجأة، ويبثّ فيه الحركة من جديد، غير أنها عبر العصور وحسب حيثيات كل عصر قد تخلّت عن ملامح واكتسبت أخرى، يتصرّف الكاتب في هيكلتها كما شاء حسب الموضوع، فحدث تطوّر واضح في مقامة القرن العشرين، من الجانب الفكري، والاجتماعي، والإصلاحي، وكذا المُعالجة الأسلوبية أيضا، مع ارتباطها بظروف العصر في إفرازاته، ونتائجه، والموقف من ذلك كله، وهو ما يلاحظ مع الإبراهيمي؛ وهذا تفصيله، وبيانه.[3]

---

[1]– حسن المقال في فن المقام عند البشير الإبراهيمي، أم السعد فضيلي، ص148.

[2]– المرجع نفسه، ص149.

[3]–حسن المقال في فن المقام عند البشير الإبراهيمي، أم السعد فضيلي، المرجع السابق ، ص149.

4- عناصر المقامة:

يظهر من خلال العنوان (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) أنّ"البشير الإبراهيمي" كتب مقامته رثاء لـ"ابن باديس"؛ ليعبّر عن قيمة الأخوة، والمحبة، ووفاء للصّداقة، والاعتراف بالفضل، والتقدير لعظمة الرجال في حياتهم ومماتهم، وقد نظم هذه المقامة بعد مرور عام على وفاة ابن باديس، "فقد مات ابن باديس في حيث كان رفيقه في الجهاد وقسيمه في العلم والعمل منفي تقي قرية (آفلو) من الجنوب الوهراني، بحيث لم يحضر دفنه، فعوض ذلك برسالة تعزية كتبها إلى إخوانه،يبثّ فيها حزنه للمصيبة، وصوّر فيها آثارها، ولم تنسيه الفجيعة ما يوجه من النصائح بالثبات، واستمرار السير، ومنها رسالة إلى أحمد توفيق المدني يقول فيها: "بل كان كالشمس لجميع الناس، وأعتقد أن فقده لا يحزن قريبا دون بعيد، وإن أقر الناس بقيمة الفقيد وبقيمة الخسارة بفقده للعلم والإسلام لا الجزائر وحدها".[1]

ولما مضى على موته سنة، ورفيقه لا يزال في المنفى، أرسل من منفاه هذه المقامة، فأبكت وجدّدت الأسى، وهي مناجاة لقبر رفيق دربه، وأحد أعلام الإصلاح في الجزائر ابن باديس، وقدّم لهذه المقامة محمد الغسيري "ما رأينا في حياتنا رفيقين جمع بينهما العلم والعمل في الحياة، وجمع بينهما الوفاء حين استأثر الموت بأحدهما مثلما رأينا إمامي النهضة الجزائرية عبد الحميد ببن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، رحم الله الميت وأمد في عمر الحي جي يحقق للجزائر أمنيتها".[2]

المجلس: هو تشكيل الأول لبناء المقامة، ففيه ينضم الجمع لسماع ما يروى، وإشراك الحواس في الموضوع المطروح، وكان رسم المجلس واضحا عنده من المقدمة، فقد استفتح البشير الإبراهيمي المجلس بالتحية، والسلام، وتوجيه الحوار إلى القبر رمزا به إلى ما يحتويه، مشركا بذلك كل من يسمعه فيتهيأ القارئ للوهلة الأولى كأنه سيتلقى خطبة غير أن تحويل الحوار وخلق الشخوص يرمي إلى ملامح القصّ، والنسج فيقول: "سلام يتنفس عنه

[1]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1977م، ج2، ص337.

[2]- الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74.

الأقحاح بازدهاره وإيراقه، ويتبسم عنه الصباح بنوره وإشراقه، وثناء يتوهج به من عنبر الشجر عنبره، ويتبلج من بدر التام على الركب الخابط في الظّلام منبره، وصلوات من الله طهورها الروح والريحان، وأركانها النعيم والرضوان، وتحيات زكيات تنزل بها- من الملأ الأعلى- ملائكة الروح وتروح، وخيرات مباركات يصدق برهان الحق قولها للشّارح بفعلها المشروح.." فهو يصور المكان وهو أمام قبر ابن باديس ويباشر حواره في أجواء تأبينية: ... سلام من أصحاب اليمين، وغيوث من صوادق الوجود، لا صواعق الرعود... وسوافح من العبرات تنحل عزاليها، ولوافح من الزفرات تسابق أوخرها أواليها، على الجدث للذي التأمت حافتاه على العلم الجمّ، والفضل العد... وسلام على مشاهدَ كانت بوجوده مشهودة، وعلى المعاهد ظلال رعايته، وتعهّده عليها ممدودة، وعلى مساجدَ كانت بعلومه ومواعظه معمورة، فبهذا السلام أعلن الإبراهيمي افتتاح مجلسه، وحدّده.[1]

البطل: كما كان الإبراهيمي مباشرا في رسم مجلسه كان أيضا مصرّحا ببطله منذ البداية، وهو الفقيد ابن باديس من خلال قبره، فهو حاضر منذ البداية لا تعتيم عليه، فظهر قويّا بطولاته، ومواقفه، ونضاله، واستمالته من أجل الأمة لهذا عمّ الوصف ثنايا المقامة: "يا ساكن الضريح، نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح، يتأوه في كل لحظة خالك وذكراك..." فينعته ساكن الضريح: "أأكني؟ أم أنت كعهدي بك تؤثّر التصريح؟ إن بعدك أتعب من بعدك... وايم الله لقد تلفتت بعدك الأعناق، واشرأبت، وماجت الجموع، تبحث عن إمام لصفوف الأمة ما يملأ الفراغ ويسدّ الثلمة، فما عادت إلا بالخيبة، وصفر العيبة". ويسرد صفاته سردا وكأنه يلخص حياة ابن باديس ومواقفه في مشهد قصصي محكم: "يا ساكن الضريح مت فمات اللسان القوال، والعزم الصوال، والفكر الجوال، ومات الشخص الّذي كان يصطرع حوله النقد، ويتطاير عليه شرر الحقد؛

[1]—الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74، أم السعد فضيلي، حسن المقال في فن المقام عند البشير الإبراهيمي، مجلة الآداب واللغات، العع8، جوان 2018، ص150.

ولكن لم يمت الاسم الّذي كانت تتقعقع به البرد، وتتحلّى به القوافي الشرد، ولا الدوي الّذي كان يملأ سمع الزّمان، ولا يصيبه منه إلا الحق، فبموته مات اللسان الفصيح، والفكر النير، والعزم المتقد، لكن ما تركه خالد لا يموت ما دامت الدنيا".[1]

مات الرسم، وبقي الاسم، واتفق الودود والكنود على الفضل والعلم "فهو المصلح، والمقوّم، والمهيء للخير والبار بأبناء الأمة، والمكرس للقيم الفضلى فيهم لا يخلى خوله: وعزاء فيك لأمة أردت رشادها، وأصلحت فسادَها، ونفقت كسادَها، وقوّمت منآدها، وملكتَ بالاستحقاق قيادَها، وأحسنتَ تهيئتها للخير وإعدادَها، وحملتها على المنهج الواضح، والعلمَ اللائح، حتى أبلغتها سدادَها، وبنيت عقائدها في الدين والحياة على صخرة الحق، ومثلك مَن بنى العقائد وشادها، أعليت اسمها بالعلم والتعليم، وصيّرت ذكرها محل تكريم وتعظيم، وأشربتها معاني الخير، والرحمة والمحبة، والصدق، والإحسان والفضيلة، فكنت لها نعم الراحم، وكنت بها البرّ الرحيم". فيناديه من خلال القبر بحسرة بادية: يا قبر، أتدري من حويت؟ وعلى أي الجواهر احتويت؟ إنك احتويت على أمة في رمة، وعلى عالم واحد. فبعد السؤال يأتي الجواب بذكر أوصاف الفقيد: "يا قبر، أيدري مَنْ خطّك، وقاربَ شطّك، أي بحر ستضُم حافتاك؟ وأي معدن ستزن كفتاك؟ وأيَّ ضرغامةِ غابٍ ستحتبل كفتاك؟ وأي شيخٍ كشيخك؟ وأي فتى كفتاك؟ ... فهو البحر، والمعدن الثقيل، والضرغام العظيم، والشيخ الجليل، والفنى الوهاج".[2]

ومن إنجازاته أدرج قول عبارة (الرجال أعمال) التأريخ لمآثر أقوال علماء، مستحضرا مواقفهم البطولية، وذلك بذكر معالمهم،مستقرئا أبعادها الإصلاحية اجتماعيا ودينيا، وسياسيا، ومدى أثرها في الفرد والمجتمع، خاصّة وأنّ كيان الشعب الجزائري مصابٌ في عقيدته أولا، ثمّ لغته، وكرامته.

---

[1]—الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74، أم السعد فضيلي، حسن المقال في فن المقام عند البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص151.

[2]—الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1 ، المرجع السابق، ص155.

"وسلام على مشاهدَ كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت تحت ظلال رعايته وتعهّده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلومه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، ونوره الزاهر مغمورة، وعلى جمعيات كان شَمْلها بوجوده مجموعاً، وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير مدوّياً في جنباتها مسموعاً... مشاهد كان يراوحها للخير والنفع، وكانت آفاقها بأنواره مسفرة، ومعاهد كان حاديَ زُمَرها إلى السلم، وهادي نُزَّاعها إلى الإحسان والعلم؛ فأصبحت بعده مقفرة... ومدارس، ما مدارس؟ مَهَدها للعلم والإصلاح مغارس، ونَصَبَها في نحور المبطلين حصوناً ومتارس... فتستحق إنجازاته أن تحيا فهو مشيد المشاهد ورافع المساجد وباني المعاهد بحرصه على نشر العلم والنور في أمته".[1]

ويركن البشير إلى قناعة المؤمن حال الضراء، معترفا أن ابن باديس لم يمت، بل بلى منه الجسد لا الذكر في التاريخ، والعلم الغزير الّذي خلّفه للأمة: "فلئن ضايقته الأيام في حدود عمره فقد أبقت له منه الصيت العريض، والذكر المستفيض، ولئن سلبته الحليةَ الفانية فقد أَلْبستْه من مآثر حُلل التاريخ الضافية، ولئن أذاقتْه مرارة فقده فقد متّعته بقلوب أمّة كاملة، ولئن حرمته لذة ساعات معدودة فقد أسعدته به سعادةً غير محدودة".

وبهذا البوح يغطّي البطل المقصود الهدف المنشود من المقامة، ويزيد السّامع حبّا لروحه. فخلت التجربة الإبراهيمية من البطولة التقليدية في المقامة، فقد عوّضها بضرب آخر من البطولة، وذلك بتعداد آثارَ، ومناقب بطل الإصلاح، ومرشد الأمة في زمن الحاجة الشّديدة إلى قائد الأمة، جامعا بين الألم لفقدانه، وبين التماسك والتمسّك بالطريق الّذي رسمه، وأضاء به من حوله وقت الظّلام الحالك الّذي ساد البلاد.

[1]– الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74، ينظر: حسن المقام في فن المقال، المرجع السابق، ص156.

ثم يتقدّم خطوة نحو نهاية المشهد للمواقف، مهنئا ابن باديس على ما قدّمه قائلا في الختام: " وسلام عليك في الأوّلين، وسلام عليك في الآخرين، وسلام عليك في العلماء العاملين، وسلام عليك في الحكماء الربّانيين، وسلام عليك إلى يوم الدين"، هكذا يجعل الإبراهيمي القارئ يتجوّل عبر مناقبَ، وإنجازات البطل ابن باديس، مُصوّرا حقيقته.

الراوي: لم يتّخذ الإبراهيمي راويا باسمه للمقامة، على غرار ما كان سائدا قبله منذ أيام الهمذاني، فالقصّة معروفة أنّها قصة ابن باديس، تفجع الأمة لفقده ،ويترك فراغا روحيا رهيبا في فترة كانت الأمة تأخذ قوتها من هذا المعين، والإبراهيمي على علم ودراية بأنه لا أحد يجهل راويها وهو الإبراهيمي نفسه رمز من رموز الإصلاح الّذي كان يشده قطب آخر هو ابن باديس، فملامح الراوي غير مهمة بالنسبة إليه؛ لأنّه يعلم أن كل جزائري يعرف من هو الإبراهيمي بالنسبة لابن باديس رفيق الروح، فنظم الرواية باثا لانفعالاته من خلال الحوار بشكل مباشر يزج بالسّامع في موضوعها دون أن يسند الحكي لحاك كما كان الشأن مع الهمذاني ومن تلاه فلم يبتدئ الإبراهيمي أحاديثه بما كان يبتدئ به أصحاب المقامة مقاماتهم من مثال (حكي) أو (روي) أو (حدثني)... بل باشر بعرض أفكاره، وتصويرها، وتوجيه حواراته دون اتخاذ رواية يروي حديث، لأنّه هو راويها.[1]

الحوار: حتى يعطي الإبراهيمي للمقامة بعدها القصصيّ على أكمل وجه جعل لحواره طرفا آخر متلقيّا له، ومن ثم ينقل من خلاله ما فاضت به النفس من ألم وحزن على الفقيد، متأثّرا ومقتفيا بالشّعر الجاهلي في جعل صاحبين يتحملان معه المصيبة، ويأنس بهما بتخفيف الحزن عليه، ويرمزان إلى كل جزائري فقد ابن باديس، فيتأسّى بهما وكأنه لا يطيق أن يناجي قبر صديقه وحده، فما انفكّ يدخل هاتين الشّخصيتين لتكفي الحوار متخيلا لهما يتهيآن لاستقبال أوامره، وحمل خواطره، فقال: "بكرا صاحبي، فالنجاح في التّبكير، وما

[1]– الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74، ينظر: حسن المقام في فن المقال، المرجع السابق، ص158.

على طالب النجاح بأسبابه من نكير، تنجحا لصاحبكما طية، لا تبلغ إلا بشد الرحل وتقريب المطية، فقد ختمت- كما بدئت-الأطوار، بدولة الرحال والأكوار، "سيرا- على اسم الله- في نهار ضاح، وفضاء منساح، ضاحك الأسرة وضاح". "سيرا روحي فداؤكما من رضيعي همة، وسليلي منجبة من هذه الأمة، وأتيا العدوة الدنيا فثم المنتجع والمراد،وثم مناخ المطايا على حلال الحق، وجيرة الصدق، وعشراء الخلود، الّذين محا الموت ما بينهم من حدود، وخصّا القبر الّذي تضمّن الواعي السميع، والواحد الّذي بذ الجميع"". [1]

فيتوسل بنكرتين أبدعهما خياله على نحو ما كان يفعل الشعراء منذ خطاب امرئ القيس مرافقين قائلا:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل ** بسقط اللوى بين الدخول فحومل**[2]

فيدعو الطيفين الخياليين لينوياه، وينقلا عنه حزنه على رفيع القيمة بعلمه، وعلى البلاد والعباد بعده: "يا قبر، عزَّ على دفينك الصبر.

"... يا قبر، ما أقدر الله أن يطويَ عَلماً ملأ الدنيا في شبر! يا قبر، ما عهدنا قبلك رمساً، وارى شمساً، ولا مساحة، تكال بأصابع الراحة، ثم تلتهم فلكاً دائراً، وتحبس كوكباً سائراً.يا قبر، قد فصل بيننا وبينك خط التواء لا خط استواء، فالقريب منك والبعيد على السواء.يا قبر، أتدري من حويت؟ وعلى أي الجواهر احتويت؟ إنك احتويت على أمة، في رمّة، وعلى عالَم في واحد."

فأتاح له الحوار مع ابن باديس في قبره من خلال الشّخصيتين ذلك البعد الدرامي المحبوك، ووفر الكاتب لقارئه تنويع النبرة، وبثّ الانفعال كما يستدعيه الموقف، وقد بدأ المشهد جامعا بين عناصر هذا النص، فبيّن نوع المقامة خاصة بعدما أشبع بالشخصيتين الخياليتين اللتين أبدعهما خيال الكاتب، لتبليغ رأيه، ورؤيته في إنجاز ابن باديس الفكري،

---

[1]—الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74، ينظر: حسن المقام في فن المقال، المرجع السابق ، ص160.

[2] امروؤ القيس، ديوان امروؤ القيس، تحقيق عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان،ط1، 1990، ص114

والفراغ الكبير الّذي أحسّ به الإبراهيمي يعسر أن يملأ ببساطة، فشكّل في نفسه من أوجاع وطنية، وأشواق إنسانية قوامها: الوفاء والحبّ، والإخلاص، والصّدق، والثّبات في الأقوال والأفعال.

فيأتي حواره أحيانا متأججا مشتعلا ملتهبا، يحمل حرقه صاحب على صاحبه: اهتفا فيها بسكان المقابر عني: أوَ ما استقلَّت بالسميع الواعي ما للمقابر لا تُجيب الداعي؟

وخصّا القبر الّذي تضمّن الواعيَ السّميع، والواحدَ الّذي بذّ الجميع، فقول المعني: ياقبر، عزَّ على دفين كالصبر، وتعاصى كسرُ القلوب الحزينة على من فيك أن يُقابَل بالجبر، ورجع الجدال إلى الاعتدال بين القائلين بالاختيار، والقائلين بالجبر.

قول الصاحب القبرعني: يا ساكنَ الضريح، نجوى نِضْوٍ طليح، صادرةً عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح، يَتَأَوَّبُهُ في كاللحظةٍ خيالُك وذكراك، فيحمل انإليه على أجنحة الخيال نمسرا كاللهب والريح، وتؤدي عنهما شؤونه المنسربة، وشجونه الملتهبة، وعليهما شهادة التّجريح.

إن من تركت وراءك لم يحمد الكرى فهل حمد تكراك؟ وهيهات ماعانٍ كمستريح!.[1]

ويأتي أحيانا هادئا متبصرا: ياقبر،ماعهدنا قبلك رمساً، وارى شمساً، ولامساحة، تكالب أصابع الراحة، تمتلتهم فلكاً دائراً، و تحبس كوكباً سائراً.

لقد جاءت حوارات الإبراهيمي جاءت مرتبة، لا يحس القارئ بإرباك فيها، تشدّه وتُثيره دون خلل؛ لحسن انتقاء وتوظيف الحوارات المسجوعة الموجزة، وبتحريك الشخوص في شيء من الدرامية، والتأثر أثناء تلقي الخطاب، وتحميلهما عبء مسؤولية نقل الحوار للمتلقي، أو السّامع.

[1]– الآثار، البشير الإبراهيمي، ج1، ص74، ينظر: حسن المقام في فن المقال، المرجع السابق، ص160-161.

5- الخصائص الفنية لفن المقامة:

إذا تطرّقنا إلى لغة المقامة في كتابات البشير الابراهيمي فلا بد أن نستعرض بعض الجزيئات الكثيرة والمتنوّعة، أهمّها الألفاظ، والعبارات، والأساليب، وعنصرا البديع والبيان، والاقتباس من القران الكريم.

واللّغة المكوّنة "والعنصر الرئيسي في التشكيل الفني للمقامة، تشكّل نفسها بنفسها، وتنبثق من ذاتها وتشكل كيانا منفصلا مستقلّا يشير، ثمّ يرتد إلى ذاته، فالألفاظ في بناء الجملة والجملة في سياق الفقرة في نموّها وتكاملها تبثّ متحركة، نشطة" معبّرة عن أفكار الكاتب.[1]

أما عن علاقة اللغة بالعمل الأدبي فهي بمثابة الروح للجسد، إذ لا يمكن الفصل بينهما، لذا تعد عنصرا من عناصره المهمة في التغيير الفني، وقد أعدّها في عصرنا الحالي وسيلة أدبه في التغيير والإبداع "فهي موسيقاه وهي ألوانه، وهي فكره، وهي المادة الخام الّتي تشكل منه كائنا خلقه الشّاعر، أو القاصّ، أو المسرحي من ذاته كائنا ذا صوت يحمل صورة، وكما يحمل الحجر صورة نابضة لمثال بارع، فكذلك اللغة في يد الكاتب، أو الشّاعر قادرة على أن تحمل صورة نابضة حيّة".[2]

أ- الألفاظ والعبارات: من أهمّ السّمات البارزة في كتابات البشير الإبراهيمي أنّ أسلوبَه يتّسم بالوضوح، والابتعاد عن الغموض في الأجناس الأدبية الأخرى، كالمقالة والخطابة الّتي الهدف منها الإرشاد، والتّوعية والإصلاح، غير أنّه في هذه المقامة قد لا يستغني المتصفّح عن الاستعانة بالمعاجم إذا أراد قراءة هذه المقامة، لما فيها من كثرة العز به، وإحكام التركيب، كما لا يستغني عن الإلمام بأمّهات الكتب في الأدب، والدواوين الشعرية والتاريخ،

---

[1]- ابراهيم السعافين، أصول المقامات، دار المناهل، بيروت، لبنان، 1987، ص118.

[2]- حمد زكب العمشاوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة، بيروت، 1979، ط1، ص134.

والعقائد، لما في تلك المقامة من كثرة التّضمين، والبديع، وإلى ذلك من الألوان البلاغية، والإشارات التاريخية، ومشاكلها.

ومنه نستطيع القول إنّ الإبراهيمي عمد إلى الألفاظ الغريبة والصّعبة في انتقاء الألفاظ، وهنا محاولة منه طبع الرسالة التأبينيّة بطابع مقامي،فجعلها لا تخلو من صفات الفخامة، وكذا العبارات الغزلية بألفاظ من المعجم القديم، وهو المعروف بحسن توظيفه للمعجم القديم، غير أنّ مسؤوليته اتجاه المقامة جعلته يميلُ إلى المحافظة على قالبها المستمرّ ما استطاع، كما كان أيام الهمذاني الّتي اتّسمتبطابع وظيفي تعليمي، ومن الألفاظ الّتي ضمّنها داخل المقامة تذكر منها: (لا تمين الغزر، الغر، المتضوع، والمنبعث الطية، المعمرية القود، العبيه)...وغيرها.

ومنذ القدم "عليت المقامة عن المعنى بداعي الاستجابة المنطقية للتلقي، فهي تسعى للإثارة والتّشويق ومحاولة السيطرة على وجدان وشعور المتلقي وإدهاشه، من خلال التلاعب بالألفاظ وانتقائها، حتى لا ينشغل عنها انتباهه، ولا يتغير إلى غيرها اتجاهه.[1]

فجل ألفاظه من المعجم القديم للغرض المقصود، وقد عرف الإبراهيمي بسعة تكوينه، وتوسيع مداركه، وصقل موهبته في "امتلاك ناصية اللغة العربية، فكان مطلعا على أسرارها وخبيرا بها، ضالعا في أساليبها بارعا في فنونها وآدابها".[2]

فكانت وسيلة له، وترجمانا لأفكاره، ومنه استطاع الإبراهيمي أن يرتقي بلغته في المقامة إلى مستوى رفيع ذي فنية غالية، و يجعلها ذات دلالة موحية بفضل إحساسه إزاء ما لقاه من واقع المسلمين بعد ابن باديس؛ إذ هذا الاحتقار يدلّ على تذوّقه الرفيع، وحسن توظيفه لزاده اللغوي المتنوّع الموسع، ووعيه، وإحساسه بالكلمات وأبعادها، وتدلك الميزة

---

[1]–السرد والظاهرة الدرامية، دراسة في التجليات الدرامية لسرد العربي القديم، المركز الثقافي، المغرب 2003، ط1، ص237.

[2]– بوعلام السايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم (1830-1954)، الجزائر 2007، ص272، وينظر مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، السنة15، العدد87، الجزائر 1985، ص60 .

تشير إلى أصالته، وانعكاسها على لغته، وظهورها ظهورا جليا في أسلوبه، ولغته، وإنتاجه الفني، وابتعاده عن السّطحية.

فحقّقت هذه المقامة هدفا آخر هو "إعادة الصفاء للغة العربية في ألفاظها، وتعابيرها، وصقلها صقلا يعيد لها بياضها المشرق" [1]، وهكذا كان أسلوب الإبراهيمي متميزا برصانته، وإحكام بنائه، وانتقاء ألفاظه الجزلة الفخمة، وحسن التأنّق في الصّياغة، فهو كما وصفه عبد الملك مرتاض: "استمرار للأساليب الفحلة القديمة وتطوّر لتعريبها، وطرائقها في القول، وزخرفة الكلام، لذلك يجد فيه الباحث كثيرا مما يجده في الأساليب الفحلة القديمة من جزالة الألفاظ، ووضوح المعاني، وحرصا على التأنّق في الأسلوب، ورغبة في رشّه بالمحسّنات اللفظية والمعنوية على اختلافها".[2]

ووقوفا على ما سبق، يعدّ أسلوب الإبراهيمي مدرسة فنية قائمة بذاتها، ومنهلا فنيا للكتابة الفنية في الجزائر، فقد نجح في تطوير هذا الجنس الأدبي بتطوير لغته، وسحر أسلوبه، واختياره للمواضيع الهادفة، واستراتيجية أدبه، فهو يعرف بتفرّده بحسن اختيار الألفاظ القوية الجزلة، النابعة من قوّة شخصيته، فيصنع الألفاظ في أماكنَ يفسّرها السّياق، إلى جانب حرصه على أن يكون في تعبيره ترابطا لفظيا، وجرسا صوتيا يريد به التأثير والجذب وإبراز إمكانات اللغة العربية، وتفوّقها عن غيرها من اللغّات من حيث التعبير، والتصوير، والتأثير[3]، وهو يلوّن في التعبير ويخالف في الطول بين الجمل المسجوعة، فقد أثّر الإبراهيمي الجمل المتوسطة بين الطول والقصر "لأنّ العبارات الطويلة بطيئة التأثير السامع،

---

[1]– ابن باديس، الشهاب، فيفري 1939، م15، ج1، ص11.

[2]– عبد مالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص336.

[3]–أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط4، ص188.

مجهدة في إلقائها، أما العبارات القصيرة المفرطة في القصر متلاحقة مفاجأة مجهدة للسّامع في اتبّاعه".[1]

لهذا جاءت جمله لا بالطويلة المجهدة، ولا بالقصيرة جدا لمناسبة المعنى ونفسيته ومثله: "وسلام من أصحاب اليمين، وغيوث من صوادق الوعود، لا صواعق الرعود، وسحائب من الرحمان تنهمل سواكبها... حسب ما يقتضيه المعنى وتمامه، وما تستدعيه نفس المتلقي، ويطلب الحوار الّذي يتوقف على وصف البطل ابن باديس، فالمعنى له نفس القيمة الّتي تحمل الجملة من موسيقى، وإيقاع في الوصول إلى المعنى المراد، ثم تتوالى الجمل بهذا النظم، والنظام في تسارع مذهل ينمّ عن القدرة الّتي يملكها الإبراهيمي في وضع الموقف الدرامي الممزوج بالموقف النفسي عند الإبراهيمي".

ب- البديع: من بين أهمّ ما تتميز به المقامة دون غيرها من الأجناس الأدبية والنثرية الأخرى هو تطلبّها للبديع والتحسين في الأسلوب، وحاجتها للسجع الخفيف الّذي يزيد من حسّ المتلقي دون أن يهدّمه، ويبيّن فكرة الكاتب دون أن يطمسها، فهي تعوّل في أسلوبها على السجع، وتكاد تلزمه إلزاما تاما، فيتواتر السجع والجناس بالدرجة الأولى صانعين موسيقى تجذب النفوس وتأسرها، فالموسيقى لغة عواطف، وأحاسيس، ووجدان، وتتفاوت في ما بين الشدة، والضعف والبطء والسرعة، ونحو ذلك من الصّفات الّتي تصحبها آثار وجدانية، وألوان عاطفته من نشاط أو فتور.

وشرع الإبراهيمي في تنويع استعمال البديع بأنواعه خاصة السجع فجاءت فواصله مدروسة، فهو يخاطب صاحبيه بلغة يراعي فيها سجعه الخفيف اللطيف، وأناقة ألفاظه وعباراته، مع وجود بعض الغموض في إطار الصورة المختارة، "قيدت رشاقة للغة عنده، إذ

[1]–أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، المرجع السابق، ص118.

يوظف الجمل الّتي تتدافع في عنفوان، ويسكنها التوتر الداخلي، ثم تنتهي المقامة بجمل رشيقة، ذات حركة متراخية".[1]

واستعمل الإبراهيمي بذلك السجع الخفيف اللطيف الّذي نوع في موسيقاه، وجعل ألفاظه "تحترق وتحاور الموسيقى الداخلية بما توفره من إمكانيات الاختلاف والانسجام بإيقاعها المسجع، أو بجده أضدادها المعنوية الّتي تتسم في ثوب اللغة، وفي انطلاقها شخصية ذات كيان مستقل يؤدي دوره في بنية النص ويحتفظ بحيويته الّتي يسير إليها ويستقل بها".[2]

فنجد لوحة المقامة في أبهى صورة، وقد لوّنت تلوينا بهذه الأصناف (سلام يتنفس عنه الأقاح بأزهاره وإيراقه، ويتبسم عن الصباح بنوره وإشراقه) فيوازن هاتين العبارتين في المساواة صانعا نغما خفيفا بنهايات ألفاظه (الأقاح، الصباح)، (إزهاره، بنوره)، (إيراقه، إشراقه)، ومن الطباق نجد القليل في (أوليها، وأواخرها) و(القريب، البعيد)، (الأولين، الآخرين) ...الخ، مما أضفى على المعنى رونقا وجمالا ومما يساعد على موسيقى الأسلوب انسجام وتناغم الحروف وحلاوة جرسها، وظهور السجع غير المتكافئ الّذي تتميز به المقامة ... أمّا قولهم إن السّجع يدلّ على التكلف المستحسن، فأي عيب فيه ألا ترى أن الشعر نفسه لا بد فيه من تكلّف لإقامة الوزن وليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك.[3]

والمقصد الّذي يبتغيه الكاتب هو الحاصل بالمعنى المراد إيصاله إلى المخاطبين بدقّة متناهية، وأيضا تجميل هذا النص بما يستوجب من أساليب تدفع فيه الحركة، وتشكّله في أحسن صورة فيما يخلق جمالية في التعبير والأساليب، والألفاظ الساحرة، وحضور الخيال، لأنّ المسائل في المقامة لها طابع، وجوهر العقل، والحكمة، ومن ثم يأتي النص المقامي في

---

[1]– ابراهيم السعافين، أصول المقامات، ص118.

[2]– المرجع نفسه، ص118-119.

[3]– ابن أبي جديد، شرح نهج البلاغة، ت ح: حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963، ج1، ص42.

ديباجة حسنة، بهيّة المطلع، دقيقة في العرض، "فالكتابة الفنية تعتمد على التوضيح، والإبانة مع مراعاة الأناة، وقواعد الإلقاء".[1]

فالسجع والجناس عند الإبراهيمي غرضهما تبليغ الفكرة، وتناسق الفواصل المسجوعة هو ما يشكل لوحة فنية، توضّح لنا عمق وإحساس وعواطف الكاتب، وتفرّد أسلوب الإبراهيمي لا يأتي من فصاحة المفردات والتراكيب التراثية أو الدينية، وإنّما تكمن القوة الحقيقية الأسلوبية في حسن الربط بين المفردات ومعانيها وفي القدرة على توظيفها[2]، فالمقابلة تزيد من حسن ورونق الكلام، وتقوي الصّلة بين الألفاظ والمعاني، وتؤكد الأفكار وتوضّحها؛ لأنّ الضدّ أوضح في الدّلالة على المعنى من الشبيه.[3]

ج- البيان: مما لا ريب فيه أن أسلوب الإبراهيمي لا يحضر فيه البيان، واستعماله له كان نابعا عن قدرته على التصوير، لذلك لم يكن استعماله تقليدا للعصور السابقة، الّتي أسيء استعمال اللغة العربية فيها، إذ صارت وسيلة لتنمية الكلام، وتربية لذاته من أجل الدقة في التعبير، وعليه كان البيان العربي في أسلوب الإبراهيمي "انعكاسا لموقف فكري، أو حدث مادي، وانفعال نفسي... ذلك هو المقياس الصادق للقيّم الحقيقية".[4]

فنجد على سبيل المثال لا الحصر التشبيه في قوله: "وكان صوته الجهير صوت الحق الشهير مدويا في جنباتها مسموعا، والكناية في قوله: "ولئن سلبته الحيلة الفانية فقد أبسته من مآثر حلل التاريخ الضافية"، والاستعارة المكنية في قوله: "ويبستم عنه الصباح"، والتصريحية في قوله: "وطوى البحر الزخار في عدة أشبار"

---

[1]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2008، ط1، ص312.

[2]- حمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص178.

[3]- عبد الله الركيبي، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص147.

[4]- الإبراهيمي، الآثار، ج2، المرجع السابق، ص427.

إنّ المتصفّح لكتابات الإبراهيمي، والمدقّق في لغته من خلال المقامة يلاحظ سموّ ورفعة لغته، فقد غلبت عليها أناقة اللّفظ، وقوّته، واتساق عباراته وانسجامها، مما يدفع القارئ والباحث إلى ملازمة كتابته، وتفحّصها مستحضرا العقل، والفكر، والذّوق".

فقد جمع بين العناية بالصّياغة، وبين التعبير عن العاطفة والوجدان، والجمال الأسلوبي والأدبي في التعبير من خلال تنوعيه في البيان، والبديع، والمعاني.

يستشعر القارئ السّمة الخطابيّة للإبراهيمي بمجرّد شروعه في القراءة، ولعلّ الإبراهيمي قد لجأ إلى ذلك حتى يلائم ما بين ملكته اللغوية، والجوّ المحيط بالمقامة، وأثره النفسي، ورغم أنه صنع طرفا لتلقي الحوار، فإنّ هذا الطّرف لا يشارك في الحوار وإنما يتلقفه، ويتلقاه، وبهذا تشكّلت نداءاته لوحة المقامة، وتكرّرت كثيرا حاملة مكنونات نفسه، وصُبغت بصبغة خطابية (يا قير، يا ساكن للمزيج)، كما تكرّرت الأوامر (سيرا، بكرا، قولا، أنقلا)، فدلالة النداء هاهنا حتى يحصل ذلك الاتصال المباشر للسامعين، وكذا أراد أن تكون المقامة حاملة لأقرانه أو اشتراك القارئ في نسي مبادئ ابن باديس.[1]

د- الاقتباس من القران الكريم:

من المعلوم أن الإبراهيمي يعتمد على المرجعيّة الدّينية، وفي مقدّمتها القرآن الكريم، فكان هذا الأخير حاضرا في مقاماته، حيث استلهمت كتاباته عناصرها من العقيدة الإسلامية،الّتي امتزجت بها امتزاجا كبيرا فأشرقت ألفاظها، إذ لا تكاد تخلو المقامة من حضور الأسلوب القرآني الّذي يزيد من هبة، ووقار المشهد، وبلاغة العبارة "فمن الروافد الّتي غذت أسلوب الإبراهيمي يتكرر في أشكال مختلفة كالاستشهاد، أو الاقتباس منه، وتتدرج في المحقاء لتأخذ شكلا، ومفاهيمَ، وقيّما، وصيغا، وعبارات، وألفاظا،ونغمات، وإيقاعا، حيث يتجلى فيها روح القران ساريا يشعر به القارئ ويتفاعل معه.....".[2]

---

[1]- حسن المقال في فن المقام عند البشير الإبراهيمي، أم السعد فضيلى، ص169.

[2]- حسن بن مشيش، أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2007، ص36.

ومنها قوله: (وصلوات من الله طهورها الروح و الريحان، و أركانها النعيم و الرضوان،) وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾.[1]

وقوله:(و سلام من أصحاب اليمين) من قوله تعالى:﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ [2]، وقوله:(مما قدمت يداك من باقيات الصالحات) مأخوذ من قوله تعالى:﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ .[3]

ومن بين مقاصدَ توظيف القران الكريم والاقتباس منه زرع الفضائل، والقيّم القرآنية، والتأكيد عليها وهذا عائد إلى ثقافته العربية الإسلامية الّتي تربى عليها، فتركت الأثر البليغ في قريحته، وتعامله مع اللّغة، وكذا حسن التعامل مع النص القرآني وتقديسه، والجدير بالذكر احتكاك أفراد الجمعية بأعلام الإصلاح في العالم الإسلامي،الّتي أعدّت القران الكريم دستورا يرجعون إليه، ويدعون الأمة إلى العودة إليه.

ومنه نستنتج أنّ خطب الإبراهيمي تتّسم بوضوح أفكاره المطروحة،الّتي تتميز بالجدية والعمق في معالجة القضايا الّتي تعيشها الأمة. فهذه الميزة تتم على مدى تمكّنه من ناصية اللغة، وأساليبها، وحسن توظيف واستعمال آلياتها في التعبير عن الأهداف، والمقاصد والغايات، فجاءت المفردات سهلة مألوفة المعبرة، والمعاني دقيقة، وهذه السمة يشترك فيها كثير من خطباء الإصلاح في الجزائر.

المطلب الثالث: أدب الرحلة في كتابات البشير الإبراهيمي.

1- ماهية الرحلة لغة: الرحلة حركة انتقال لشخص أو أشخاص إلى مكان آخر، وهذا المعنى اللغوي للكلمة، ففي معجم اللغة لابن فارس: "رحل" الراء والحاء واللام أصل واحد

---

[1]- سورة الواقعة، الآية [88-89].

[2]-سورة الواقعة، الآية [90-91].

[3]- سورة الكهف، الآية: 46.

يدل على مضي في سَفَرَ يقال رَحَلَ رحلة (...)، والرحلة: الارتحال (...) ورَحَّلة أظعنه من مكانه.[1]

وعند "ابن" منظور رحل الرجل، إذ سار ورحل رحول وقوم رُحَّل؛ أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال: عالم بذلك ومجيد له (...) والترحل والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم الارتحال، وقال بعضهم الرحلة: الارتحال، والرُّحلة بالضم: الوجه الّذي تأخذ فيه وتزيده.[2]

ونفس المعنى يكاد يتكرّر في باقي المعاجم، وبهذا نجد أن القرآن الكريم أشار إلى رحلتي الشتاء والصيف اللتين كانت قريش تقوم بهما، لقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾[3]، ومنه فمعاجمَ اللغة تجمع على أنّ الرحلة من مكان لآخرَ. وانطلاقا من ذلك يمكنُ القول أنّ المعنى الاصطلاحي يتأسّس على المعنى اللغوي.

2- اصطلاحا: الرحلة كتابة، يسرد ويحكي فيها الرحالة أحداث ووقائع رحلته، بما فيها الانطباعات، وكل ما عاصره وعايشه فيكون سردا ذاتيا حول المرتحل إليهم، فهي تتطلّب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي، يخول له الخوض في الكتابة، ونقل أحداث سفره بحيث تصبح مرجعا كتابيا أدبيا، وبهذا كسب أدب الرحلة اهتمامَ وانشغالَ الباحثين والأدباء، وعليه لا بدّ لكلّ رحلة مكتوبة أن يتوفر فيها السفر الحقيقي والفعلي، دون ذلك أُدخل تحت لواء الرحلات الخيالية، كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورسالة التوابع والزوابغ لابن شهيد، إذن معنى الرحلة كتابة وهو ما يسمّيه الباحث سعيد يقطين "خطاب الرحلة"، ويعرّفه بأن عملية تلفيظ لفعل الرحلة.[4]

---

[1]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت، عبد السلام هارون، ج2، مادة رحل، دار الفكر، سوريا، ط2، 1909، ج2، ص497.

[2]- ابن منظور لسان العرب، ت، نخبة من الأساتذة (مادة رحل)، (د،ط)، (د،ت)، دار المعارف، القاهرة، ج3، ص608.

[3]- سورة قريش، الآية: [1-2].

[4]- سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2006، ط1، ص200.

بينما المعنى الأول (اللغوي) هو الرحلة ذاتها، ولهذا نجده يتحدث عن الرحلة وخطابها، ويرى أنّ خطاب الرحلة يتماشى مع الرحلة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية[1]، فيبدأ الخطاب من لحظة الخروج وينتهي لحظة العودة، إن هذا الخطب يتوافق ويتجانس، ويتماشى مع الرحلة، ويرافقها من مكان لآخرَ، واصفا إياها جغرافيا، وعمرانيا، وبشريا، وفيه يذكر الرحالة ما وجده من رحالات العلم والأدب، وما دار في مجالسهم وحلقاتهم، مع ذكر الفوائد الّتي انتفع بها الرحالة على اختلافها علميا، وتاريخيا، وأدبيا، وكل ذلك يسرده في رحلاته.

تنوّعت، وتعدّدت ماهية ومفهوم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنّها تصب كلّها في قالب واحد، فقد عرفها بطرس السيتاني بأنها انتقال واحد –أو جماعة– من مكان إلى مكان آخر لمقاصدَ مختلفة، وأسباب مختلفة.[2]

كما يعرفها صلاح الدين الشامي بقوله: "إنّ الرحلة تظلّ إنجازا، أو فعلا، أو مباشرة لما يعنيه، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الّذي تبدأ منه، والمكان الّذي تنتهي إليه".[3] من خلال ما سبق ذكره نجد أنّ الرحلة أشمل، وأعمّ، وتختلف عن السّفر؛ لأنّ السّفر تقطع مسافات معينة، أما الرحلة فتكون انتقال من مكان إلى آخر تقطع فيه مسافات كبيرة، وذلك لتحقيق مرامي سامية، وأهداف، ومقاصدَ أخرى.

---

[1]– سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات ، المرجع السابق، ص200.

[2]– نقلا عن: بطرس السيتاني، دائرة المعارف، (د،ط)، بيروت، 1984، مج، ص564.

[3]– صلاح الدين الشامي، الرحلة عن الجغرافية المعبرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، (د،ط)، الاسكندرية، 1999، ص11.

ماهية الرحلة:

أدب الرحلات إذ هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة الّتي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلاد العالم، ويدوّن وصفا لها، بسجل فيها مشاهداته، وآراءه، وانطباعاته، بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب، وهناك صفتان عامتان لا بدّ من توافرهما في أدب الرحلات وهما:

أ– أن يكون من يكتب عن الرحلات رحّالا بطبعه محبّا للرّحلات.

ب– أن يكتب بالأسلوب الّذي يجعل وصفه للرحلة، يعكس روح الرحلة، والرّغبة الشّديدة الّتي تتملكه للقيام بها.[1]

كما عرّفها "ناصر عبد الرزاق الموافي:"بأنّها "مجموعة من الآثار الأدبية الّتيتتناول انطباعات الكاتب عن رحلاته في بلاد مختلفة، وكل ما يتعرض فيها لوصف ما يراه عن أهل البلاد من عادات، وتقاليد، وأخلاق وسلوك، أو يسجّل، أو يذكر مراحلَ رحلته الّتي عاشها"[2]، وفي السياق نفسه يؤكّد "محمّد الفاسي": في معرض تقديمه لرحلته، إن أساس فنّ الرحلات: هو شخص الكاتب أو المؤلف، ووصف لما يتعرض له في سفره، وذكر الإحساسات الّتي شعر بها وانطباعه اتجاه ما يجده من مناظرَ، وأحوال البلاد والعباد الّتي يزورها، وعلى عوائد أهلها وأخلاقها، وأفكارها، هو في كل هذا يعبّر عن نفسه، وعن عواطفه، وعن وجهة نظره الخاصة في كل مسألة.[3]

ومنه نستخلص أنّ لفن الرحلة مفاهيم متعددة، تختلف باختلاف الرحلة، وخصوصيتها، وتجربة الكاتب أو المؤلف، ويمكن أن نقول إنّ أدب الرحلة نوع من الأنواع

---

[1]– انجليز بطرس، الرحلة في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، 1975، مصر، ص07.

[2]– اصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص41.

[3]– محمد المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ت ج: محمد الفاسي، (د،ت)، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب ص(أ)، المقدمة.

الثرية، تغطي الجوانب، أو تعكس التجربة الرحلة أو من قام بها، فيصوّرها للقارئ في شكل ثري يجسد انطباع الراحلة، والأثر الّذي تركت فيه هذه الرحلة، وينقل عادات وتقاليد الآخر، فإنّه نصّ نثري شخصي ذاتي ذو نبرة خطابية بارزة أو مضمرة، يعتمد على الوصف والسرد والمعلقات.[1]

3- قيمة أدب الرحلة ودورها في تعزيز الثقافة.

عرف أدب الرحلة تطورا وتنوّعت المؤلفات فيه، وأهم ما يسجّل فيه كملاحظة هو ذلك التباين والاختلاف نظرا للفروق الّذي شهده هذا الفنّ عبر مختلف العصور، إذ هناك مؤلفات غلب عليها الطابع العلمي الّذي أراد له أن يكون المؤلفين والكتاب، والهدف منها تصوير الواقع كما هو اعتمادا على مشاهداتهم دون إضفاء الجانب الفني البلاغي، في حين نجد مؤلفات أخرى تعنى برصد الواقع ونقل "الصور والمشاهد على نحو يحقق التأثير الوجداني، أو ينقل الأحاسيس، والعواطف الّتي يجدها في نفسه؛ نتيجة لمعاصرته لتلك الشواهد، والآثار، والصّور وهذا البعد الّذي يملأ النفس متعة، ويجعل الرحلة سمة أدبية بدل التّدوين، والتّسجيل".[2]

من خلال ما سبق يمكن أن نحدّد لأدب الرحلة قيمتين هما: القيمة العلمية والأدبية.

أولا: القيمة العلمية: تتجلّى في القيمة المضافة لمختلف التخصصات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية، من وصف وتصوير نمط المعيشة، والعادات والتقليد والعمران، ليتمكّن أدب الرحلة من تدوين الرحلة، وتكون بمثابة مدوّنة يرجع إليها، ويعتمد عليها الباحثون؛ من أجل الوقوف على أهمّ النقاط المستخلصة بكل أريحية، ففي مجال التاريخ مثلا تقدّم الرحالات معلومات لم يقدّمها لنا العلم المتخصّص في هذا المجال، فهي تنقل

[1]- شعيب حليني، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة خطاب المتخيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص45.

[2]- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص07.

ذلك الاختصاص بواقعية وبمنهجية، تعيد من جديد إحياء والتجديد لهذا التخصّص، فإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان، وتاريخها بمختلف مظاهرها السياسية منها، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، فإنّ الرحالات "أعطت كل ذلك بعده المناسب، وتطرقت إلى تحليل الجوانب لم تتطرّق إلى تحليلها الوثائق التاريخية، فتولّت الرحالات ذلك، وعملت على إضفاء القيمة العلمية مستزادة، ووسّعت من دائرة البحث، وقامت بإخراج التاريخ من حدود صعبة".[1]

إنّ هذه القيمة العلمية الّتي ميّزت أدب الرحلة مرجعها أنّ أصحابها شهود عيان لمختلف الأحوال والأوضاع، وإن كان بعض الدارسين قد تنبّهوا وتفطنوا لبعض هذه الأخطاء خاصّة من الناحية التاريخية، إلا أن هذا لا يقلل من أهميتها، وهذا يدلّ، ويؤكّد على الاهتمام بهذا الفنّ، والسّعي لتطويره والنهوض به، حيث لجأ الرحّالة إلى الأسلوب العلمي في تدوين رحالاتهم، وبذلك فهو يعكس لنا ما "وصلوا إليه وسعة فهمهم وحرصهم على تسجيل، وتدوين ملاحظاتهم في حينها، وهذا مما يسمح لهم من تدوين رحلتهم بعد رجوعه إلى موطنه الأصلي، والتزامه الدقة، وقوة الملاحظة، وتسجيل كل صغيرة وكبيرة".[2]

كما يقدّم أدب الرحلة الرحالة، وهو ويعرض هذه المعلومات والمعارف من جوانب ونواحي متعدّدة، فإنّه في الوقت ذاته يقدم جانبا من سيرته الذاتية، من خلال سرد كلّ ما يتعلّق به في رحلته، فكان بذلك أدب الرحلة ضربا من السيرة الذاتية مع تداخله مع الجغرافيا والتاريخ، فإنّ أدب الرحلة جزء من السيرة الذاتية، فهو يضيف في تجليات الزمان تجليات الجغرافيا، على ألا يغيب هذا عن الآخر –أدب الرحلة– عن ذلك.[3]

---

[1]– المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، رغاية، 1988، (د،ط)، ج1، ص117، ينظر: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائر، تسمية شرابي، مذكرو ماجيستر في اللغة والأدب، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، 2011-2013، ص57.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب، الرحالات للمغربية والأندلسية، الدار المصرية النيابية، القاهرة، 2007، ط1، ص09.

[3]– مصطفى عبد الغني، من أدب الرحالات، المشرق والمغرب، الدار المصرية اللبنانية، لقاهرة، 2007، ط1، ص09.

وبذلك فهو يسرد لنا رحلته –من خلال تنقلاته ومشاهداته– في ترتيب زمني دقيق، فهو في الحقيقة يقدّم لنا جانبا من جوانب حياته، فتكون بذلك الذات عنصرا حاضرا في الرحلة بشكل ثانوي أو محوري، فالرحلة "تطلعنا على سيرة أصحابها وعلى حقيقتهم، وتكشف عن مواهبهم، وتبين لنا دوافع رحّالاتهم، والأثر الّذي خلفوه للأجيال".[1]

ثانيا: القيمة الأدبية.

إذا كان أدب الرحلة من الأجناس الأدبية الفنية، يحمل في طيّاته فائدة للمؤرخ التاريخي والجغرافي؛ فإنّه يزخر بكثير من "المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وأنّه يعتمد على الأسلوب القصصي، سلس، مشرق، وهذا هو الّذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي"[2]، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على أن أدب الرحلة يتضمّن بعض الظواهر اللغوية، ويبرز أدبية المؤلف في أكثر من موضع، وذلك من خلال تلك الأساليب الفنية الّتي تقدم فيها أسلوب وطريقة السرد للرحلة "ترتفع بها إلا عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني".[3]

فمن الناحية الأسلوبية نجد أن أدب الرحلة يتنوعّ أسلوبه من سردي قصصي، وحوار وصف دقيق للمشاهد المختلفة، وكذا تضمّنه للأساليب البلاغية، والظواهر البلاغية (سجع، طباق، جناس...) بطريقة مسترسلة دون تكلف أو مبالغة.[4]

وإلى جانب السّرد نجد حضور الوصف الدقيق في معظم الرحالات، هذا الّذي قرّب أدب الرحلة إلى الأسلوب القصصي، كون جوهر الرحلة "هو وصف الشّعر من موضع إلى

---

[1]– نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري، ص244.

[2]– سيد حامد النساخ، المرجع السابق، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص08.

[3]– حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1983، ص08.، ينظر: المرجع السابق، الموروث الثقافي في أدب الرحالة الجزائري، ص58

[4]– بشرى محمد صالح، الصورة الشهرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (بيروت، المغرب)، 1994، ط1، ص08.

آخرَ، وما تقع أبصار المسافر من مشاهدات وما يستظرفه من أخبار"، ثمّ إنّ أدب الرحلة لم يقترب من فنّ القصة فحسب، بل احتمل على مختلف الأجناس والفنون الأدبية، فعلى سبيل المثال نجده يقترب من فنّ الرواية في بعض الأحيان، ونخصّ بالذكر الرواية المعاصرة، إذ "أخذت في الابتعاد عن الشكل القديم، والترابط معا بل بعضهم وصفها بالفنّ، أو الشكل الروائي".[1]

4- أقسام الرحلة: يمكن أن نقسم أدب الرحلة إلى قسمين:

القسم الأول: الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية.

أما الرحلة الواقعية فهي رحلة حقيقية، ووقعت "ضمن مكان وزمان معينين، وينتقل الرحالة من مكان جغرافي في محدد إلى مكان جغرافي آخر".[2]

وهذا النوع من الرحلات يعبّر عن الأوضاع والظّروف، ويصوّر عادات، وتقاليد، وثقافة البلد المرتحل إليه وهو المقصود من الدراسة، في حين الرحلة الخيالية، هي من نسخ خيال الكاتب، تحدث ضمن زمان، ومكان متخيلين "يقوم بها الإنسان في مناطقَ غير حقيقية، وتصور مغامرات خارقة بقصد التسلية، وإثارة الخيال، وهنا أمثلة كثيرة نذكر هذا السياق رحالات سندباد البحري".[3]

وكذلك رسالة الغفران ل"أبي العلاء المعري"، إلى جانب رحلة "المويلحي" المسمّاة "حديث عيسى بن هشام"، وهذه الأخيرة كثيرا ما يعدّها الدارسون إرهاصا لظهور الرواية العربية المعاصرة، إلا أنّ هذا العمل الأدبي يحوي على "رحلة زمنية ونقدية لأحوال مجتمع مصر وثقافة عصر الربع الأخير من القرن التاسع عشر".[4]

---

[1]- حسين نصار، أدب الرحلة، ص132.

[2]- ناصر عبد الرزاق الموافي، لرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص92.

[3]- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات الغربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (1994-1984)، ، ط2، ص176.

[4]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د،ط)، الكويت، يناير 1989، ص176.

وإذا كان الرحالة في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه لا يجسده، فقد ذهب بعض الدارسين ومن هؤلاء حسين نصار[1]، إلى القول بضرورة إخراج هذا النوع من أدب الرحلة، وإدراجه من ضمن فنّ القصة؛ لأنّ طغيان عنصر الخيال وحده لا يكفي، فهناك عناصر أخرى لا بدّ من توفرها، وإذا كان الرحلة في الرحلة الواقعية ينقل ما شاهده في البلاد الّتي زارها بدقة، بكونه تنتقل بجسده حقا فيها، فإنّه في الرحلة الخيالية يطلق أفكاره، ومشاعره لتنقله بعيدا عن واقعه وعالمه، إلى أماكنَ أخرى، وأزمنة مُتباعدة.[2]

القسم الثاني: الرحلة الشعرية والرحلة النثرية.

إذا كنا نقصد بأدب الرحلة ذلك الفنّ النثريّ الّذي يتخذ الرحلة موضوعا له، فإنّ هناك كذلك رحلات شعرية كان لها صدى، واهتمام من قبل الدارسين لاسيّما الشّعر الملحون.

ولقد حاول "أبو القاسم سعد الله" الوقوف عند البعض من هذه الرّحلات الشّعرية (الجزائرية)، سواء المكتوبة بلغة فصيحة، أو مكتوبة باللغة العامية (الشعر الملحون)، ومن هذه الرّحلات الشّعرية المكتوبة باللغة الفصيحة قصيدة محمد بن مسائب التلمساني الّتي تندرج ضمن الشّعر الملحون.[3]

5- رحالات الإبراهيمي:

إنّ فنّ الرحلة يوضّح قيمة الأدب الّذي يعدّ البطاقة الفنية، وماهية لثقافة الشعوب، ويعكس ويصوّر ثقافتهم ويصور عاداتهم وتقاليدهم، وحتى ثقافتهم في قالب بديع يقترب من القصة، ويؤكّد "عمر بن قينة" أنّ "فنّ الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي، فيه عموما

---

[1]– حسين نصار، أدب الرحلة، المرجع السابق، ص49.

[2]–المرجع نفسه، ص166.

[3]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ط1، ص388-399.

فائدة للمؤرّخ مثل البحث في الأدب، والجغرافيا، وعالم الجغرافيا، وعالم الاجتماع وغيرهم ،كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار، ووصفها والحكم عليها، وعلى المجتمع فيها".[1]

لقد كان للإبراهيمي رحالات متعدّدة ومتنوعة، خاصة خارج الوطن، حيث قصد الرحالة البلاد الإسلامية، فقد غادر أرض الوطن سنة 1911م، متّجها إلى الحجاز، فمرّ بتونس، ووصل إلى القاهرة فأقام بها عدة شهور، حيث تعرف على علمائها، وأدباءها وشعرائها "فجلس إلى علماء الأزهر الشريف وزار الشاعرين أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ثم ألقى الرحال بالمدينة المنورة" [2]، وظلّ يبحث هناك، وينتقل بين المجالس الأدبية والعلمية، فجالس العلماء وحضر بعض دروسهم يقول: "ثم ألفت الرحال بين المجالس بالمدينة، حيث استقر والدي وعكفت على القراءة والإقراء، وكنت ألقي عدة دروس متطوعا، وأتلقى عدة دروس في التفسير والحديث، وأعانتني تلك الحافظة على استيعاب أسماء الرجال وحفظ كتب كاملة في الحديث"[3]، وواصل مسيرته في البحث عن العلم والاستزادة منه، وحرص على مجالسة العلماء حتى وجدها عند بعض المشايخ نذكر منهم "حسين أحمد الفيض أبادي الهندي"، حيث اعترف بفضله وتمكّنه، وغزارة علمه فيقول: "ولقيت من المشايخ ما شاء الله أن ألقى، ولكني لم أر مثل الشيخين في الفصاحة التعبير ودقة الملاحظة والغوص في المعاني وإشارة الفكر، والتوضيح للغوامض والتقريب للمعاني".[4]

ولخّص الإبراهيمي زيارته للمدينة المنوّرة بقوله: "بالجملة فقد كانت إقامتي بالمدينة المنورة أيام خير وبركة، كنت أنفق وقتي في إلقاء الدروس في العلوم الّتي لا أحتاج فيها إلى مزيد كالنحو، والصّرف، والعقائد، والأدب، وكنت أتردد على مكتبات الجامعة، فلا يراني الرائي إلا في مكنية الشيخ

---

[1]– عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وأعلاما)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، 1995، (د،ط)، ص97.

[2]– الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1977)، ج2، ص166.

[3]– المرجع نفسه، ص166.

[4]– الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي،العدد87، ص15.

عارف، حتى استوعبت معظم كنيها النادرة للقراءة"[1]، فكان لها الأثر البارز في تكوين شخصيته، وتوسيع ثقافته، وتعدّد أفكاره، وهذه من أبرز آثار وانعكاسات أدب الرحلة على المؤلّف، والكاتب.

وقد حملت رحلة الإبراهيمي اتجاه مصر وباكستان عنوان "رحلتي إلى الأقطار الإسلامية"[2]، وقد نشرت في جريدة البصائر في ستّ حلقات، ومما لفت انتباه الرحّالة وهو في القاهرة، تلك الأجواء العلمية الّتي جسّدتها المعالم الدينية والثقافية الموجودة بها، الّتي شدّت انتباهه جامعة الأزهر، الّتي تعد مفخرة لكل الوطن العربي مشرقا ومغربا، يقول الرحّالة، معبّرا عن مدى إعجابه بهذه الجامعة الّتي هي مفخرة الشرق وحجته على الغرب[3]، ومن القاهرة توجه إلى (كراشكي) بباكستان للمشاركة في "مؤتمر الشعوب الإسلامية"، ومما سجّله الإبراهيمي كملاحظة في هذه البلاد الإسلامية شدّة تمسكهم بدينهم، ليعلوا بذلك عز الدين على الجاه "ورأيت عز الدين كيف يعلو عزّ الجاه والمنصب، وأعظمت فيهم هذا السّعي الحثيث إلى ذكر الله في وقت بدأ التخلل الديني من أمثالهم، ثم علمت من طول العشرة محافظتهم الشديدة على إقامة الشعائر، وسعيهم إلى المساجد للجمعة لا يتهاونون فيها، ولا يترخصون، مع الفقه الصحيح للدين".[4]

ونجد كثيرا من الرحالة ما يستشهدون بأبيات شعرية تبرز أدبيته، سواء كانت من نظم الرحّالة نفسه، وهذا ما يؤكّد مقدرته الشعرية، أو الشعرية والنثرية معا، وتارة يستعين بأبيات غيره ليثبت سعّة اطّلاعه، ودقّة معلوماته، لكي يعبّر من خلال استدلاله عن ما يختلج في نفسه من مشاعرَ حرّكتها المشاهد، أو ملاحظاته، أو مواقف تعرض لها، ونذكر على سبيل المثال قول ابن بطوطة، في الإشادة بالمغرب العربي في مقابل الشرق والّتي يعدها من أحسن البلاد.

---

[1]– الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج5، ص166.

[2]– الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج4، المرجع السابق، ص18-23.

[3]–الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج4، المرجع السابق، ص31

[4]–المرجع نفسه، ص35.

المغـرب أحسـن الأرض ولـي دليـل ** لبـدر يرقـب منـه والشـمس سـعى**

وعلـى هـذا الأسـاس يمكـن القـول إنّ أدب الرحلـة يحمـل طـابعين علمـي وأدبي، فـأدب الرحلـة يسـتمدّ حقيقتـه وواقعيتـه مـن الّـتي البيئـة الّـتي ينقلهـا الراحلـة، أو الكاتـب، أو المؤلّـف، لـذلك نلمـس ذلـك التّـأثير علـى نفسـية الرّحالـة تشـمل الأخـلاق والأحاسـيس، ممـا يدفعـه إلى التـأثر بثقافـة مختلفـة عـن ثقافـة، وأعـراق، وعـادات، وتقاليـد غـير الّـتي يجـدها في بلـده، أو مُحيطـه الّـذي عاصـره، فكثـيرا مـا تجـده يمـزج بـين هـذا المـزيج الثقـافي في كتاباتـه وأسـلوبه، فيصـوّر لنـا الرحلـة في شـكل قالـب نثـري بـديع يـنعكس علـى قلمـه وفكـره، ويخلـق عنـده تنوّعـا في الـذّوق الأدبيّ، ويكسـب لُغتـه ثـراءً. وقـد وَاكـب التنـوع الأدبي وهـذا مـا نلمسـه في كتابـات البشـير الإبراهيمـي الّـذي دفعتـه الظـروف القـاهرة الّـتي شـهدتها الجزائـر إبـان الاحـتلال الفرنسـي إلى جانب رغبته الشديدة في الاطّلاع، والتبحّر في العلوم.

وانطلاقا ممّا جاء في الفصل يُمكن الخروج بنقطتين مُهمّتين هما:

1- يُسـهم أدب الرحلـة في إضـفاء الإضـافة المميـزة الّـتي مـن شـأنها أن تـدفع عجلـة التقـدّم، وتكسب المرونة للعلوم الأخرى.

أ- في الجغرافيا ومعرفة البلاد، ومناخها، والمسالك، والممالك.

ب- في التـاريخ، وتسـجيل مـا حـلّ بـالبلاد مـن عمـران، أو تخريـب علـى يـد الظـالمين، والطواغيت.

ج- في معرفة عادات الناس وتقاليدهم في حياتهم، والنظام السائد في مجتمعها.[2]

2- يزخـر بعناصـرَ أدبيـة مختلفـة، وهـذا مـا جعلـه محـلّ اهتمـام الأدبـاء "قريـب مـن أدب القصـة؛ إذ يسـرد الكاتـب مـا صـادفه، وقـد يجـري حـوارا بينـه وبـين مـن قـابلهم في هـذه البـلاد النائيـة عـن موطنه".

---

[1]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظائر في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، ج2، ص332.

[2]- أسماء أبو بكر، ابن بطوطة، الرجل والرحلة، ص32.

- أسلوب الكتابة في أدب الرحلة يتّسم بطابع العصر، وينعكس عليه، وعلى الفن النثري في الحقيقة الّتي كتب فيها.

- أسلوب أدب الرحلة أسلوب شائق بما فيه من وقائع، وأحداث يمكن لها أن تعترض الرحّالة.

- أدب الرحلة يُضيف جنسا من الأجناس الأدبية في النثر، إلى جانب أجناس أخرى من الخطابة، والوصايا والرّسائل، وغير ذلك.

الفصل الثاني:

المستويات الصوتية والدلالية في كتابات البشير الإبراهيمي

المبحث الأول: مفاهيم في علم الصوت .

حين يتكلم الإنسان فإنه ينطق بسلسة من الأصوات المتتابعة، هذه الأصوات تترابط وتتآلف في مجموعات نسميها الكلمات، ثم تنتظم الكلمات في جمل وعبارات فتؤدي بذلك إلى معنى مقصود وواضح من المتكلم إلى المتلقي، فالكلمات حزم صوتية متشابكة ومترابطة العناصر، لا يمكن تجزئتها صوتيا إلا عندما يلجأ دارسو الأصوات اللغوية إلى تناول كل صوت منفردا، وتقديم وصف لخصائصه ومكوناته الصوتية فإن ذلك يهدف إلى تحقيق هدف تعليمي ييسر دراسة أصوات اللغة.[1]

ويمكن اعتبار حال التهجي الإملائي هي العملية التي تعبر بوضوح عن هذه الحزم، والتي يقصد بها المجموعات الصوتية المتألفة من الحروف التي تخرج دفعة واحدة.

فالطفل في بداية تعلمه الكلام تظهر عليه بوضوح عملية إبراز الحزم الصوتية أو المجموعات التي ينطق بها دفعة واحدة أو المقاطع –فالطفل حين ينطق في بداية عهده بالكلام تراه يقول "ماما"، "بابا"، أو "ما" جلالة على أمه أو "با" دلالة على والده، وهذا يعني أن الطفل ينطق بمقطع واحد سلس سهل لا يجد صعوبة عند النطق به، ثم يتدرج إلى مقطعين فثلاثة وهكذا.

وعلى أية حال فالطالب في الصفوف الأولى من تعله للغة يتعلم المقاطع وتحليل الكلمات بحيث يستطيع أن يعد على أصابعه كم مقطع للفظ لكل كلمة، ولكنه لا يستطيع أن ينطق الكلمة بطريقة مقطعية بل ينطق الكلمات دفعة واحدة، فكل إنسان حين يتكلم لو قمنا بتسجيل كلامه على جهاز تسجيل ثم أعدنا الكلام بعد أن نعمد إلى إبطاء النطق، فسنجد أنه ينطبق بكلمات مجزأة أي ينطق بطريقة مقطعية.

[1]–برتيل، مالبرك، علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1985م، ص133.

وبما أن النظام الصوتي للغة العربية كما وصفه الدكتور غانم قدوري الحمد مبني على أساس نظري تجريدي، يصف الأصوات وصفا عاما يتغاضى عن بعض ما يصيبها من تعبير في سياقاتها النطقية.[1]

المطلب الأول: ماهية المقطع لغة واصطلاحا.

المقطع لغة: كلمة (المقطع) لغة من القطع وهو "إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض، يقال: قطعه قطعا، وقطعه واقتطعه والقطع، وتقطّع بتشديد الطاء للكثرة".

فالمقطع: مفعل، اسم مكان من قطع، وتقّع كل شيء ومنقطعة: آخره حث ينقطع، كمقاطع الرمال والأودية، والمقطع: الموضع الذي يقطع فيه النهر من المعابر.

ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف، ومبادئه: مواضع الابتداء. ومقطعات الشيء: طرائقه التي يتحلل إليها ويتركب عنها، كمقطعات الكلام ومقطعات الشعر، ومقاطيعه: ما تحلل إليه وتركب عنه من أجزائه التي يسميها عروضيو العرب الأسباب والأوتاد.[2]

فالغالب في معنى القطع لغة وفي أسرتها اللغوية: أقطع، قاطع، اقتطع، انقطع ... المقطع ... ومعانها جميعا تنطوي على حدس الجزء والفصل والاجتياز.[3]

والحقيقة أن الدكتور عباس حسن قد حلل لغة مادة (قطع) إلى حروف ومقاطع رأينا أن نذكر ما قاله لما فيه من خدمة للبحث واستكمال للدراسة المقطعية التي تهمنا في هذه الدراسة. فيقول في حروفها: القاف (للقوة والمقاومة والانفجار الصوتي)، والطاء (للمطاوعة والطراوة والفلطحة) والعين (للعيانية والوضوح والفعالية) والحرف الأصل هو (القاف)، وهكذا يبدأ حادث القطع بحسب أصوات حروفها، بصدمة قوية تحدث صوتا انفجاريا

---

[1]—غانم قدوري الحمد، المدخل إلى أصوات العربية، دار عمار، عمان، ط1، 1425هـ-2004م، ص185.

[2]—ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكروم بن منظور الأفريقي المصري ت711هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، وطبعة بولاق، 1982م، مادة (قطع) ج1، ص145-151، انظر أيضا: المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بيروت، 1994، ج1، ص25-27.

[3]— عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1998م، ص241.

(للقاف) ثم يطري موضع الصدمة ويلين (للطاء) مما يؤدي إلى فصل بعض منه بوضوح وعيانية (للعين). وذلك سوقا للحروف على سمث المعنى المقصود والغرض المراد.[1]

ومن هذا الحديث نفهم أن تحديد علماء الأصوات مصطلح المقطع بالوحدة الصوتية التي عندها ينقطع الصوت، يكون صحيحا لما فيه من وضوح للانفجار الصوتي، فالمقطع بهذا يتناسب مع طبيعة أصوات حروفه، وذلك لظهور الصدمة والانفجار الصوتي.

المقطع اصطلاحا: والمقطع في اصطلاح الأصواتيين أقرب إلى قول العرب: مقطعات الكلام أي أجزاؤه التي يتحلل إليها ويتركب عنها، يقول ابن الدهان (محمد بن علي ت592هـ): "وبين الألفاظ والحروف المقاطع، والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف مركب من صامت"

المطلب الثاني: النبر والتنغيم.

أ- النبر: يأتي النبر عند القدماء بمعنى الهمز؛ جاء في اللسان: "النبر همز الحرف".[2]

ويأتي النبر عند المعاصرين بمعنى ارتفاع شدة الصوت ونغمته، مما يؤدي إلى وضوح نسبي لصوت أو مقطع بين الأصوات والمقاطع المجاورة له على مستوى الكلمة، فالصوت المنبور أو المقطع المنبور، يتطلب عند النطق به طاقة أكبر من بقية الأصوات أو المقاطع داخل الكلمة.

ولعل إشارات القدماء بمصطلح "مطل الحركة"[3] الذي ورد عند ابني جني، وأطلق عليه سيبويه "إشباع الحركة"، قريب-بوجه ما- من دلالة النبر عند المعاصرين.

وتفيدنا دراسات اللغويين المعاصرين أن النبر في العربية مرتبط ببنية الكلمة، حيث يرتبط بالمقطع، فالكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال فيها للحديث عن مقطع منبور

---

(1)-عباس حسن، المرجع نفسه، ص241.

(2)-لسان العرب: مادة (ن ب ر).

(3)-ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1371هـ-1952م، ج3، ص126ص127.

وآخر غير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائما، ولكن قواعد النبر نحتاجها في الكلمة التي تحتوي على مقطعين فأكثر.

ويمكن ملاحظة موقع النبر داخل الكلمة من خلال الضوابط التالية:[1]

1-إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول فيها منبورا، ففي كلمة "كَتَبَ" نجد ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، أولها منبور.

2-إذا ضمت الكلمة مقطعا طويلا واحدا، يكون النبر على هذا المقطع الطويل؛ كما في كلمة "كِتاب"، نجد النبر على المقطع الثاني.

3-إذا ضمت الكلمة مقطعين طويلين، يكون النبر على أولهما؛ كما في كلمة "كاتب"، نجد مقطعين طويلين، أولهما مفتوح، والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول.

أمثلة من القرآن على الأخطاء في النبر وأثره في المعنى:

قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴿٢٤﴾﴾ "[2]، إذا قرئت كلمة "فسقى" بنبر الفاء، يكون الفعل مشتقا من "الفسق" لا من (السقي).

كذلك قوله تعالى: ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴿١٦﴾﴾ [3]، إذا قرئت كلمة "فقست" بدون نبر الفاء صار الفعل مشتقا من "الفقس" لا من "القسوة".

وكذلك قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [4]، إذا تحول النبر عن اللام في "لها" يجعل الكلمتين: "أوحى، لها" كلمة واحدة: "أوحالها"، بمعنى "الوحل"، وهذا نهاية فساد المعنى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴿٨﴾﴾ [5]، إذا تحول النبر عن الراء في "رضوا" يصبح الفعل مشتقا من "وَرَضَ"، وليس من "رَضِيَ"، وهذا فساد في المعنى أيضا.

---

[1]– د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، د س ط، ص48.

[2]–سورة القصص، الآية 24.

[3]–سورة الحديد، الآية 16.

[4]–سورة الزلزلة، الآية 5.

[5]–سورة البينة، الآية 8.

وهناك نبر يختص لفصاحة التلاوة ولا يترتب عليه معنى، مثل: "وما هم، ولا هم" فتحول النبر عن الهاء في "هم"، يجعل الكلمتين كلمة واحدة في النطق، وهذا عيب في فصاحة الأداء.

ب– التنغيم:

يطلق على ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلونه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وذلك للدلالة على معان مقصودة، مثل: الاستفهام، والطلب، والأمر، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة، والتعجب، واللهفة، والشوق ... الخ.

ويشير المعاصرون إلى أن القدماء لم يهتموا بظاهرة "التنغيم الصوتي"، ولعل الذي دفع اللغويين المعاصرين لهذا القول هو عدم تقعيد اللغويين القدماء لظاهرة التنغيم، وإلا فنحن أمام تأملين لأمرين في غاية الأهمية:

1–الحديث الوارد عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– عندما علم هذا الصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمعه عند تلاوته للقرآن، فقال: لو كنت أعلم أنك تسمعني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحبرته لك تحبيرا[1]؛ والتحبير لون من التجويد والتحسين والتزيين، والتنغيم وسيلة من وسائل ذلك ، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((اقرءوا القرآن بلحون العرب)).[2]

2–المقامات الخاصة بالأداء الفني عند العرب في القراءة والغناء من: البياتي، النهاوند، الصبا، الحجاز، الرصد ...الخ، ولكل مقام طرق عديدة ووجوه متباينة، ألا ينتهي كل ذلك إلى التنغيم؟ إذن فقد عرفت العرب التنغيم، لكنها لم تقَعِّد له، واعتمد فيه على السماع.

---

[1]– أبو يوسف بن ابراهيم بن سعد (الأنصاري)، الآثار، تحقيق أبو الوفا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، باب السهو، رقم الحديث 227، ص46، ينظر:أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ترجمة أبي موسى الأشعري،دار الفكر، السعادة، مصر، 1416هـ-1996م، ج1، ص258.

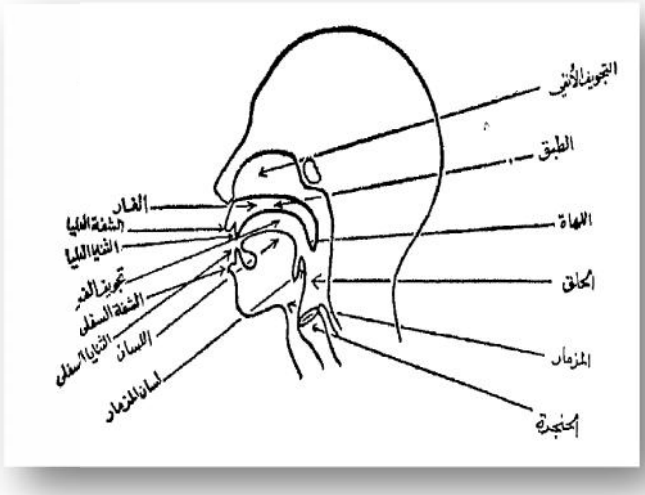
[2]– أحمد بن حسين الخسروجردي، أبو بكر البيهقي، تحقيق ومراجعة نصوص وتخريج الأحاديث، عبالعلي عبد الحميد حامد، إشراف مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتزيع، الرياض، الهند، ط1 (1423هـ، 2003م) باب تعظيم القرآن، فصل في ترك التعمق في القرآن الكريم، رقم الحديث 2406، ج4، ص208، ينظر: الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد أبو معاذ – محسن الحسيني، دار الحرمين، 1415هـ–1995م، ط1،ج7، برقم (7219)، ص181، شعب الإيمان، ج3، برقم (2649)، ص113.

ما يستفاد من التنغيم هو أن يراعي المتحدث المعاني التي يتحدث عنها، فما يحتاج إلى الفرح والسرور لا يستوي في الأداء الصوتي مع ما يقتضي الحزن والأسى، وما يحتاج القوة والشدة ى يستوي في الأداء مع ما يقتضى الرحمة والعطف، وما يعبر عن الاستفهام لا يستوي مع ما يعبر عن الإخبار والتقرير ... وهكذا.

المطلب الثالث: الظواهر الصوتية ومخارج الحروف في اللغة العربية.

جهاز النطق يشترك في إنتاج الصوت اللغوي أعضاء عديدة من جسم الإنسان: الرئتان لإنتاج تيار الهواء، والحنجرة، والحلق، واللهاة، وتجويف الفم، واللثة والأسنان، والشفتان، والخيشوم، وقبل هذا كله؛ هناك المخ حيث يوجد مركز السيطرة الذي ينظم عملية النطق ويحدد درجة الصوت المطلوب، وكل ما يتصل به من صفات، وهذه الأعضاء منها الثابت؛ مثل الأعضاء التي بالفك العلوي، ومنها المتحرك؛ مثل الأعضاء التي بالفك السفلي، وعضلة اللسان، واللهاة التي عند الحنجرة.

انظر الشكل التوضيحي لجهاز النطق.



يميز العلماء قديما وحديثا بين نوعين من الأصوات:

الصوائت: وتعرف في العربية بالحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)، بالإضافة إلى أصوات المد (ألف المد، وياء المد، و واو المد)، ويطلق عليها حديثا "الحركات الطويلة"[1].

[1] – عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، المرجع السابق، ص245.

الصوامت: وأطلق عليه العرب مصطلح (الحروف الأصول)، وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتا، يدخل فيها الواو غير المدة، والياء غير المدة.

أولا: الصوائت[1].

للقدماء حس مرهف بهذا التمييز، حيث أطلقوا على مخارج حروف المد المخرج المقدر، أو الجوفية، أو الهوائية، والذي أضافه المعاصرون هو تحديد ملامح إضافية تميز مخرج كل حركة من الحركات (الفتحة، والضمة، والكسرة) من خلال تحديد موضع اللسان وموضع الشفتين أثناء النطق بكل حركة، ويلحق بذلك ألف المد وياء المد و واو المد.

فالفتحة وألف المد: يكون وسط اللسان هو الجزء الأعلى.

والضمة و واو المد: يكون آخر اللسان هو الجزء الأعلى مع أخذ الشفتين شكل الاستدارة تقريبا.

والكسرة وياء المد: يكون أول اللسان هو الجزء الأعلى.

والحق أن هذه الملامح التي أضافها المعاصرون لم تكن خافية على القدماء، بل هي حاضرة في الجانب الشفهي عندهم، ولعلهم اكتفوا بجانب التلقي دون الكتابة، بسبب أن القرآن الكريم قائم على التلقي الصوتي والمتابعة الحية من لحظة نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [2]

ثانيا: الصوامت.

هي الحروف (الأصوات) الصامتة، وهي التي تقبل حركة من الحركات، ويرجع اختلاف المحدثين عن القدماء في وصف هذه الأصوات إلى تقدم علم التشريح وعلم الأصوات التجريبي، مما أتاح للمحدثين تفاصيل أكثر دقة، فميزوا بين الحلق والحنجرة واللهاة، وقد سجل القدماء حسهم الدقيق بهذه التفرقة حيث ميزوا بين أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق.

[1] – د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، المرجع السابق، ص48-49.

[2] سورة القيامة، الآية 18

ثالثا: مخارج الأصوات الصامتة[1].

ومخارج الأصوات الصامتة في العربية ستة عشر، بيانها في الجدول كالآتي:

المخرج العام	المخرج الخاص (القدماء)	الصوت	المخرج الخاص (المحدثون)
الحلق	أقصى الحلق وسط الحلق أدنى الحلق	ء، هـ ع، ح خ، خ	الحنجرة * اللهاة
اللسان ويشمل عشرة مخارج خاصة	أقصى اللسان مما يلي الحلق	ق	–
	أسفل أقصى اللسان	ك	–
	وسط اللسان مع الحنك الأعلى	ج، ش، ى	–
	الحافة الخلفية للسان عند محاذاة الأضراس	ض	–
	الحافة الأمامية للسان	ل	–
	ظهر جرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	ت، د، ط	–
	ظهر طرف اللسان مع رؤوس الثنايا العليا والسفلى	ث، ذ، ظ	–
	طرف اللسان تحت مخرج اللام مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا	ن	–
	طرف اللسان مائلا إلى ظهره مع ما يحاذيه من لثة الأسنان لعليا	ر	–
	طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا	ص، ز، س	–
الشفتان	بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا	ف	–
	ما بين الشفتين	ب، و، م	–
الخيشوم	التجويف الأنفي	الغنة بمراتبها المختلفة	–

[1] – عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، المرجع السابق، ص248.

* –وضع خانة أفقية في خانة المحدثين يعني: نفس المخرج عند القدماء.

رابعا: صفات الأصوات.

يقصد بصفات الأصوات: الخواص والملامح المميزة لكل صوت، من همس أو جهر، وشدة أو رخاوة، واستعلاء أو استفال، وإطباق أو انفتاح، وغير ذلك من الصفات التي تحدد الحالة التي يكون عليها الصوت عند النطق به[1].

ورحم الله القدماء من علماء الأمة الأوائل؛ فقد كان لهم بصر وبصيرة بصفات الأصوات العربية، وبحسهم اللغوي المرهف استطاعوا تحديد معظم صفات الأصوات العربية بدقة ووضوح.

ومع القفزات الواسعة للعمل التجريبي في المجال الصوتي أتيح لعلماء العربية في العصر الحديث الإفادة من علم الأصوات التجريبي في تحديد صفات الأصوات بصورة دقيقة وواضحة؛ مما يعطينا ضوابط ومعايير تساعدنا على نطق صوت كل حرف نطقا صحيحا، كما يصون اللسان من الخلط بين أصوات الحروف المتشابهة لتقاربها في المخرج[2].

1- الصفات التي لها ضد.

الهمس والجهر: صفتان مختلفتان بحسب اهتزاز الأوتار الصوتية، فالجهر صفة ناتجة عن تذبذب واهتزاز الأوتار الصوتية خلال النطق بصوت معين، في حين أن الهمس صفة ناتجة عن عدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت.

ويمكن إدراك الفرق بين الصوت المهموس والمجهور عند النطق، بوضع اليد على مقدم الرقبة أو الجبهة، أو وضع أصبعين، كل أصبع في أذن، حيث نسمع صدى واضحا لاهتزاز الأوتار الصوتية في الأصوات المجهورة، كما في صوت (ز) مثلا، في حين أننا لا نسمع هذا الصدى ولا الطنين في حالة الأصوات المهموسة، كما في صوت (س) مثلا[3].

---

[1] – محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، المرجع السابق، ص 50-51.

[2] - عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، المرجع السابق، ص249.

[3] –سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1391هـ-1975م، ج2 ، ص284، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د، ط، ج1، ص202.

وتتوزع حروف الهجاء العربية بين الهمس والجهر على النحو التالي:

أ–الأصوات المهموسة: ثلاثة عشر صوتا؛ هي: (ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ).

وتجمع في قولنا: (أقط، فحثه، شخص، سكت).

ويلاحظ هنا زيادة ثلاثة أحرف على ما ذكره القدماء، هي: (ء، ق، ط)، وتفسير ذلك يكون بأحد احتمالين:

الأول: تطور صوتي: القاف والطاء في النطق العربي مع توالي القرون.

الثاني: عدم دقة القدماء في تحديد صفة الهمس والجهر بسبب عدم معرفتهم بالوترين الصوتيين، ويتأكد لنا ذلك بتأمل تعريف سيبويه وابن الجزري للصوت المهموس بأنه: كل حرف جرى معه النفس بسبب ضعف الاعتماد على المخرج[1]، وعلى هذا المعيار (معيار جريان النفس) تكون الحركات (الصوائت) في مقدمة الأصوات المهموسة، لخروجها مع تيار هواء طليق لا يعترضه شيء.

لكن الحركات (الصوائت) أصوات مجهورة عند سيبويه وابن الجزري وسائر القدماء والمحدثين أيضا.

أما صوت الهمزة فلم تكن صفاته واضحة لدى القدماء بسبب نقص معرفتهم التشريحية للحنجرة والحلق وغيرهما.

ب–الأصوات المجهورة: وتضم خمسة عشر صوتا، هي باقي أصوات العربية بعد استبعاد الأصوات المهموسة: ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع ،غ ،ل، م، ن، و، ي.

[1]–سيبويه، الكتاب،ج2، المصدر السابق ص284– 285.

1-2-الشدة والرخاوة والتوسط والتركيب[1]:

معيار الشدة والرخاوة يرجع إلى درجة الاعتراض لتيار هواء الزفير، ومعيار التوسط خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك، ومعيار التركيب المزج بين صوتين، وفيما يلي تفصيل لهذه الصفات:

أ-الشدة (الانفجارية):

يقصد بها خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، أي أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضا تاما، وحروف الشدة ثمانية هي: (ء، ب، ت، د، ض، ط، ق، ك)، وتجمع في قولنا: (أطق ضد بكت)، والقدماء يضمون إلى هذه الأصوات الشديدة صوت "الجيم المعطشة"، والصواب أنها صوت مزجي مركب من انفجاري واحتكاكي، أي هو صوت مزدوج.

ب-الرخاوة (الاحتكاكية):

يقصد بها خروج الصوت مستمرا في صورة تسرب للهواء محتكا بالمخرج، أي أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضا متوسطا، وحروف الرخاوة هي: (ث، ذ، ظ، ح، ع، م، خ، غ، ش، س، ز، ص).

ج-التوسط:

يقصد به خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك عند المخرج، ولذلك أطلق عليها الأصوات المائعة، وهي: (الراء، اللام، الميم، النون) وتجمع في قولنا: (لن مر).

والقدماء يضمون إلى الأصوات المتوسطة حرف العين (لن عمر)، في حين أن النطق المعاصر لها يجعلها ضمن الأصوات الرخوة؛ لاحتكاك الهواء بأقصى الحلق، فهي (أي العين) تماثل صوت الحاء في الرخاوة، والصفة المميزة بينهما هي الهمس أو الجهر، فالعين مجهورة في حين أن الخاء مهموسة.

[1] -سيبويه، الكتاب،ج2، المصدر السابق ص286، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المصدر السابق، ج1، ص203-205.

د–التركيب:

ويقصد به أن يكون الصوت مزيجا من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك)، وهي صفة خاصة بحرف "الجيم المعطشة"، كما تنطق في تلاوة القرآن الكريم.

والتعطيش يعني أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين وسط اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى (الغار)، ثم ينفرج فجأة، ولما كانت المساحة التي يشغلها اللسان من الحنك الأعلى كبيرة نسبيا، إذا قيست بالاحتباس عند اللثة مثلا، فإن انفصال ظهر اللسان عن الحنك الأعلى لا يحدث متزامنا؛ وبذلك يختلف أثر احتكاكي يقويه الناطق بعض التقوية لتكون الجيم مركبة من بعض الشدة وبعض الرخاوة، ولذلك جرى رسم هذه الجيم في الكتابات الأجنبية برمزين هما: (*dj*)، فالرمز (*d*) لقيمة الشدة، والرمز (*j*) لقيمة الرخاوة.[1]

1–3–الإطباق والانفتاح:

معيار الإطباق والانفتاح هو وضع اللسان عند النطق بالصوت.

أ–الإطباق: يقصد بالإطباق وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينطبق اللسان على الحنك الأعلى، آخذا شكلا مقعرا، بحيث تكون النقطة الخلفية هي مصدر الصوت في حالة الإطباق، وحروفه هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

ويتولد عن الإطباق صفة التفخيم لصوت الحرف المطبق.

ب–الانفتاح: هو أيضا وضع اللسان عند نطق بعض الأصوات، حيث ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى ويخرج الهواء من بينهما، وتكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصوت.

وحروف الانفتاح هي باقي حروف الهجاء، بعد إسقاط حروف الإطباق الأربعة.

[1]–برتيل مالمبرج، علم الأصوات، ترجمة ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ص114.

1-4- الاستعلاء والاستفال[1]:

معيار الاستعلاء والاستفال هو نفس معيار الإطباق والانفتاح، والفرق بين الإطباق والاستعلاء هو وضع اللسان، فيكون الإطباق بارتفاع اللسان حتى ينطبق على الحنك الأعلى، في حين أن الاستعلاء يحدث بارتفاع اللسان إلى أعلى، لكن دون انطباق على الحنك الأعلى.

والعلاقة بين الإطباق والاستعلاء علاقة عموم وخصوص، فكل مطبق مستعل وليس العكس.

أ-الاستعلاء: صفة لبعض الأصوات الحلقية، وهي: "القاف والغين والخاء"، حيث يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظا مفخما.

وحروف الاستعلاء هي: "خص ضغط قظ"، وهذه الحروف تشمل حروف الإطباق الأربعة: "ص، ض، ط، ظ"، فبين الاستعلاء والإطباق علاقة عموم وخصوص، وإن كان المحدثون يميزون بينهما، فالعلاقة علاقة تمايز وتباين ويتولد عن صفة الاستعلاء صفة التفخيم.

ب-الاستفال: وفيد يكون وضع اللسان أسفل في قاع الفم، وذلك في بقية أصوات الحروف العربية بعد استبعاد أصوات الاستعلاء.

1-5- التفخيم والترقيق:

صفتان متخالفتان بحسب غلظ الصوت، فالصوت الغليظ هو الصوت المفخم وهي صفة متولدة عن صفتي الاستعلاء والإطباق، فجميع أصوات الاستعلاء والإطباق مفخمة دائما في العربية، وهي: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق).

وقد يأخذ التفخيم درجات من القوة على حسب السياق الصوتي الذي يرد فيه، وهناك أصوات أخرى في العربية تفخم في سياقات صوتية وترقق في سياقات أخرى، وهذه الأصوات هي: اللام والراء.

[1] -برتيل مالمبرج، علم الأصوات، المصدر السابق، ص115.

مواضع تفخيم الراء وترقيقها: الراء مفخمة في أغلب سياقاتها، وذلك إذا كانت مفتوحة، أو مضمومة، أو الساكنة بعد كسر فترفق؛ كما في: (رسالة، فرعون).

مواضع تفخيم اللام وترقيقها: اللام مرققة دائما إلا في لفظ الجلالة فإنها تفخم إذا سبقها مفتوح أو مضموم؛ كما في: (من الله، فضل الله)، فإذا سبقها مكسور رققت؛ كما في: (بالله).

الأصوات المرققة: بعد استبعاد الأصوات المفخمة (الإطباق، والاستعلاء) وحالات تفخيم اللام والراء، فإن باقي الأصوات العربية مرققة.

1-6- الإذلاق والإصمات[1]:

الإذلاق من الذلق، ومعناه: الطرف، ومنه أطلق الإذلاق على الأحرف التي تخرج من طرف اللسان: (ل، ن، ر)، والتي تخرج من طرف الشفة: (ب، ف، م). وتتميز أصوات هذه الأحرف بخروجها في سهولة ويسر.

والإصمات لغة: هو المنع، واصطلاحا: ثقل نسبي في النطق بحروف العربية المتبقية بعد استبعاد أحرف الذلاقة.

وللقدماء ملاحظتان بشأن صفتي الإذلاق والإصمات:

الأول: شيوع أحرف الذلاقة بدرجة أكبر من شيوع حروف الإصمات في كلمات العربية.

الثانية: منع انفراد حروف الإصمات في كلمة من كلمات العربية الرباعية أو الخماسية، فكل كلمة عربية على أربعة أو خمسة أحرف لا بد أن يكون فيها مع الأحرف المصمتة حرف أو أكثر من حروف الذلاقة.

ومن هنا قال اللغويون بأعجمية كلمة (عسجد)[1]؛ لأنها رباعية وخلت من أحرف الذلاقة.

[1] –برتيل مالمبرج، علم الأصوات، المصدر السابق، ص115-116.

[2]–عسجد بمعنى: ذهب.

2- الصفات التي لا ضد لها[1].

1-الصفير: يقصد به شدة وضوح الصوت في السمع، بسبب الاحتكاك الشديد في المخرج، فيخرج الصوت مصحوبا بدرجة من الصفير، وأصواته ثلاثة: (الصاد، الزاي، السين).

2-التكرير: صفة خاصة بالراء، وينبغي الحذر من المبالغة في تكرار الراء بتوالي ضربات اللسان مما ينشأ عنه راء مكررة، وليس صوت الراء المطلوب ظهوره.

3-التفشي: هو صفة ناتجة عن وضع اللسان عند النطق بالشين، حيث يشغل مخرجها مساحة كبيرة ينتج عنه انتشار الهواء في الفم، فلا ينحصر مرور الهواء في مخرج الشين فقط، ولولا هذا التفشي لصارت الشين سينا.

4-اللين: اللين صفة لصوتي الواو والياء حال سكونهما، ويكون ما قبلهما مفتوحا، كما في: (خَوْف، بَيْت).

5-القلقلة: وهي صفة خاصة بتلاوة القرآن الكريم، وتكون في أصوات: (ب، ج، د، ط، ق)، المجموعة في كلمتي: (قطب، جد)، بشرط أن تكون هذه الأصوات ساكنة، ولها مراتب ثلاث.

6-الاستطالة: وهي صفة خاصة بصوت الضاد، والمراد بها استطالة المخرج واتصاله بمخرج اللام الجانبية، ويتبع استطالة المخرج استطالة الصوت، حيث يستغرق زمنا أكبر.

رابعا: الظواهر الصوتية[2].

المقطع: هو وحدة صوتية مكونة من عدد من الروف والحركات تتصف بالتماسك النطقي، ويصنف المقطع بحسب اعتبارين هما:

1-طول المقطع:

- **فالمقطع القصير**: لا يزيد على صوتين؛ مثل: المقاطع الثلاثة: (ك، تَ، بَ) في الكلمة: كتب.

[1] –برتيل مالمبرج، علم الأصوات، المصدر السابق، ص116-117

[2] – عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، المرجع السابق، ص 242-243.

- **والمقطع المتوسط**: يشتمل على ثلاثة أصوات في مثل: (يَدٌ، دَمٌ)، أو صوتين، أحدهما حركة طويلة (حرف مد) في مثل: "فا، دا" من الكلمتين: "فاهم، دارس".
- **والمقطع الطويل**:يشتمل على أربعة أصوات؛ كما في: "فَجْر" (ف + فتحة + ج + ر)، "رادّ" (ر + حرف الألف) حركة طويلة + د + د).

أو يشتمل على ثلاثة أصوات أحدها حركة طويلة (حرف مد)؛ كما في: "لُوم" من كلمة (معلوم)، "تُوب" من كلمة (مكتوب).

2-نهاية المقطع:

- **مقطع مفتوح**: إذا انتهى بحركة قصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة)، كما في: بَ (لعبَ)، بُ (يكتبُ)، ب في حرف الجر (بِـ).
- **مقطع مغلق**: إذا انتهى بصوت حرف صامت (أي ليس بحركة ولا حرف مد) مثل المقاطع: "فَهْم، عصْر، درس، عِلْم، فَنٌّ".

أنواع المقاطع في العربية[1]:

تعرف العربية إجمالا خمسة أنواع من المقاطع؛ هي:

– **النوع الأول**: مقطع قصير مفتوح، وهو عبارة عن: صامت + حركة قصيرة مثل: "وَ، كَ".

– **النوع الثاني**: مقطع متوسط مفتوح، وهو عبارة عن: صامت + حركة طويلة (حرف مد) مثل: "يَا، في".

– **النوع الثالث**: مقطع متوسط مغلق، وهو عبارة عن: صامت + حركة قصيرة + صامت مثل: "بَلْ، هَلْ".

– **النوع الرابع**: (أ) صامت + حركة طويلة (حرف مد) + صامت، مثل: "عاشْ، حالْ، نامْ".

(ب) صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل: "أمْرْ".

[1] – عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، المرجع السابق، ص 242-243.

المطلب الرابع: دراسة تطبيقية صوتية لمقالة الشيخ البشير الإبراهيمي الموسومة بـ "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق".

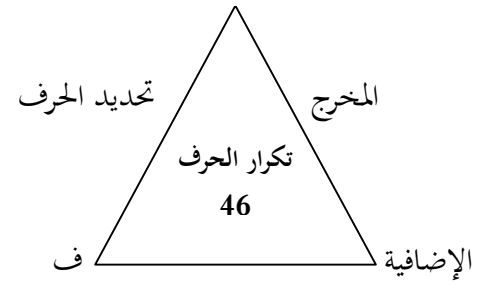
من خلال دراستنا التطبيقية المتعلقة بموضوع الطلاق الذي يعد مشكل من المشاكل الاجتماعية الأسرية الفقهية التي أرقت كاهل الأسرة عامة والأسرة الجزائرية خاصة.

نحاول هنا أن نبرز ملامح المستوى الصوتي من خلال كتابات البشير الإبراهيمي باعتباره العلامة الذي وضع يده على هذا المشكل العويص ومنه خاض غمار التفسير الإصلاحي والفقهي والعلمي على حد سواء.

وسنشرع في هذه الدراسة بداية من السلالم الصوتية "مخارج الصوت" وباعتبار هذه الأخيرة تعد المكان الذي يصدر منه الصوت، وهذا الأصوات تختلف باختلاف الحروف ومخارجها حيث نجد:

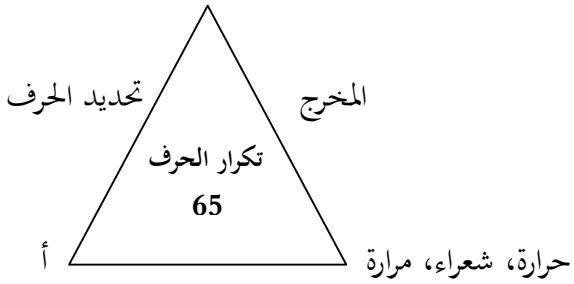
أ– مخرج الأصوات الجوفية (الهوائية) وتنحصر في: حروف المد واللين المعروفة بـ (أ، و) الساكنة المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها، وهذا ما سنوضحه من خلال قول البشير الإبراهيمي: "حل عقدة، وبث حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كل ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليه جميعا بمعنى آخر وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألم والتظلم".[1] وهذا ما يوضحه الشكل التالي:

المخرج الصوتي الجوفي حرف الفاء



مخطط صوتي جوفي يوضح مخرج حرف الفاء

المخرج الصوتي الجوفي حرف الألف



مخطط صوتي جوفي يوضح مخرج حرف الألف

[1]–البشير الإبراهيمي، الآثار، وجمع وتقديم طالب الإبراهيمي، دار المجمع الإسلامي، عيون البصائر، ج3، ص297.

ب- مخارج الأصوات الحلقية:

تنحصر الأصوات الحلقية في نص البشير الإبراهيمي الموسوم بـ "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" في مخرجي الحرفين العين والحاء، وهذا ما سنوضحه في هذا النموذج، من خلال الجدول الآتي:

1- المخرج الحلقي لحرف الحاء (ح):

تنوعت كتابات البشير الإبراهيمي بين السياسية والأدبية والثقافية والاجتماعية ومن بين المشاكل التي حاول البشير الإبراهيمي معالجتها مشكلة الطلاق، حيث قال :"حلّ عقدة، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كلّ ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعًا بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم[1].

هذه الملابسات التي هي من مقتضيات الفطر السليمة، والطباع الرقيقة، شرعه الإسلام مقيدًا بقيود فطرية حكيمة، وقيود شرعية قويمة، اعتمد في تنفيذها بعد فهم المراد منها على إيمان المؤمن، وشرع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومدّ الأمل بالمراجعة، وتوسيع العصمة إلى الثلاث، حتى تمكن الفيئة إلى العشرة؛ وما وصْفه في القرآن بالسراح الجميل والتسريح بالإحسان، إلا تلطيف إلهي في أسلوب معجز يبعث في النفوس المؤمنة نفحات تلطف وما تزال تلطف من غلظ الإحساس وعرام الحيوانية حتى يصير الطلاق "عملية بلا ألم"[2].

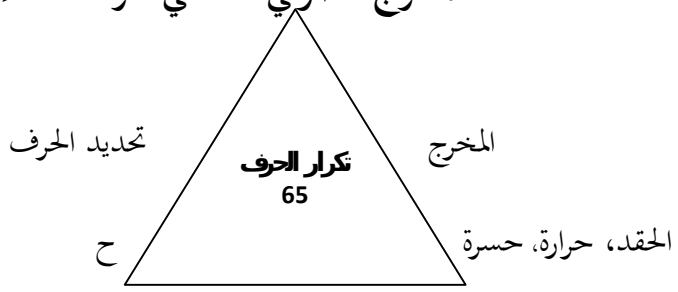
والزواج عقد بين قلبين، ووصل بين نفسين، ومزج بين روحين- وفي الأخير- تقريب بين جسمين، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف، وهنا يدخل العقل مصلحًا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان، وشفاعة النسل إن كان، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما، ولم يقم

[1] - البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص297

[2] - المرجع نفسه، ج3، ص297.

العقل وحده أو مع الحكمين، بإصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمّل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتّحدا، وروحين لم يتعارفا؛ لذلك شرع لهما الطلاق"[1].

المخرج الصوتي الحلقي حرف الحاء



مخطط صوتي حلقي يوضح مخرج حرف الحاء

الكلمة	تحديد الحرف	موضع الحرف	نوعها
الحقد	ح	في صدارة الكلام	اسم
يصحبه	ح	في وسط الكلام	فعل
شرعه	ح	ما قبل آخر الكلام	اسم
حكيمة	ح	في صدارة الكلام	اسم
شرعية	ح	في وسط الكلام	اسم
التمييع	ع	آخر الكلام	اسم
مراجعة	ع	ما قبل آخر الكلام	اسم
الإحسان	ح	في صدارة الكلام	اسم
الحيوانية	ح	في صدارة الكلام	اسم
حتى	ح	في صدارة الكلام	حرف عطف
عملية	ع	في صدارة الكلام	اسم
حرارة	ح	في صدارة الكلام	اسم
حسرة	ح	في صدارة الكلام	اسم

[1] - البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص 297..

نستخلص من خلال هذا الإحصاء أن استقراء موضع الحرف الحلقي (ع) تصدر في مواطن مختلفة حيث نجده في صدارة الكلام والدليل على ذلك ما جاء في الكلمات التالية: الحقد، حكيمة، حيوانية، حتى، حرارة، الإحسان، حسرة.

كما جاء في موضع وسط الكلمة ومثاله: يصحبه، أم إذا تتبعنا موضعه في الحرف الأخير فيتبين لنا غيابه وعدم حضوره القوي في النموذج المأخوذ، وبينما إذا رجعنا إلى الفقرة الموالية نجد له حضورا وانطلاقا من قوله البشير الإبراهيمي ولم يقم العقل وحده أو مع حكمتين، بإصلاح ذات البين فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا ...[1]

ومن خلال هذه القطعة المأخوذة لاحظنا وجود حرف (ح) في آخر الكلام في كلمة (بإصلاح).

وهنا نجد أنفسنا حددنا مواطن حضور حرف الحاء الحلقي في أول الكلام وفي وسطه وفي آخره.

2- المخرج الحلقي لحرف الغين (غ):

تتضح ملامح الحرف الحلقي الغين في كتابات البشير الإبراهيمي باعتباره يخرج من أدنى الحلق وهو أقرب للفم، وله ما يؤيده من قول البشير الإبراهيمي: "والزواج عقد بين قلبين، ووصل بين نفسين، ومزج بين روحين- وفي الأخير- تقريب بين جسمين، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف، وهنا يدخل العقل مصلحًا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان، وشفاعة النسل إن كان، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما، ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين،

[1]—البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ص297، نشرت في العدد السابق من جريدة البصائر، 19 سبتمبر 1947م.

بإصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمّل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتّحدا، وروحين لم يتعارفا؛ لذلك شرع لهما الطلاق"[1].

وقوله في موضع آخر: "إن من يأخذ فقه الطلاق من آية: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [2]، ومما بعدها من الآيات الآمرة بالوقوف عند حدود الله، الناهية عن تعديها، أو من آية: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [3]، أو من آية الحكمين ووعد الله بالتوفيق عند الإصلاح، وبالإغناء من واسع فضله عند التفرّق؛ أو من آية تخيير النبي أزواجه بين حالين: أحدهما التمتيع والسراح الجميل، مَن أخذَ فقه الطلاق من هذا المنبع العذب يعلم أيّ حكم مبثوثة تحت كل كلمة وكل جملة، ومن تفقه هذا الفقه ونشره في الناس يبعد جدًّا أن يتلاعب بتلك العقدة الإلهية التي عقدها الله بين الزوجين، فيضعها في موضعها المعروف بين المسلمين الآن"[4].

وختم المقال بقوله: "أيها المسلمون: إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار، ويتلاعب بها الفجّار، وإن العصمة امتياز لرجالكم، ما لم تطغوا فيه وتظلموا، فإذا طغيتم فيه وجُرتم عن القصد، كما هي حالتكم اليوم، انتزعه منكم القضاء الإسلامي العادل لو كان. فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزي[5].

ما هذه الفوضى وهذا الاضطراب إلا عقوبة من الله لكم، وغيرة منه على أحكامه أن تتولوها بالهوى المطاع، والجهل القالب للأوضاع[6].

---

[1] – البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص297

[2] سورة البقرة، الآية 229

[3] سور البقرة، الآية 236

[4] البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص297

[5] – المرجع نفسه، ص299.

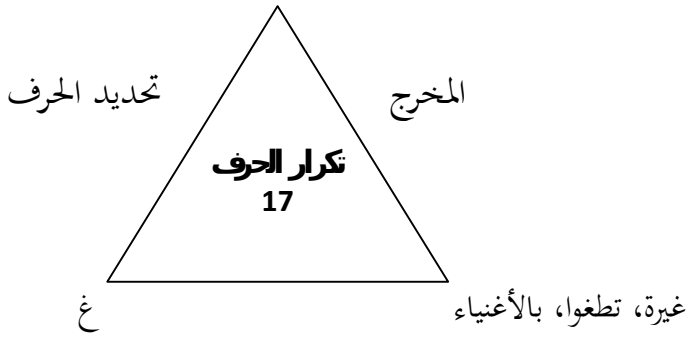
[6] – المرجع نفسه، ص300.

أيها المسلمون: إنه لا أشقى من ابن المطلقة، وإن أباه يُشقيه أولًا، ويشقى به أخيرًا، فإذا ربيَ في حضن أمّه المطلقة شقي ببعده عن أبيه، وشقي أبوه بما تغرسه أمّه في نفسه من بغض له وحقد عليه[1].

إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارًا، ولا تنتفع بهم كبارًا، إلا إذا نشأوا متقلبين في أحضان الآباء والأمهات، متلقّين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين، لا من قلب واحد.

ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟"[2].

المخرج الصوتي الحلقي حرف



مخطط صوتي حلقي يوضح مخرج حرف الغين

الكلمة	تحديد الحرف	موضع الحرف	نوعها
تطغوا	الغين	ما قبل الآخر متحرك	فعل
طغيتم	الغين	في وسط الكلام	فعل
غيرة	الغين	متحرك	اسم
بالأغنياء	الغين	في صدارة الكلام	فعل
تغرس	الغين	متحرك	فعل
صغار	الغين	في وسط الكلام ساكن	اسم

[1] البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص300

[2] المرجع نفسه، ص300.

		في وسط الكلام ساكن في وسط الكلام متحرك	

نستخلص من خلال الجدول الذي يبين أيدينا والذي يمثل نموذجا من نماذج البشير الإبراهيمي في فن المقال الموضح في الحرف الحلقي الغين والذي يخرج من أدنى الحلق أي قريب من الفم، فوجدنا فيه صفات مختلفة ومتعددة من خلال مواضع متنوعة حيث وجدناه متحركا سواء في الأسماء أو الأفعال، ومثال ذلك يتمثل في: "إن من يأخذ بعقله الطلاق ... وبالأغنياء من واسع فضله عند التفرق"[1].

"أيها المسلمون إن عقدة الزواج عقدت مؤكدة ... ما لم تطغوا فيه"، "فإذا طغيتم فيه ... وغيرة منه على أحكامه، ... "وشقي أبوه بما تغرسه أمه""، "إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارا ولا تنتفع بهم كبارا".

3- المخرج الحلقي لحرف الخاء (خ):

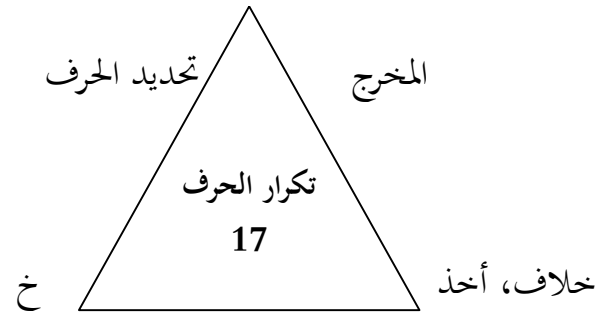
يعد هذا الحرف من الحروف الحلقية التي تخرج من أدنى الحلق، وسنحدد له مواضع عديدة، قبل ذلك لا بد من الإشارة أن من أهم صفاته أنه يعد حرفا رخويا ومهموسا ومنفتحا وحركاته تكون ساكنة ومتحركة وباعتبار أننا وقفنا على نماذج من مقالات البشير الإبراهيمي سنبقى في مقال الطلاق ولكن مع نماذج أخرى من خلال استقراء بعض الفقرات، كقوله: "والزواج عقد بين قلبين، ووصل بين نفسين، ومزج بين روحين- وفي الأخير- تقريب بين جسمين، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف، وهنا يدخل العقل مصلحًا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان، وشفاعة النسل إن كان، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما، ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين،

[1] البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص300

بإصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمّل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتّحدا، وروحين لم يتعارفا؛ لذلك شرع لهما الطلاق"، "ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟".[1]

وهذا ما يبينه الشكل التالي:

المخرج الصوتي الحلقي حرف الخاء



مخطط صوتي حلقي يوضح مخرج حرف الخاء

الكلمة	تحديد الحرف	موضع الحرف	نوعها
الأخير	خ	في وسط الكلام	اسم
تراخت	خ	ما قبل آخر الكلام	فعل
خط	خ	في صدارة الكلام	اسم
أخذوا	خ	في وسط الكلام	فعل
أخذ	خ	في وسط الكلام	فعل
تخلخل	خ	في وسط الكلام	فعل
خوله	خ	في وسط الكلام	فعل
يخرج	خ	في وسط الكلام	فعل
يختلف	خ	في وسط الكلام	فعل
شخصين	خ	في وسط الكلام	اسم
خلاف	خ	في أول الكلام	اسم

[1]—البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج3، ص300.

أخيرا	خ	في وسط الكلام	اسم

من خلال تتبعنا للنص أو للمقال السابق يمكن القول، إن البشير الإبراهيمي وضع ضالته في موضع الحرف الحلقي المتمثل في حرف الخاء، حيث نجده في وسط الكلمة كقوله (الأخير، يخرج، شخصين، يختلف، أخيرا، أخذ، أخذوا، تخلخل)، فمن الملاحظ أن هذه المواضع نجد أن هذا الحرف ورد متحركا وهذا ما أظهرته الكلمات التالية: الأخِير، أخَذوا، أخَذ، تخَلخَل، أخِيرا، تتمظهر هذه المواضع دائما مع الحرف الحلقي الخاء بين الأسماء والأفعال المتباينة والمختلفة، فبرزت لنا في ثوب الأفعال ومثاله (أخذ) مع الحرف المتحرك الخاء.

وإذا رجعنا إلى كلمة (الأخير، تخلخل، أخيرا) نجد أن هذه الحرف متحرك دائما ولكن هذه المرة مع الأسماء في مخارجها كانت بين المتفخمة والمستعلية عطفا على ما تبين ذكره تتضح معالم حرف الخاء في مواطن أخرى وفي كلمات مختلفة، أذكر على سبيل المثال (تراخت، خوله، خط، شخصين، خلاف، يختلف).

ومنه نستنتج اختلاف المعاني والمباني باختلاف مواطن حرف الخاء في الكلمة، كما يمكن القول إن الحرف المتحرك الحلقي الخاء كان بين ساكن ومتحرك ويتبين ذلك في الكلمات التي كانت عبارة عن أسماء ويمكن حصرها على النحو التالي: خوله، خط، شخصين، خلاف.

ومن خلال ما سبق يتبين توظيف البشير الإبراهيمي لهذا الحرف في مواطن عدة كصدارة الكلام مثلا مع فتح حرف الخاء، تظهر في كلمتي: خط، وخوله، أما إذا رجعنا إلى الاسم ولكن هذا الاسم نجده ساكنا ومثاله: شخصين، وكذا في الأفعال من المتحرك كـ (تراخت) مع حضور التفخيم، أما في موضع السكون فنجد الفعل (يختلف) مع تفخيمه مع مخارج الحروف.

انطلاقا مما سبق ذكره واعتمادا على نماذج البشير الإبراهيمي يمكن القول إن مقالاته تضج وتعج بالحروف الحلقية التي تعد من الحروف الحلقية اللسانية والجوفية التي من ملامحها المتمثلة في حروف المد واللين كالألف والواو الساكنة المضمومة م قبلها والياء المكسور ما قبلها، إضافة إلى (حرف العين والحاء والخاء والغين) وقفنا عليها في نماذج تطبيقية التي كانت في مواضع مختلفة سواء كانت في صدارة الكلام أو في وسطها أو آخره.

وكذلك نجد هذه الكلمات متنوعة في حروفها من اسم إلى فعل إلى حرف مع إضافة حركتها سواء كانت ساكنة أو متحركة.

وسنتطرق إلى مخارج أخرى متمثلة في:

مخارج الحروف اللثوية: تعد مخارج الحروف اللثوية من الحروف التي يلامس فيها اللسان اللثة الحلقية للأسنان العليا الأمامية، ونقول عنها حروف أو صوامت وهذا ما قاله الفراهدي: "الصامت اللثوي (س، ز، ص) سام الحروف الأسلية واستخدم كلمة لثوي في الحروف التالية (ت، ظ، ذ) التي تسمى أسناني في اللسانيات نسبة إلى لثة الأسنان وليس لأنها تخرج من اللثة لأن هذه الأخيرة تعد مخرجا، واللثة هي منبت اللسان أو الحم الذي تركب فيه الأسنان.

بناء على هذا يمكن أن نضيف هذه الحروف إلى ثلاثة أصناف المنحصرة في حرف (ث، ذ ، ظ).

إذا رجعنا إلى حرف (ث) فهو من الحروف المهموسة وبقصد بهذا الحرف المجهور عند النطق به مع إخراج التنفس، أما حرف (ذ) بعد من الحروف المجهورة وهو أقوى من المهموس مع منع التنفس عند النطق به، أما الحرف الأخير والمتمثل في حرف (ظ) بهو من حروف الإطباق ويقصد بهذا الحرف أنه عبارة عن انطباق الريح إلى الحنكي عند النطق به، حيث تتفاوت هذه الحروف من حيث القوة والضعف ويعد حرف (ظ) من الحروف الضعيفة الرخوية وذلك لانحرافه إلى طرف اللسان. وهذا ما سيوضحه الشكال التالي:

1- المخرج الصوتي اللثوي حرف الثاء (ث):

انطلاقا من تتبع واستقراء حضور حرف الثاء في مقال البشير الإبراهيمي "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" نجد له حضورا في **الفقرة الثانية**: "لهذه الملابسات التي هي من مقتضيات الفطر السليمة، والطباع الرقيقة، شرعه الإسلام مقيدًا بقيود فطرية حكيمة، وقيود شرعية قويمة، اعتمد في تنفيذها بعد فهم المراد منها على إيمان المؤمن، وشرع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومدّ الأمل بالمراجعة، وتوسيع العصمة إلى الثلاث، حتى تمكن الفيئة إلى العشرة؛ وما وصْفه في القرآن بالسراح الجميل والتسريح بالإحسان، إلا تلطيف إلهي في أسلوب معجز يبعث في النفوس المؤمنة نفحات تلطف وما تزال تلطف من غلظ الإحساس وعرام الحيوانية حتى يصير الطلاق عملية بلا ألم".

الفقرة الخامسة: "جهل المسلمون حقائق دينهم، وجهلوا الحكم المنطوية تحت أحكامه، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تُعلّم الأحكام ولا تُبيّن الحِكَم، فأثر ذلك في نفوس المتفقهة- وهم مرجعُ العامة في سياسة الإفتاء -آثارًا سيّئة، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية تُحفظ ألفاظها، ولا يتحرّك الفكر في التماس عللها، وطلب حكمها، وتعرف مقاصد الإسلام منها، وتصفّح وجوه المصلحة والمفسدة فيها".

الفقرة السادسة: "أنا لم أسمع مدةَ دراستي للفقه في بعض تلك الكتب إلا كلمتين تثيران في النفس شيئًا من الإحساس الحي، وتنبّهان على خيال من الحكمة، وتبثّان في المشاعر بصيصًا من النور، إحداهما في باب النكاح، وهي قولهم: "النكاح مبنيٌّ على المكارمة"، والثانية في باب الطلاق، وهي تناقلهم لأثر "أبغض الحلال إلى الله الطلاق".

الفقرة السابعة: "ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن، ومن السنّة القولية والفعلية، ومن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقلّين المستدلين التي تقرن المسائل بأدلّتها، وتبيّن حكمة الشارع

منها، لكان فقههم أكمل، وآثاره الحسنة في نفوسهم أظهر، ولكانت سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن وأنفذ، ويدهم في تربيتهم وترويضهم على الاستقامة في الدين أعلى".

الفقـرة الثامنـة: "إن مـن يأخـذ فقـه الطـلاق مـن آيـة: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ ، ومما بعدها من الآيات الآمرة بالوقوف عند حدود الله، الناهية عن تعديها، أو من آية: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾، أو من آية الحكمين ووعد الله بالتوفيق عند الإصلاح، وبالإغناء من واسع فضله عند التفرّق؛ أو من آية تخيير النبي أزواجه بين حالين: أحدهما التمتيع والسراح الجميل، مَن أخذَ فقه الطلاق من هذا المنبع العذب يعلم أيّ حكم مبثوثة تحت كل كلمة وكل جملة، ومن تفقه هذا الفقه ونشره في الناس يبعد جدًّا أن يتلاعب بتلك العقدة الإلهية التي عقدها الله بين الزوجين، فيضعها في موضعها المعروف بين المسلمين الآن".

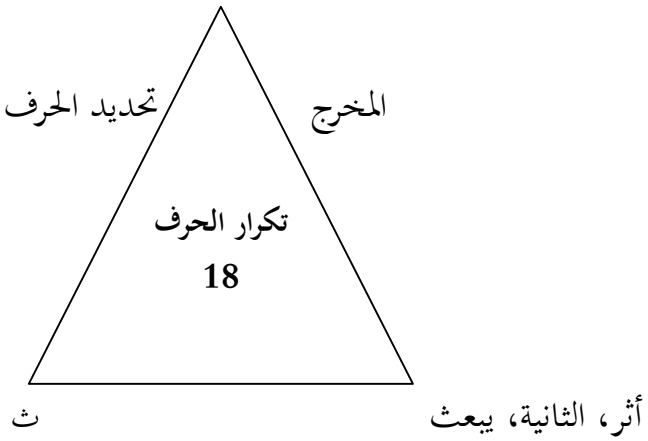
الفقرة العاشرة: "هذا الجمود في الفقه والفقهاء، وذلك الخلاف الواصل بين طرفي الإباحة والحظر في المسألة الواحدة، هما اللذان سهّلا على المسلمين تعدّي حدود الله في الطلاق، وأفضيا بهم إلى هذه الفوضى الفاشية في البيوت، وإلى ارتفاع الثقة بين الأزواج والزوجات، وزاد الطين بلة وضْعٌ منحرف لمكان الزوجة من زوجها، حتى أصبح متخلخلًا متزلزلًا لا استقرار له، وما جاء هذا التخلخل إلا من سوء فهم من الرجل، انبنى عليه سوء تصرّف منه في الحق الذي خوّله الشارع، وهو أنه يملك العصمة، وما جاء سوء الفهم إلا من سوء التفهيم من الفقيه، فالفقيه لا يعرفُ إلا أن العصمة بيد الزوج، لأنه لا يجد في كتب الفقه إلا هذا، وهو حق في أصل الشريعة، ولكن الإسلام لا يُعطي هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلا للمسلم الصحيح الإسلام، القويّ الإيمان. فهو يكل إليه عهدًا ويستحفظه على أمانة، اعتمادًا على رشده، وثقة بإيمانه، أما إعطاء هذه الامتيازات إلى الجاهلين المتحلّلين من قيود الإسلام فهو لا يقلّ شناعة وسوء أثر عن إعطاء السلاح للمجانين".

الفقرة الحادية عشر: "يخرج الرجل إلى السوق، أو يجلس في المقهى، ويختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثًا فتكون النتيجة خراب بيت، وتمزيق أسرة، وتشريد بنين.

ويتناقش آخر مع صهره في زيارة أو استزارة فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق، وتكون النتيجة تقطيع أرحام، وتكوين فتنة.

ويتنازع اثنان الحديث في السياسة أو التفضيل بين شخصين أو في الغيم والصحو، فتجري ألفاظ الطلاق متناثرة متعددة، كأنها لازمةُ الحديث، وكأن الكثير منهم لم يتزوّج إلا ليجعل الزوجة أداة يمين، أو ليصدقه الناس حين يحلف لعلمهم أنه متزوّج".

المخرج الصوتي اللثوي حرف الثاء



مخطط صوتي لثوي يوضح مخرج حرف الثاء

جدول يوضح مخارج الحروف اللثوية حرف الثاء:

الكلمة	تحديد الحرف	موضع الحرف	نوعها
يبعث	ث	في آخر الكلام	فعل
فأثر	ث	ما قبل نهاية الكلام	فعل
تثيران	ث	في وسط الكلام	فعل
الثانية	ث	في وسط الكلام	اسم
الأثر	ث	في وسط الكلام	اسم
آثاره	ث	في وسط الكلام	اسم
مبثوثة	ث	في ما قبل نهاية الكلام	اسم
ثقة	ث	في صدارة الكلام	اسم
أثر	ث	في وسط الكلام	فعل
تبثان	ث	في وسط الكلام	فعل
أثر	ث	في وسط الكلام	فعل
حناثا	ث	في آخر الكلام	اسم
اثنان	ث	في وسط الكلام	اسم
متناثرة	ث	في ما قبل نهاية الكلام	اسم
العابثة	ث	في ما قبل نهاية الكلام	اسم

2- المخرج الصوتي اللثوي حرف الظاء (ظ):

سنتعرض إلى الحرف الثاني اللثوي والمتمثل في حرف الظاء (ظ) الذي يعد حرفا مستعلا مطبقا مجرورا صامتا، وقد تجلى ظهوره في مقال البشير الإبراهيمي من خلال قوله في الفقرة الأولى بقوله: "ويزيد عليها جميعا بمعنى آخر، وهو يصحبه من الحقد والبغض والتألم والتظلم".[1]

[1]—البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج3، ص297.

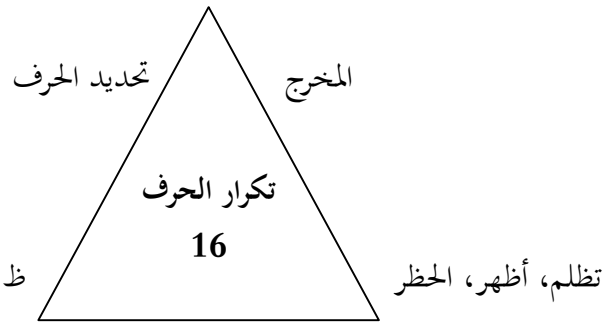
وفي الفقرة الثانية قوله: "... إلا تلطيف إلهي في أسلوب معجز يبعث في النفوس المؤمنة نفحات تُلَطِّف وما تزال تلطف من غلظ".

وفي الفقرة الخامسة قوله: "جهل المسلمون حقائق دينهم، وجهلوا الحكم المنطوية على أحكامه، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تُعلَّم الأحكام ولا تبين الحكم، فأثر ذلك في النفوس المتفهمة –وهم مرجع العامة في سياسة الإفتاء– آثارا سيئة، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية تحفظ ألفاظها، ولا يتحرك الفكر في التماس عللها ...".

وفي الفقرة التاسعة أضح يقول: "هذا الجمود في الفقه والفقهاء، وذلك الخلاف الواصل بين طرفي الإباحة والحظر في المسألة الواحدة ... لأنه لا يجد في كتب الفقه إلا هذا، وهو حق في أصل الشريعة ولكن الإسلام لا يعطي هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلا للمسلم الصحيح الإسلام، القوي الإيمان. فهو يكل إليه عهدا ويستحفظه على الأمانة ...".

وقوله في ختام المقال في الفقرة الأخيرة: "أيها المسلمون إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة يحافظ عليها الأحرار، ويتلاعب بها الفجار وإن العصمة امتياز لرجالكم، ما لم تطغوا فيه وتظلموا، فإذا طغيتم فيه وجرتم عن القصد، كما هي حالتكم اليوم، انتزعه منه القضاء الإسلامي العادل لو كان فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزي".

المخرج الصوتي اللثوي حرف الظاء



مخطط صوتي لثوي يوضح مخرج حرف الظاء

جدول يوضح مخارج الحروف اللثوية حرف الظاء:

الكلمة	تحديد الحرف	موضع الحرف	نوعها
تظلم	الظاء	في وسط الكلام	فعل
غلظ	الظاء	في آخر الكلام	فعل
تحفظ	الظاء	في آخر الكلام	فعل
ألفاظها	الظاء	في ما قبل آخر الكلام	فعل
أظهر	الظاء	في وسط الكلام	فعل
الحظر	الظاء	في وسط الكلام	اسم
ستخفظه	الظاء	في ما قبل آخر الكلام	فعل
ألفاظ	الظاء	في آخر الكلام	فعل
تظلموا	الظاء	في وسط الكلام	فعل
بألفاظها	الظاء	في ما قبل آخر الكلام	فعل

إذا ما رجعنا إلى المقاطع النصية التي ورد فيها حرف الظاء (ظ) يمكن القول أن البشير الإبراهيمي وظف الحرف اللثوي المتمثل في الظاء والذي لم يرد بكثرة وإذا ورد جاء متكررا في مواطن كثيرة مثل: ألفاظها، تحفظ، يستحفظه، والملاحظ أن حضوره كان في ثوب الأفعال المضارعة، حيث نجده في وسط الكلام في قوله: (تظلم، ألفاظها، أظهر، ألفاظ، تظلم).

ومن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا غياب الأسماء والأحرف في هذا المقال للضرورة التي يفيدها الفعل المضارع الذي يدل على الحركة والتغيير وهذا ما يستدعيه المقام والمقال والموضوع على حد سواء. فبرز هذا الحرف اللثوي في أفعال متحركة ومثاله (تظَلّم، تحفظُ، ألفاظُها، يستحفظُه، يحافظُ، تظَلم) وساكن في قوله (الحظْر، أظْهر) نجده ساكنا في موضعين فقط.

وإذا تطرقنا إلى طبيعة الحرف نجده حرف مستعل مطبق رخوي مجهور مصمت ويعتبر من الحروف أقل قوة وفي مقابل ذلك نجده مفخم.

3-المخرج الصوتي اللثوي حرف الذال (ذ):

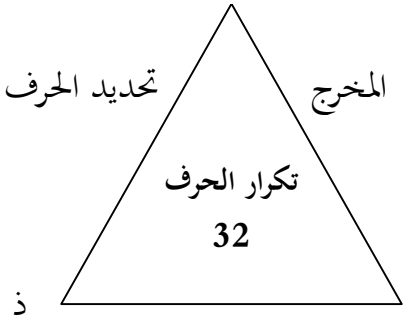
يعد حرف الذال من المخارج اللسانية ما يسمى بالحروف اللثوية على غرار الظاء والثاء، هذه الثلاثة تخرج من طرف اللسان ومن أطراف الثنايا العليا، يعني أطراف الأسنان العليا، طرفي اللسان على طرف الأسنان العليا،

ولا يصح أن يخرج الإنسان قسما من اللسان، هذا لا تفعله العرب وهو قبيح في النطق وقبيح في الرؤيا، ولا يصح أن يجعل لسانه في الداخل، لا بد أن يكون الطرف على طرف، قال ابن جزري: "والظاء والذال والثاء للعليا من طرفيهما".

قد وظف البشير الإبراهيمي هذا الحرف فنجده متناثرا في كتاباته بين المقال والخطبة، وهذا ما سنبينه من خلال المقال الموسوم بـ "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" كقوله: "لهذه الملابسات التي من المتغيرات الفطر السليمة، والطباعة الرقيقة، شرعه الإسلام مقيدا، بفطرته الحكيمة، وقيود شرعية قويمة، اعتمد في تنفيذها على فهم المراد منهم على إيمان المؤمن"، وقوله في موضع آخر: "فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها ..."، وقوله: "ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين بإصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا العذاب النفسي ...".

وهذا ما يبينه الشكل التالي:

المخرج الصوتي اللثوي حرف الذال



ذ ذات، ذرع، العذاب، هذه

مخطط صوتي لثوي يوضح مخرج حرف الذال

بيان موضع حرف الذال حسب الجدول الموالي:

الكلمة	تحديد الحرف	موضع الحرف	نوعها
تنفيذها	الذال	في وسط الكلام	فعل
فإذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
ذات	الذال	في صدارة الكلام	حرف
العذاب	الذال	في وسط الكلام	حرف
ذرعا	الذال	في صدارة الكلام	اسم
ذكرنا	الذال	في صدارة الكلام	فعل
أخذوا	الذال	في وسط الكلام	فعل
أنفذ	الذال	في آخر الكلام	فعل
يؤخذ	الذال	في آخر الكلام	فعل
أخذ	الذال	في وسط الكلام	فعل
العذب	الذال	في وسط الكلام	فعل
هذا	الذال	في وسط الكلام	اسم
ذلك	الذال	في صدارة الكلام	حرف
هذه	الذال	في وسط الكلام	حرف
هذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
هذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
بهذه	الذال	في وسط الكلام	حرف
فإذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
بعذاب	الذال	في وسط الكلام	اسم
هذه	الذال	في وسط الكلام	حرف
هذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
فإذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
إذا	الذال	في وسط الكلام	حرف
ماذا	الذال	في وسط الكلام	حرف

نستخلص من خلال استقراء موضع حضور الحرف اللثوي المتمثل في الذال أنه كان مبثوثا في ثنايا المقال وكان أكثر الحروف حضورا وسيطرة من خلال كتابات البشير الإبراهيمي، لذلك نرى البشير الإبراهيمي نوع في توظيفه واستعماله بين الاسم تارة والفعل وأغلبها حروفا، وقد ورد في موضع الاسم مثل قوله: العذب، العذاب، كما استعمله في موضع الفعل، ومثالها: تنفيذها، ذرعا، ذكرنا، أخذوا، أنفذ، يؤخذ، أخذ، وجاء في صورة أسماء إشارة بكثرة وذلك بتكرارها، ومثاله، (هذا) في أربعة مواضع، و(هذه) في موضعين، و(بهذه) في موضعين، كما عمد إلى توظيف حرف (إذا) في أربع مواضع، وجاء هذا الأخير مصحوبا بفاء التعقيب في موضعين، كما تجلى حضور حرف (إذا) التفسيري في موضع واحد، وحرف (ماذا) في موضع واحد.

ومنه نستنتج أن البشير الإبراهيمي استطاع أن يستعمل ويوظف هذه الحروف خاصة بحكم تحكمه في الملكة اللغوي فنتج عنه هذا التنوع بين الاسم والفعل والحرف فتنوعت واختلفت مقاصده بين الإثبات والتقرير والتأكيد.

وإذا ما رجعنا إلى طبيعة هذا التوظيف بين ساكن ومتحرك، فالأول مثله (تنفيذها، العذاب، ذرعا، يأخذ، أخذ، ذكرنا، أنفذ، بعذاب، هذا إذا، فإذا، هذه، بهذه، إذا، ماذا)، أما الثاني وهو الساكن فقد كان متمثلا في سكون الحرف اللثوي الذال فلم يكن حاضرا لأسباب تحكمت في طبيعة الموضوع ونمطية توظيف البشير الإبراهيمي، وفي الغالب نجد حضور الأفعال المضارع التي تدل على الحركة والفاعلية داخل النص مما تنعكس على حالة البشير الإبراهيمي ومدى تأثره بواقع الأسرة الجزائرية والتلاعب بالأحكام الشرعية.

جدول يمثل دراسة صوتية لمقال "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" للبشير الإبراهيمي أنموذجا:

المقاطع الصوتية	تحليلها صوتيا	نوع المقاطع الصوتية
خَلِيطُ	خَ: صامت + صائت قصير لِيْ: صامت + صائت قصير + صامت طُ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح مقطع متوسط مفتوح مقطع قصير مفتوح
سَامِرِ	سَاْ: صامت + صائت قصير + صامت مِ: صامت + صائت قصير رِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
شَرَعَ	شَ: صامت + صائت قصير رَ: صامت + صائت قصير عَ: صامت + صائت قصير	3 مقاطع قصيرة مفتوحة
يَبْعَثُ	يَبْ: صامت + صائت قصير + صامت عَ: صامت + صائت قصير ثُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
حَسْرَةُ	حَسْ: صامت + صائت قصير + صامت رَ: صامت + صائت قصير ةُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
يَصْحَبُهُ	يَصْ: صامت + صائت قصير + صامت حَ: صامت + صائت قصير بُ: صامت + صائت قصير هُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + 3 مقاطع صوتية مفتوحة
مَاْ	مَاْ: صامت + صائت طويل + صامت	مقطع طويل مغلق

المقاطع الصوتية	تحليلها صوتيا	نوع المقاطع الصوتية
ضَاْعَتْ	ضَاْ: صامت + صائت قصير + صامت عَ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح

	تْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مغلق
تَلْطَفُ	تَلْ: صامت + صائت قصير + صامت طَ: صامت + صائت قصير فُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
لَمْ	لَ: صامت + صائت قصير + صامت مْ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مفتوح مقطع قصير مغلق
بَابِ	بَابْ: صامت + صائت قصير + صامت بِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
مُعْجِزُ	مُعْ: صامت + صائت قصير + صامت جِ: صامت + صائت قصير زُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
إِبَاحَةُ	إِ: صامت + صائت قصير بَاْ: صامت + صائت طويل حَ: صامت + صائت قصير ةُ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
نَشْرِهِ	نَشْ: صامت + صائت قصير + صامت رِ: صامت + صائت قصير هِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
أَخَذَ	أَ: صامت + صائت قصير خَ: صامت + صائت قصير ذَ: صامت + صائت قصير	3 مقاطع قصيرة مفتوحة
تِلْكَ	تَلْ: صامت + صائت قصير + صامت كَ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
عِقْدُ	عِقْ: صامت + صائت قصير + صامت دُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
وَصْفِهِ	وَصْ: صامت + صائت قصير + صامت فِ: صامت + صائت قصير هِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين

مِنْ	مِ: صامت + صائت قصير نْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح مقطع قصير مغلق
تَعْرِفُ	تَعْ: صامت + صائت قصير + صامت رِ: صامت + صائت قصير فُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مغلقين
يَأْخُذُ	يَأْ: صامت + صائت قصير + صائت خُ: صامت + صائت قصير ذُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
يَعْلَمُ	يَعْ: صامت + صائت قصير + صامت لَ: صامت + صائت قصير مُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
فِقْهُ	فِقْ: صامت + صائت قصير + صامت هُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
كَانَ	كَا: صامت + صائت قصير + صامت نَ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
عَمَلْ	عَ: صامت + صائت قصير مَ: صامت + صائت قصير لْ: صامت + صائت قصير	 مقطعين قصيرين مفتوحين مقطع قصير مغلق
بَيْنَ	بَيْ: صامت + صائت قصير + صامت نَ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
أَنْفَذَ	أَنْ: صامت + صائت قصير + صامت فَ: صامت + صائت قصير ذَ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
أَوْ	أَ: صامت + صائت قصير وْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح مقطع قصير مغلق
تَعْرِفُ	تَعَ: صامت + صائت قصير + صامت رِ: صامت + صائت قصير فُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مغلقين

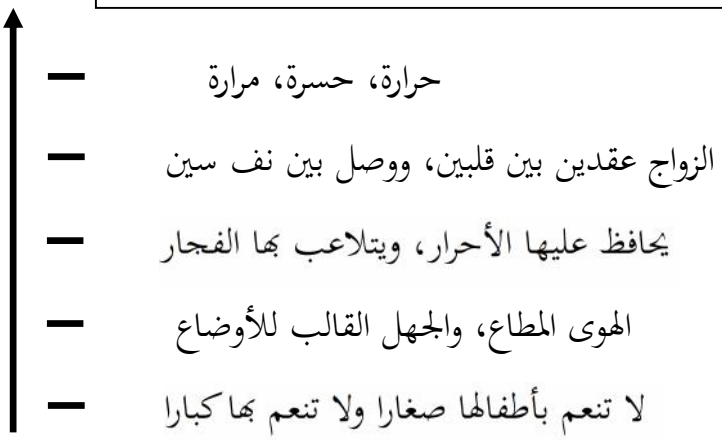
تَنْتَفِعُ	تَنْ: صامت + صائت قصير + صامت تَ: صامت + صائت قصير فِ: صامت + صائت قصير عُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + 3 مقاطع قصيرة مفتوحة
أَخِيْراً	أَ: صامت + صائت قصير خِيْ: صامت + صائت قصير + صامت رَاً: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع قصير مفتوح + مقطعين متوسطين مغلقين
حْقْدُ	حقْ: صامت + صائت قصير + صامت دُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
عَلَيْهِ	عَ: صامت + صائت قصير لَيْ: صامت + صائت قصير + صامت هِ: صامت + صائت قصير	مقطعين قصيرين مفتوحين + مقطع متوسط مغلق
اِبْنُ	اِبْ: صامت + صائت قصير + صامت نُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع مغلق قصير مفتوح
قَلْبِ:	قَلْ: صامت + صائت قصير + صامت بِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع قصير مفتوح
فِيْ	فِ: صامت + صائت قصير يْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح مقطع قصير مغلق
تَغْرِسُهُ	تَغْ: صامت + صائت قصير + صامت رِ: صامت + صائت قصير سُ: صامت + صائت قصير هُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + 3 مقاطع قصيرة مفتوحة

	مقطع قصير مغلق	مقطع قصير مفتوح	مقطع متوسط مفتوح	مقطع متوسط مغلق	مقطع طويل مفتوح
المجموع	10 مقاطع	55 مقطع	02 مقاطع	22 مقطع	01 مقطع
	المرتبة 03	المرتبة 01	المرتبة 04	02	05

وفي الأخير نخلص أن البشير الإبراهيمي في هذا المقال عمد إلى توظيف المقاطع القصيرة بكثرة بخلاف المقاطع الطويلة التي لم نلحظ لها تواجد في مقطع واحد، وهذا إن دل إنما يدل على توظيف البشير الإبراهيمي للجمل البسيطة الغير مركبة والاعتماد بعكس الجملة الطويلة المركبة التي لا تتوافق ومع غرض البشير الإبراهيمي، حيث تعمل الأولى على إيصال الفكرة إلى ذهن السامع أو القارئ بكل يسر وسهولة بخلاف الطويلة والمركبة التي تتسم بالتعقيد.

سلالم حجاجية صوتية توضح توظيف البشير الإبراهيمي لعلم البديع في مقاله الموسوم بـ "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق":

سلم حجاجي بلاغي صوتي يوضح توظيف البشير الإبراهيمي



سلم حجاجي بلاغي صوتي يوضح توظيف البشير الإبراهيمي



سلم حجاجي بلاغي صوتي يوضح توظيف البشير الإبراهيمي



نلاحظ من خلال هذه السلالم الصوتية لظاهرة البديع أن البشير الإبراهيمي عمد إلى توظيفها واستعمالها لأنها أحدثت تنوعا صوتيا وانسجاما وتناغما داخل النص وذلك باختلاف وتعدد مخارج الحروف، والأثر الدلالي الصوتي الذي يدل على حسرة البشير الإبراهيمي على الأوضاع الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري هذا ما دفعه إلى استعمال علم البديع على وجه الخصوص وإن كنا لا ننكر وجود علم البيان، ولكن نلحظ علم البديع كان أكثر استعمالا من غيره لأنه ساعد البشير الإبراهيمي في إيصال المعنى بإيجاز.

المطلب الخامس: دراسة صوتية أسلوبية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" أنموذجا.

إن المتصفح لخطابات البشير الإبراهيمي يجده كثيرا ما يعتمد على توظيف المقاطع الصوتية التي تمثل العمود الأساسي لبناء التركيب الذي يتكون من وحدات صوتية، كما يتركز هذا التوظيف على اللغة باعتبارها نظام صوتي يتألف من وحدات تركيبية، وهي في حد ذاتها كلام ينطق بأصوات أو فونيمينات على شكل مقاطع صوتية وهذا ما سنلحظه من خلال دراسة تطبيقية صوتية لخطابات البشير الإبراهيمي من خلال النموذج الموسوم بـ "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر".

وعليه فإن جل كتابات البشير الإبراهيمي نجدها تضج وتعج بالمقاطع الصوتية ونخص بالذكر الخطابة التي تمثل نسيج من الكلمات والجمل سواء كانت اسمية أو فعلية أو بسيطة أو مركبة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول: "إن الوحدات الصتية عبارة عن أصغر وحدة فونيمية تتكون من مقاطع منطوية تحت فونيمينات". أما المقاطع الصوتية فتتمثل في مجموعة من النغم والنبر متشعبة بمجموعة من المقاطع.

أنواع المقاطع الصوتية:

أنواع المقاطع الصوتية:	
1) المقطع الصوتي الساكن يتكون من	
أ- مقطع متوسط مغلق ⟵	(ص + ح ت) + صامت. مثال: جُبْنْ
ب- مقطع قصير مفتوح ⟵	(ص + ح ق). مثال: ذَهَبْ
ج- مقطع طويل مفتوح	(ص + ح + ط). مثال: بَاتَ
د- مقطع قصير مغلق	(ص + ح + ص). مثال: لَنْ
و- مقطع مديد حركته طويلة	(ص + ح + ص). مثال: بَابْ
هـ- مقطع مديد مغلق بصامتين	(ص + ح + ص + ص). مثال: قِـرّ

بناء على هذه المفاهيم المتعلقة بالمقطع الصوتي يمكن أن نبني عليها نموذجا تطبيقيا المتمثل في إحدى خطابات البشير الإبراهيمي المفروقة بالشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر في أجزائها

الأربعة، كما يمكننا تحديد المقاطع الصوتية الموسيقية الناتجة عن تجانس ألفاظها مع تراكيبها التي تسهم في إبراز سمات المقاطع الصوتية الموظفة بجماليتها.

ولتوضيح هذه المقاطع الصوتية المتميزة اعتمادا على خطابة البشير الإبراهيمي في قوله: "أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها ... يا شباب الجزائر هكذا كونوا! ... أو لا تكونوا! ...".

في هذه الدراسة التطبيقية المحضة ارتكزنا على وضع الرموز التي توحي إلى دلالات مقاطع الصوتية الساكنة بكال أنواعها نذكر منها:

ص ⟸ صامت

ح ⟸ صائت (حركة بالرمز)

ح ق ⟸ الحركة القصيرة

ح ط ⟸ الحركة الطويلة

انطلاقا من هذا يمكن الاعتماد على جدول يوضح الملامح والمقاطع الصوتية في هذه الخطابة الموسومة بـ "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر".

المقطع الأول:

أتمثله متساميًا إلى معالي الحياة، عربيدَ الشباب في طلبها، طاغيًا عن القيود العائقة دونها، جامحًا عن الأعنَّة الكابحة في ميدانها، متَّقد العزمات، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد، ونشاط الجوارح .

أتمثله مقداما على العظائم في غير تهوّر، محجامًا عن الصغائر في غير جبن، مقدرًا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أو الفكر آخر العمل.

أتمثله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخًا له، أخوة الدم، وكلَّ مسلم أخًا له، أخوة الدين، وكل بشر أخًا له أخوة الإنسانية، ثم يُعطي لكل أخوة حقها فضلا أو عدلا.

أتـمثله حلِفَ عمـل، لا حليـف بطالـة، وحلس معمـل، لا حلـس مقهـى، وبطـل أعمـال، لا ماضغَ أقوال، ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال.

أتمثله برًّا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا، مزورًّا عن الحضارة التي (رمتْه بقشورها)، فأرخت أعصابه، وأنَّثت شمائله، وخنَّثت طباعه، وقيَّدته بخيوط الوهم، ومجَّت في نبعه الطاهرِ السموم، وأذهبت منه ما يُذهِب القفص من الأسد من بأس وصولة.

أتمثَّله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع، إقبال النحل على الأزهار والثمار لتصنع الشهد والشمع، مقبلا على الارتزاق، إقبال النمل تجدُّ لتجِدَ، وتدَّخر لتَفتَخر، ولا تبالي ما دامت دائبة، أن ترجع مرةً منجِحةً ومرة خائبة.

أحب منه ما يحب القائل: أحب الفتى بنفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا

وأهوى منه ما يهوى المتنبي:

وأهوى من الفتيان كل سميذع أريب كصدر السمهري المقوم

خطت تحته العيس الفلاة وخالطت به الخيل كبات الخميس العرمرم

يا شباب الجزائر هكذا كونوا !.... أو لا تكونوا! [1]

المقاطع الصوتية	تحليلها صوتيا	أنواع المقاطع الصوتية
أَتَمَثَّلُهُ	أَتَ: صامت + صائت قصير + صامت مَ: صامت + صائت قصير + صامت ثَّ: صامت + صائت قصير لُهُ: صامت + صائت قصير + صائت قصير + صامت	مقطعين قصيرين مفتوحين + مقطع طويل مغلق مقطع مديد مقفل بصامتين
تَوْجَعُ	تَوْ: صامت + صائت قصير + صامت جَ: صامت + صائت قصير عُ: صامت + صائت قصير	مقطعين قصيرين مفتوحين + مقطعين متوسطين مفتوحين
جُبْنُ	جُبْ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع متوسط مغلق +

[1]– البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج3، ص509–510. نشرت في العدد الخامس من جريدة البصائر، 5 سبتمبر سنة 1947.

	نُ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح
يَذْهَبُ	يَذْ: صامت + صائت قصير + صامت هَ: صامت + صائت قصير بُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
مِنْ	مِ: صامت + صائت قصير نْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مغلق
مَاْ	مَاْ: صامت + صائت طويل + صامت	مقطع قصير مغلق
نَشَاطُ	نَ: صامت + صائت قصير + صامت شَاْ: صامت + صائت طويل + صامت طُ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعين قصيرين مغلقين + مقطع طويل مغلق
مَمْلُوءُ	مَمْ: صامت + صائت قصير + صامت لُوْ: صامت + صائت طويل + صامت ءُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع طويل مفتوح مقطع قصير مفتوح
أَفْنَانُ	أَفْ: صامت + صائت قصير + صامت نَاْ: صامت + صائت طويل نُ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعين متوسطين مغلقين + مقطع طويل مفتوح
تَنْطَوِيْ	تَنْ: صامت + صائت قصير + صامت طَ: صامت + صائت قصير + صامت وِيْ: صامت + صائت طويل	مقطعين متوسطين مغلقين + مقطع طويل مفتوح
زَيْغُ	زَيْ: صامت + صائت قصير + صامت غُ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعين متوسطين مغلقين
يُظَلِّلْ	يُظَ: صامت + صائت + صامت + صائت لِّلْ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع مديد مغلق بصامتين مقطع قصير مغلق
يَكْرَهُ	يَكْ: صامت + صائت قصير + صائت رَ: صامت + صائت قصير هُ: صامت + صائت قصير	مقطعين قصيرين مفتوحين + مقطع متوسط مغلق

المجموع	مقطع قصير مفتوح	مقطع طويل مفتوح	مقطع متوسط مغلق	مقطع قصير مغلق	مقطع طويل مغلق	مقطع مديد حركته طويلة	مقطع مديد مغلق بصامتين
	19	03	13	06	05	05	01

بناء على العينات المأخوذة من النموذج التطبيقي السابق في الجزء الأول والمتمثل في "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" (أتمثله، توجع، جبن، يذهب، من، ما، نشاط، بأس، مقبلا، ذكاء، تكاد)، أما الجزء الثاني (قيمة، مملوء، أفنان)، والجزء الثالث (زيغ ، ينطوي، يظلل، يكره ...) والمحصورة بين أسماء وأفعال وحروف.

يمكن القول بأن النموذج الإبراهيمي يحتوي على مقاطع صوتية مختلفة باختلاف أنواعها ونحدد هنا بأننا طبقنا في هذا النموذج على المقطع الصوتي الساكن وقمنا بعملية إحصاء لأنواع المقاطع الصوتية المختلفة فوجدناه قد وظف المقطع الصوتي القصير المفتوح بنسبة كبيرة بـ 19 مقطعا، ويليه المتوسط المغلق بنسبة 13 مقطعا بعد ما كان هذا المقطع القصير المغلق بنسبة 06 مقاطع توظيفا، بينما نجد الطويل المغلق والمقطع المديد الذي حركته طويلة قد تساوى في التوظيف في هذا الجزء من الخطابة بنسبة 05 مقاطع لكل مقطع، ففي الأخير نجد حضوره مرة واحدة والمتمثل في المقطع المديد المقفل بصامتين.

وعليه نستخلص أن البشير الإبراهيمي يعتمد في خطابته على المقطع القصير المفتوح والمقطع المتوسط المغلق والمقطع القصير المغلق ويرجع ذلك إلى ارتكازها على الحركة الإيقاعية للأصوات مع قصيرها وطويلها وكونها تتناسب مع المقامات التي يقف عندها الكاتب باختلاف المقاطع الصوتية الساكنة. بينما عدم توظيفها للمقاطع المديدة المقفلة بصامتين بكثرة مقارنة ما وجدناه في الجزء الأول حيث شكل حضورها في موضع واحد دلالة على عدم شيوعها وانتشارها في الجزء الأول والثاني والثالث من الخطابة.

المقطع الثاني:

أتمثّله متقلّبًا في الطاهرين والطاهرات، ارتضع أفاويق الإصلاح صبيًا، وزُرَّتْ غلائلُه عليه يافعًا، فنبتَت في حجره، ونبتت قوادِمُه في وكره، ورفرفت أجنحته في جوّه، لم يمسَسْه زيغ العقيدة، ولا غشيت عقله سُحُب الخرافات، بل وجد المنهج واضحًا فمشى على سوائه، والأعلام منصوبة فسار على هداها، واللواء معقودًا، فأوى إلى ظله، والطريق معبّدًا فخطا آمنًا من العثار، فما بلغ مبلغَ الرجال إلا وهو صحيحُ العقد في الدين، متينُ الاتصال بالله، مملوءُ القلب بالخوف منه، خاوي الجوامح من الخوف من المخلوق، قويّ الإيمان بالحياة، صحيح النظر في حقائقها، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها، ذلق اللسان في المطالبة بها، ناهض الحجّة في الخصومة لأجلها، يأبى أن يكون حظّه منها الأخسّ الأوكس، أمن بعقله وفكره أن يضلّل في الحياة كما أمن بهما أن يضلّل في الدين.

"وفي الحياة كما في الدين تضليل".

يا شباب الجزائر!

ما قيمة الشباب؟ وإن رقَّت أنداؤه، وتجاوبت أصداؤه، وقُضِيَتْ أوطارُه وغلا من بين أطوار العمر مقدارُه، وتناغت على أفنان الأيام والليالي أطيارُه، وتنفَّست عن مثل روح الربيع أزهاره، وطابت بين انتهاب اللذات واقتطاف المسرّات أصائله وأسحاره.

بل ما قيمة الكهولة؟ وإن استمسك بنيانها، واعتدل ميزانها، وفُرَّت عن التجربة والمراس أسنانها، ووُضعت على قواعد الحكمة والأناة أركانها.

بل ما قيمة المشيب؟ وإن جلّله الوقار بمُلاءته، وطوار الاختبار في عباءته، وامتلأتْ من حكمة الدهور وغرائب العصور حقائبه، ووُصلت بخيوط الشمس، لا بفتائل البُرْسِ جماته وذوائبه.

مـا قيمـة ذلـك كلـه؟ إذا لم تنفـق دقائقـه في تحصـيل علـم، ونصـر حقيقـة، ونشـر لغـة، ونفع أمة، وخدمة وطن.

يا شباب الجزائر، هكذا كونوا ... أو لا تكونوا ...

المقاطع الصوتية	تحليلها صوتيا	أنواع المقاطع الصوتية
بَأْسَ	بَأْ: صامت + صائت طويل + صامت سَ: صامت + صائت قصير	مقطع طويل مغلق بصامت مقطع قصير مفتوح
مُقْبِلاً	مُقْ: صامت + صائت قصير + صامت بِ: صامت + صائت قصير لاً: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعين متوسطين مفتوحين مقطع قصير مفتوح
ذَكَاْءُ	ذَ: صامت + صائت قصير كَاْ: صامت + صائت طويل + صامت ءُ: صامت + صائت قصير	مقطعين قصيرين مفتوحين مقطع طويل مغلق بصامت
تَكَادُ	تَ: صامت + صائت قصير كَادْ: صامت + صائت طويل + صامت دُ: صامت + صائت قصير	مقطعين قصيرين مفتوحين مقطع طويل مغلق
قِيْمَةُ	قِيْ: صامت + صائت قصير + صامت مَ: صامت + صائت قصير ةُ: صامت + صائت قصير	مقطعين قصيرين مفتوحين + مقطع قصير مغلق
صَخَابُ	صَخَ: صامت + صائت قصير + صامت خَاْ: صامت + صائت طويل بُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع متوسط مفتوح مقطع قصير مفتوح
مَبْلَغُ	مَبْ: صامت + صائت قصير + صامت لَ: صامت + صائت قصير غُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
أَمْنَ	أَ: صامت + صائت قصير + صامت مْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح

	نُ: صامت + صائت قصير	
لا، من، لم، عن، في	خمس صوامت + خمس صوائت قصيرة	خمس مقاطع قصيرة مغلقة
غَيَّابِ	غَيَ: صامت + صائت قصير + صامت يَا: صامت + صائت طويل بِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع متوسط مفتوح مقطع قصير مفتوح
نفع، نشر، وجد، بلغ، قصر	خمس صوائت + خمس صوائت قصيرة	خمس مقاطع قصيرة مفتوحة
تُنْفِقُ	تُنْ: صامت + صائت قصير + صامت فِ: صامت + صائت قصير قُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
شَبَابَ	شَ: صامت + صائت قصير + صامت بَا: صامت + صائت طويل بَ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع طويل مغلق مقطع قصير مفتوح
اِرْتَضَعَ	اِرْ: صامت + صائت قصير + صامت (تَ، ضَ، عَ): 3 صوامت + 3 صوائت قصيرة	مقطع متوسط مغلق 3 مقاطع قصيرة مفتوحة
عَقْلِهِ	عَقْ: صامت + صائت قصير + صامت لِ: صامت + صائت قصير هِ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين مفتوحين
مَقْصُورُ	مَقْ: صامت + صائت قصير + صامت صُوْ: صامت + صائت طويل رُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق مقطع متوسط مفتوح مقطع قصير مفتوح
يَغَارُ	يَ: صامت + صائت قصير + صامت غَا: صامت + صائت طويل رُ: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مفتوح مقطع طويل مغلق بصامت مقطع قصير مفتوح
أَنْ	أَ: صامت + صائت قصير نْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح مقطع قصير مغلق
أَوْ	أَ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مفتوح

	وْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مغلق
فَيَّاْضاً	فَيَ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع متوسط مغلق
	يَاْ: صامت + صائت طويل	مقطع طويل مغلق
	ضاً: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع قصير مغلق
شَرْ	شَ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع متوسط مفتوح
	رْ: صامت + صائت قصير	مقطع قصير مغلق
أَلْبَسَ	أَلْ: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع متوسط مغلق
	بَ، سَ: صامتين + صائتين قصيرين	مقطعين قصيرين مفتوحين

المجموع	مقطع قصير مفتوح	مقطع طويل مفتوح	مقطع متوسط مغلق	مقطع قصير مغلق	مقطع طويل مغلق	مقطع مديد بصامتين	مقطع متوسط مفتوح
	23	00	10	09	03	00	04

انطلاقا من العينات المنتقات والمدروسة في الجزئية الثانية من خطابة البشير الإبراهيمي الموسومة بـ "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" واستنادا على الإحصائيات المكورة أعلاه في الجدول السابق يمكن القول إن البشير الإبراهيمي نوع في توظيف المقاطع الصوتية، غير أنه ارتكز أو اعتمد على توظيف المقاطع الصوتية القصيرى المفتوحة التي وصل تعدادها إلى 23 مرة على غرار بقية المقاطع الأخرى، وهذا إن دل إنما يدل على الغاية والهدف الذي يريد البشير الإبراهيمي أن يبلغه ويبلغه ويوصله في عمليته التواصلية وبالتحديد إلى الشباب الجزائري ومدى إسهامه في التأثر بالكلمات النابعة من شخصية مؤثرة ومتأثرة بالوضع الذي آل إليه الشباب الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية وهذا لا يمنع من وجود ذلك التذوق اللغوي انطلاقا من تمكنه من ناصية اللغة العربية وهذا ما نلمسه في جل كتابات البشير الإبراهيمي وليس فقط في الخطابة، كما يحتل المقطع المتوسط المغلق الرتبة الثانية بـ 10 مقاطع وكذا حضوره وتوظيفه 10 مرات باعتباره الأنسب في نظر

البشير الإبراهيمي، بينما المرتبة الثالثة كانت للمقطع القصير المغلق وقد استعمله البشير الإبراهيمي 09 مرات.

ومنه نستخلص أنه اعتمد بكثرة على الأوزان القصيرة المفتوحة المقفلة والمتوسطة، بينما المقاطع الطويلة كانت أقل حضورا واحتشاما وتوظيفا، وعليه يمكن القول أن البشير الإبراهيمي وظف المقاطع الصوتية على تنوعها لكي يخلق ذلك الانسجام والتوازن الإيقاعي الموسيقي الذي تبناه واختاره من بين المقاطع القصيرة وتنوعها بين المغلقة والمفتوحة والمتوسطة، وهناك دلالة أخرى صوتية لابد الإشارة إليها والوقوف عليها أن كثرة المقاطع القصيرة تدل على كثرة توظيف البشير الإبراهيمي الجمل القصيرة البسيطة مقارنة بالجمل الطويلة المركبة، وهذا ما سنتعرض إليه في المستوى التركيبي.

❖ **دراسة التشكلات الصوتية من خلال توظيف الحروف الأكثر توظيفا واستعمالا في الجزئية الثالثة من خطبة البشير الإبراهيمي الموسومة بـ "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر".**

أتمثله كالغصن المروح، مطلولا بأنداء العروبة، مخضوضر اللحا والورق مما امتص منها، أخضر الجلدة والآثار مما رشح له من أنسابها و أحسابها، كأنما أنبتته رمال الجزيرة، ولوحته شمسها، وسقاه سلسالها العذب، وغذاه نبتها الزكي، فيه مشابه من عدنان تقول إنه من سر هاشم أو سرة مخزوم، ومخايل من قحطان تقول كأنه ذو سكن، في السكن، أو ذو رضاعة، في قضاعة متقلبا في المنجبين والمنجبات، كأنما ولدته خندق، أو نهضت عنه أم الكملة، أو حضنته أخت بني سهم، أو حنكته تُماضرالخنساء لعوبا بأطراف الكلام المشقق، كأنما ولد في مكة، واسترضع في إياد، وربا في مسلنطح البطاح.

أتمثله مجتمع الأشد على طراوة العود، بعيد المستمر على ميعة الشباب، يحمل ما من خير لأنّ يد الإسلام طبعته على الخير، ولا يحمل ما حمل من شر لأن طبيعة الإسلام تأبى عليه الشر- فتح عينيه على نور الدين، فإذا الدنيا كلها في عينيه نيرة مشرقة، وفتح عقله على حقائق الدين، فإذا الدين والكون دال ومدلول عليه، وإذا هو يفتح بدلالة ذاك مغالق هذا، و فتح فكره على عظمة الكون فاهتدى بها إلى عظمة المكون، فإذا كل شيء في الكون جليل، لأنه من أثر يد الله، وإذا كل شيء فيه قليل، لأنه خاضع لجلال الله، ومن هذه النقطة يبدأ سمو النفوس السامية وتعاليها، وتهيؤها للسعادة في الكون، والسيادة على الكون.

أتمثله مجتلى للخلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة في سلاستها وسلامتها، كأنما هو منحدر لانصبابها وقرارة لانسكابها، وكأنما خيط على وفاء السموأل وحاجب، وأشرج على إيثار كعب وحاتم، وختم على حفاظ جساس والحارث، وأغلق على عزة عوف وعروة.

أتمثله مترقرق البشر إذا حدث، متهلل الأسرة إذا حدث، مقصور اللسان عن اللغو، قصير الخطا عن المحارم، حتى إذا امتدت الأيدي إلى وطنه بالتخون، واستطاعت الألسنة على دينه بالزراية والتنقص، وتهافتت الأفهام على تاريخه بالقلب والتزوير، وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللص والتدمير، ثار وفار، وجاء بالبرق والرعد، والعاصفة والصاعقة، وملأ الدنيا فعالا، وكان منه ما يكون من الليث إذا ديس عرينه، أو وسم بالهون عرنينه.

أتمثله شديد الغيرة، حديد الطيرة، يغار لبنت جنسه أن تبور، وهو يملك القدرة على إحصانها، ويغار لماء شبابها أن يغور، وهو يستطيع جعله فياضا بالقوة دافقا بالحياة: ويغار على هواه وعواطفه أن تستأثر بها السلع الجليبة، والسحن السليبة، و يغار لعينيه أن تسترقها الوجوه المطرأة، والأجسام المعراة.

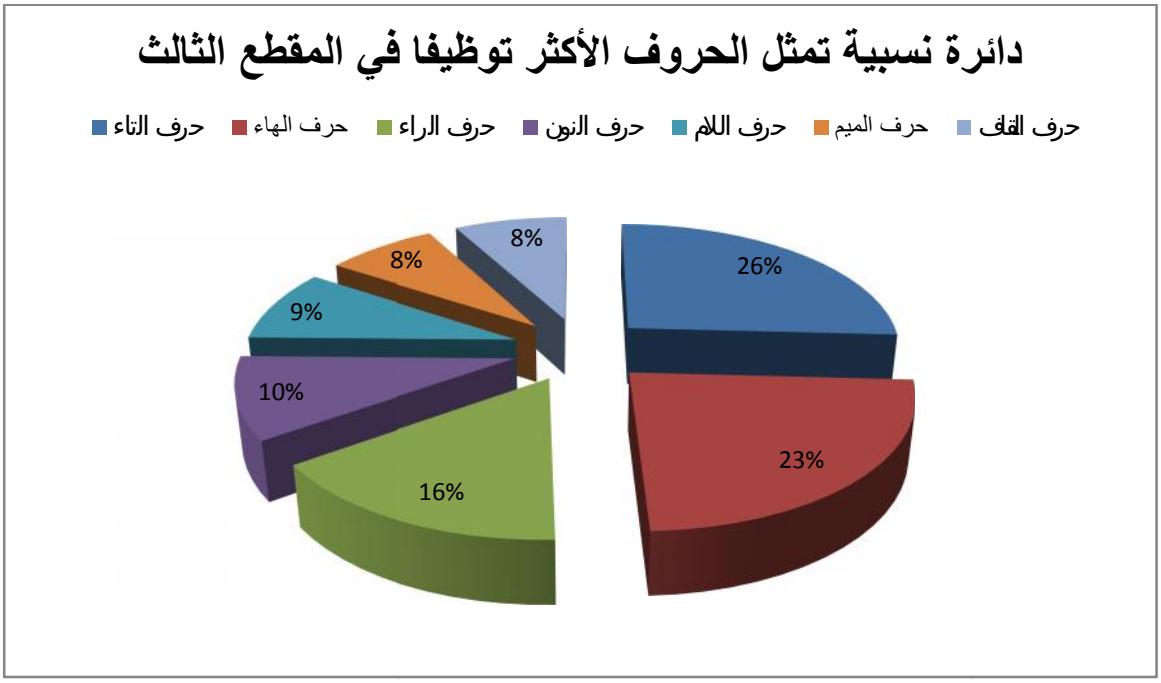
يا شباب الجزائر هكذا كونوا! ... أو لا تكونوا!

جدول يوضح التشكيلات الصوتية للحروف الأكثر توظيفا في المقطع الثالث:

حرف الهاء	حرف التاء	حرف الراء	حرف اللام	حرف النون	حرف الميم	حرف القاف
أتمثله	نهضت	مخضوضر	كلُّ	سكن	هاشم	يشقق
أنسابها	أخت	الآثار	السموأل	إنَّ	مخزوم	حقائق
أحسابها	المناجاة	أخضر	دال	السكن	وسم	أغلق
منها	سترة	شر	مدلول	قحطان	فهم	مغاليق
لوحته	طبيعته	يماظر	حمل	الكون	حاتم	واقع
شمسها	الجلدة	سر	يحمل	المكون	ختم	مترقرق
سقاه	مكة	نوره	قليل	الدين	الأفهام	تتسابق
سلاسلها	بدلالة	ثار	متهلهل	السكون	قسم	الورق
نبتتها	مشرقة	المستمر	للخلال	يكون	الكلام	الفرق
متشابه	نيرة	ثمار	مخاييل	كان	الأجسام	قبلها
هاشم	عظمة	منحدر	تقول	الهون	مما	القوة
أنه	للسعادة	ثار	رمال	السجن	المحارم	دافقا
كأنه	السيادة	التدمير	فعالا	لأن	كأنما	مشرقة
نهضت	السامية	التزوير	إلى	ابن	محارم	بالقلب
طبعته	العربية	يغار	مطولا	من	الكلمة	بالبرق
كلها	الفطرة	يغور	على	اللسان	تدمير	قحطان
هذا	قرارة	تبور		الغصن		
هو	غرة	الجزائر		المنجبين		
فاهتدى	عروته	تستأثر				
بها	الأسرة	مقصور				
الله	الألسنة	بواكير				
تعاليها	العاصفة	خير				
تهيئها	استطالت	الخير				
لأنصابها	امتدت	أثر				
لانسكابها	الغيرة	البشر				
متهلهل	الطيرة					
دينه	القدرة					

تهافت	الحياة					
الأفهام	البنت					
عرنينه	القوة					
بالهون	السليمة					
جنسه	المطراة					
إحصائها	الوطنية					
شبابها	الخطوات					
جعله	أتمثله					
لعينيه	الرضاعة					
هواه	كلمة					
عواطفه	الفضاعة					
تسترقهما	الجزيرة					
الوجوه	نيرة					
هكذا	مشرقة					
له	النقطة					
منه	السامية					
فكره	امتدت					
غذاه	الألسنة					
	العاصفة					
	الصاعقة					
	لبنت					
	بالحياة					
	بالقوة					
	سلبية					
	الجليبة					

	حرف الهاء	حرف التاء	حرف الراء	حرف اللام	حرف النون	حرف الميم	حرف القاف
المجموع	42 كلمة انتهت بحرف الهاء	46 كلمة انتهت بحرف التاء	28 كلمة انتهت بحرف الراء	16 كلمة انتهت بحرف اللام	18 كلمة انتهت بحرف النون	14 كلمة انتهت بحرف الميم	14 كلمة انتهت بحرف القاف



جدول يوضح التشكيلات الصوتية للحروف الأقل استعمالا في المقطع الثاني:

حرف الباء	حرف الكاف	حرف العين	حرف الصاد والظاء	حرف الثاء	حرف الحاء والجيم	حرف الواو	حرف الفاء	حرف الذال والدال	حرف السين
شباب الشباب لعوبا القلب متقلبا كعب خاصبا عياب مغتاب سباب الباطل	يملك	السلع يستطيع استرضع خاضع	التنقص اللص حفاظ	الليث حثث الحارث	يفتح البلطح فتح أشرج مسلنطح رشح	هو الواو كونوا سمو اللغو أو	أطراف عوف	هكذا شديد ولد إياد العود بعيد جديد يد الأشد	دسيس جساس القوس

9 كلمات انتهت بحرف الباء	كلمة واحدة انتهت بحرف الكاف	4 كلمات انتهت بحرف العين	2 كلمة انتهت بحرف الصاد كلمة انتهت بحرف الظاء	3 كلمات انتهت بحرف الثاء	5 كلمات انتهت بحرف الحاء وكلمة واحدة انهت بحرف الجيم	5 كلمات انتهت بحرف الواو	2 كلمة انتهت بحرف الفاء	كلمة واحدة انتهت بحرف الذال أما حرف الدال كانت في 8 مواضع	3 كلمات انتهت بحرف السين

من خلال الجدول الأول والمتمثل في التشكيلات الصوتية للحروف الأكثر توظيفا واستعمالا واستنادا على خطبة البشير الإبراهيمي قمنا بعملية استقرائية إحصائية تحليلية، حصرنا فيها الحروف الأكثر توظيفا في كتابات البشير الإبراهيمي من خلال جريدة البصائر وبالتحديد الخطابة الموجهة للشباب، فكانت هذه الكلمات أو الألفاظ محصورة بين أسماء وأفعال وحروف غير أنها ساهمت في انسجام واتساق النص من خلال حركاتها ونهايتها فكانت متناغمة أحدثت جرسا موسيقيا.

فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر حرف الهاء الأكثر حضورا والمتمثل في 42 كلمة فوجدنا منها: لانكسابها، لانسبابها، سلامتها، سلالالتها، أنسابها، أحضانها، حنكته، عواطفه، تاريخه، عرينه، لوحته ...

بينما حرف التاء فقد أخذ الصدارة وذلك بانحصارها في 46 كلمة فشكلت نبرات صوتية ذات إيقاعات موسيقية رنانة نذكر على سبيل المثال: الغيرة، الطيرة، المطراة، المعراة، الرضاعة، القضاعة ...

والحرف الذي احتل المرتبة الثالثة من حيث التوظيف والاستعمال هو حرف الراء انحصر حضوره في 28 موضعا نذكر منه: التدمير، فار، ثار، التدوير، شره، سره.

أما حرف الميم احتل المرتبة السادسة وانحصر حضوره في 14 حرفا نذكر منها: هاشم، حاتم، المحارم، مجزوم، مخزوم.

أما حرف القاف انحصر حضوره في 10 مواطن نذكر منها: البرق، الورق، الحقائق، مغاليق.

فإذا رجعنا إلى الحروف الأقل توظيفا واستمالا فتمثلت في: حرف الحاء فقد انحصر حضوره في 5 مواضع ومثال ذلك: رشح، البلطح، يفتح، فتح، مسلنطح.

أما حرف العين فقد كان حضوره محتشما وأقل توظيفا واستعمالا نذكر منه: ساع، يستطيع، استرضع خاضع.

أما حرف السين انحصر في 3 مواضع تمثلت في: دسيس، جساس، قوس.

أما حرف الباء فهو الآخر انحصر حضوره في 9 مواضع تمثلت في: شباب، الشباب، لعوبا، القلب، متقلبا،كعب، خاصبا، عياب، مغتاب، سباب، الباطل.

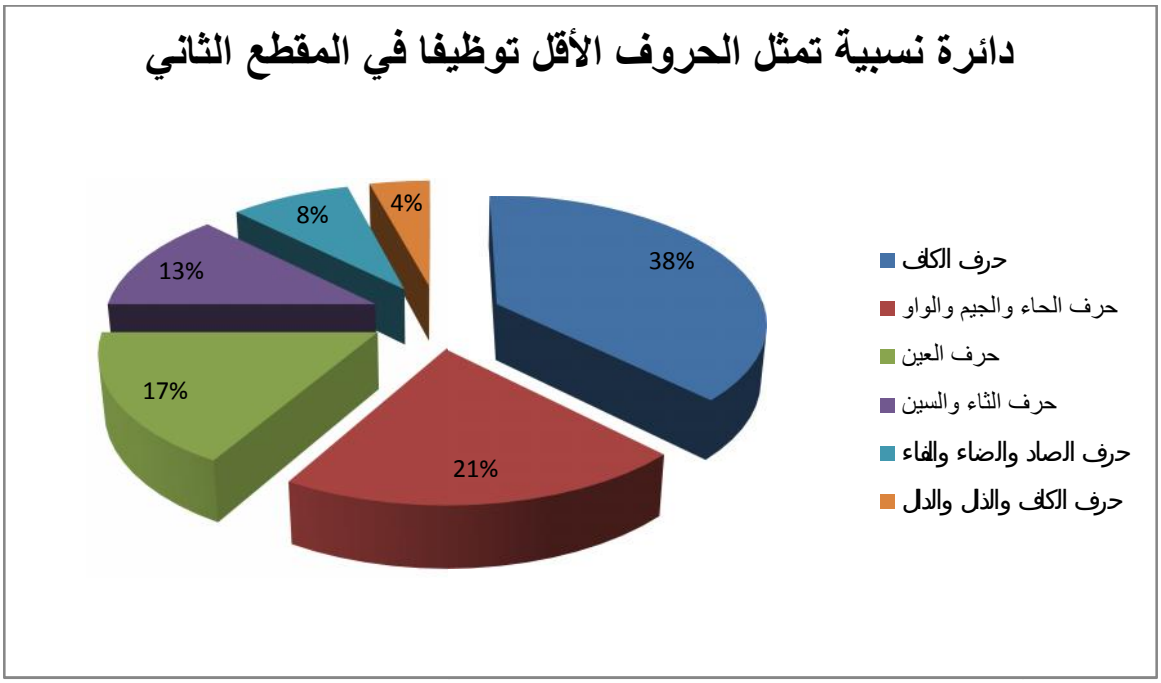
أما الحروف الأقل حضورا والتي كان تموقعها بين الموضع والموضعين نذكرهم على التوالي:

1- حرف الفاء انحصر في موضعين هما: أطراف، عوف.
2- حرف الصاد انحصر في موضعين تمثل في: التنقص، اللص.
3- حرف الكاف انحصر في موضع واحد تمثل في: يملك.
4- حرف الذال انحصر في موضع واحد تمثل في: هكذا.
5- حرف الظاء انحصر في موضع واحد فتمثل في: حفاظ.

نستنتج مما سبق وبناء على هذه الحروف يمكن القول إن الحروف الأكثر استعمالا انحصرت في 9 حروف وهي الهاء، التاء، الراء، اللام، الميم، والقاف، والدال، والباء، فهذه الحروف كان لها حضورا بين 46 كلمة و42 كلمة فكانت الألفاظ متجانسة ومتناسقة سواء من عدد الحروف أو تنوع واختلاف في الأوزان والمقاطع من حيث سكونها وحركتها أو مخارج أصواتها

أما الحروف الأقل توظيفا واستعمالا فقد انحصرت في 11 حرفا وهي على النحو التالي: العين، الكاف، الصاد ، الظاء، الجيم، الحاء، الواو، الفاف، التاء، الذال، السين، فتنوعت من حيث حضورها ما بين 5 مواضع إلى موضع واحد، وذلك راجع إلى توظيف

هـذه الحـروف مـن الناحيـة الصـوتية مثلهـا مثـل الحـروف السـابقة والـتي اسـتعملت ووظفـت بكثـرة من حيث اتساقها وانسجامها ونهايتها في حركتها وسكونها.



❖ **استثمار المقاطع الصوتية داخل السلالم الصوتية في المقطع الرابع من خطاب البشير الإبراهيمي الموجه للشباب الموسوم بـ "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر":**

لا يمكن الحديث عن المقاطع الصوتية دون اللجوء إلى السلالم الصوتية والتي هي عبارة عن مقابلة صوتية بين الجمل أو بين الوحدات الصوتية، كما تمثل مجموعة من الألفاظ المتناغمة فيما بينها والمختومة بنسيج لغوي واحد.

فالسلم الصوتي يمثل كذلك تشاكلا للأصوات من خلال حروفها وعددها وحتى الجرس الموسيقي الشعري وحركته وسكونه.

وبناء على هذا يمكن أن نوضح هذه المعاني المتمثلة في السلالم الصوتية من خلال الجزئية الرابعة أو المقطع الرابع المعنون بـ "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر"، وفي ذلك يقول البشير الإبراهيمي: " أتمثله حنيفا فيه بقايا جاهلية... يدَّخِرها لميقاتها، ويوزعها على أوقاتها، يرد بها جهلَ الجاهلين، في زمن تفتَّقَت علومه عن جاهلية ثانية شرّ من الجاهلية الأولى، وتمخَّضَت عقول أبنائه بوحشية مقتبسة من الغرائز الدنيا للوحش اقتباسا علميا ألبس الإنسان غير لبوسه، ونقله من قيادة الحيوان إلى الانقياد للحيوانية، وأسفرت مدنِيَّتُه عن جفاف في العقول وانتكاس في الأذواق، وقوانينُه عن نصر للرذيلة وانتهاك للحرمات، وانتهت الحال ببنيه إلى وثنية جديدة في المال وعبادة غالية للمال، واستعباد لئيم بالمال.

أتمثلُه معتدلَ المزاج الخُلُقي بين الميوعة والجمود، وبين النسك والفتك، تتَّسِع نفسه للعقيق، وعمر وابن أبي عتيق، فيصبو ولا يكبو، كما تتسع للحرم وناسكيه فيصفو ولا يهفو، وتهزُّه مفاخرات الفرزدق في المربد، كما تهزُّه مواعظ الحسن في المعبد.

أتمثَّلُه كالدينار يروق منظراً، وكالسيف يروع مخبراً، وكالرمح أمدحُ ما يوصف به أن يقال ذابل؛ ولكن ذاك ذبول الاهتزاز وهذا ذبول الاعتزاز، وكالماء يمرؤ فيكون هناءً يُروي، ويزعق فيكون عناء يُردي، وكالراية بين الجيشين تتساقط حولها المهج وهي قائمة.

أتمثَّلُه عفّ السرائر، عفّ الظواهر، لو عرضت له الرذيلة في الماء ما شربه، وآثر الموت ظمأ على أن يرد أكدارها؛ ولو عرضت له في الهواء ما استنشقه، وآثر الموت اختناقا على أن يتنَسَّم أقذارَها.

أتمثَّلُه جديدا على الدنيا، يرى من شرطها عليه أن يزيد فيها شيئا جديدا، مستفادا فيها، يرى من الوفاء لها أن يكون ذلك الجديد مفيدا.

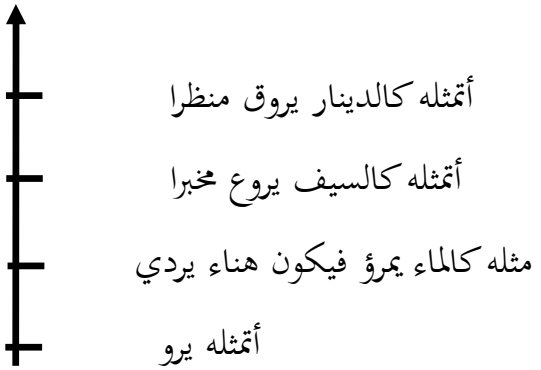
أتمثَّلُه مُقَدِّمًا لدينه قبل وطنه، ولوطنه قبل شخصه؛ يرى الدين جوهرا، والوطن صدفًا، وهو غواص عليهما، يصطادهما معا، ولكنه يعرف الفرق بين القيمتين، فإنْ أخطأ في التقدير خسر مرَّتين.

أتمثَّلُه واسعَ الآمال إلى حدِّ الخيال، ولكنه يزجيها بالأعمال إلى حدِّ الكمال، فإنْ شُغِف بحب وطنه شغَفَ المشرِك بحب وثنه، عذرَهُ الناس في التخيُّل لإذْكاء الحب، ولم يعذر فيه لتغطية الحقيقة.
أتمثَّلُه مصاولا لخصومه بالحجاج والإقناع، لا باللجاج والاقذاع، مرهبا لأعدائه بالأعمال لا بالأقوال.
أتمثَّلُه بانيا للوطنية على خمس، كما بُني الدين قبلها على خمس: السباب آفة الشباب، واليأس مفسد للبأس، والآمال لا تُدرك بغير الأعمال، والخيال أوَّله لذة وآخرُه خبال، والأوطان لا تُخدم باتباع خطوات الشيطان.

يا شباب الجزائر، هكذا كونوا ... أو لا تكونوا"

انطلاقا من هذه الجزئية يمكن توضيح هذه السلالم الصوتية على النحو التالي:

سلم حجاجي بلاغي صوتي يوضح توظيف البشير الإبراهيمي

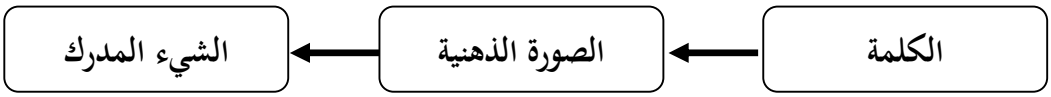


المبحث الثاني: ماهية الدلالة وأنواعها وحقولها.

إن الاتصال اللغوي هو ذلك التبادل الرسائل والمعلومات في إطار كلامي بين المتحدثين والمتكلمين بلغة واحدة. ولكن هذا الاتصال لا يقتصر على النظام اللغوي كأداة للتواصل والاتصال في المجتمع، ومع ذلك فإن اللغة أكثر انتظاما وإشارة للدلالة، وأكثرها تركيبا وتعقيدا وهذا لما تحمله من خصائص بلاغية خاصة بها تنفرد بها عن غيرها ومميزة لها، تنم عن طاقات التعبير اللغوي المتبوع والمختلف، والتي تفوق وتحدد العملية الآلية لنقل لمعلومات بواسطة التخاطب لأنها لا تنفك عن الملفوظ وما يحيط به، من ظروف نفسية واجتماعية والتي يتفاوت فيها المتكلم والسامع والمتلقي تعبيرا وتفسيرا.

ومن المعلوم أن اللغة قوامها الكلمات فما من لغة من اللغات إلا وتشتمل على رصيد منها، متفاوت من حيث القلة والكثرة، وما دامت الكلمة هي عماد اللغة وقوامها ولها وظيفتها ودلالتها المعنوية وعلاقتها بين اللفظ وصورته في الذهن، إذ هناك فكرة تتكون وتنشأ في الذهن انطلاقا من الكلام فيظهر ذلك التقارب بين الفكرة والملفوظ، وهذا العلم هو أحد أحدث اللغة نشأة إذا يتصدر في مقدمة علوم اللسان الحديثة، لأنه يهتم بالعلامة أو الدال، وهي ماهية ذهنية تحيل على معنى آخر، والحقيقة أن الكلمات حين وضعت للدلالة على معنى الأصلي إلا وكان للواقع اللغوي حضورا، إذ ليس للكلمات معنى إنما استعمالاتها وتوظيفاتها وهنا يظهر المعنى الحقيقي لها وأثره وكيف تم توظيفه إما ضروريا أو اعتباطيا، فهناك بعض الألفاظ تطلق على معنيين أو أكثر.

فإذا دلت الكلمات على معاني أخرى غير المعنى الأصلي فتلك المعاني مستنبطة من السياق، إذا يعد هذا الأخير هو الذي يدلنا على المقصود من الكلمة، ومنه نخلص أن الكلمة لا تذكر أمامنا حتى ندركها من السياق التي جاءت فيه فيحيلنا إلى معناها الأصلي إلى معنى آخر، وعندئذ تحضر في أنفسنا صورة نفسية، هي التي تكونت من ذي قبل عن الشيء المدرك بالحواس أو الإدراك (التصور العقلي).



مما سبق الإشارة إليه يمكننا أن نقول أن الكلمات الموظفة والمستعملة تحوي على قيم ومفاهيم أخرى مشحونة بها متعلقة ومرتبطة بالمعنى الأصلي، وتفصح عن نوايا المتكلم ومقصده.

إن دراسة المعنى والدلالة – يعد من أهم مظاهر اللغة- رغم تجدره التاريخي فقد اكتسب وزنا وأهمية في الآونة الأخيرة نظرا للتطور الذي شهده الدرس اللغوي، وتأثير النظريات التي ظهرت على أيدي علماء اللغة في العصر الحديث.

وانطلاقا مما سبق يمكننا طرح عدة تساؤلات في مستهلها ما هو الإطار المفاهيمي للدلالة؟ وما العلاقة الرابطة بين المعنى ودلالته؟ وما هي عناصر الدلالة؟ وما هي أنواع الدلالة؟ وما أهم المدارس التي طرقت إلى نظرية المعنى؟ وما الحقول الدلالية الدارجة؟

سنعرض لكل هذه التساؤلات باختصار من خلال المبحث المخصص للدلالة بين التعريف والحقول الدلالية.

المطلب الأول: ماهية الدلالة لغة واصطلاحا.

أ- تعريف الدلالة في اللغة:

الدلالة في اللغة تنحدر من جذر "دلل" وله أصلان كما ذكر ابن فارس: "أحدهما إبانة الشيء بأمارة تعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، كأن تقول دللت فلانا على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء وهو بين الدلالة والدلالة. والأصل الآخر قولهم: تدلل الشيء إذا اضطرب".[1]

[1]– أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1999، مج 2، ص259.

ومن الشواهد على معنى الإرشاد والهداية والإبانة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [1].

رسم ابن منظور الإطار المعجم للفظ دل محددا المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة الإرشاد أو العلم بالطريق الذي يدل على الناس ويهديهم وهذا التصور لا يختلف عن التصور الحديث من ما يدل أن مصطلح العلمي للدلالة يستوحي معناه من الصورة المعجمية التي تحددها أساليب الخطاب القديم فيقول: "الدليل ما يستدل به الدليل، والدليل الدال. وقد دله على الطريق بدلالة (بفتح الدال أو كسرها). والفتح أعلى وأنشد أبو عبيد يقول: إني امرؤ سيبويه – وعلي رضي الله عنه– وقد تضمن قوله لفظ دل، يقول سيبويه: ودليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها، وفي حديث علي رضي الله عنه وأرضاه في صفة الصحابة يخرجون من عنده أدلة وهو جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون الناس عليه: يعني "يخرجون من عندهم فقها، فجعلهم أنفسهم أدلة"".[2]

وإلى المعنى ذاته يشير فيروز أبادي محددا الوضع اللغوي من لفظ (دل) فيقول: "... والدلالة ما تدل به على حميمك، ودلت عليه دلالة ودلوله فإن دل: سدده إليه، وقد دلت تدل والدال كالهذي".[3]

ومنه يؤكد صاحب القاموس المحيط ما جنح إليه ابن منظور من أن الأصل اللغوي للفظ دل يعني الهدي وسدد وأرشد. ويترتب على هذا التصور الدلالي والمعجمي توفر عناصر الهدي والإرشاد والتسديد أي توفر المرشد والمرشد إليه ووسيلة الإرشاد، وحين يتحقق الإرشاد تتحصل الدلالة، وفي المفهوم المعاصر يتعين حضور آليات والمستقبل ووسيلة الإبلاغ والتواصل وشروطها، ثم المرجع المفهومي الذي تحيل عليه الرسالة الإبلاغية.

---

[1]– سورة الصف الآية 10.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، تعليق علي البشيري، دار إحياء التراث العربي، 1988، القاهرة، ط1، ص 394-395.

[3]–الفيروز الأبادي، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، (د،ط)، ج3، ص277.

أما الزبيدي في معجمه فيشرح لفظ (دل) لغويا: فيقول: "... وامرأة ذات دل أي شكل التي تدل به".[1]

وينقل عن الأزهري في كتابه التهذيب قوله: "دللت بهذا الطريق دلالة عرفته ودللت به أدل دلالة ثم إن المراد بالتسديد إرادة الطريق، دل عليه يدله دلالة فتدل على الطريق (سدده إليه)".[2]

ومما يستدرك عليه الدليل ما يستدل به، وأيضا الدال وقيل هو المرشد وما به الإرشاد، جمع أدلة وأدلاء وأجمعت قواميس اللغة على أن الدلالة، تعني الهدي والإرشاد فدله على الشيء وعليه أرشده وهداه.

ب- تعريف الدلالة في الاصطلاح:

توسعت دائرة الدلالة كمصطلح ومفهوم بين القدامى والمحدثين منهم ما له علاقة بالفقه والمنطق ومنه ما له علاقة باللغة وانطلاقا من هذا نتعرف إلى المفاهيم الإصلاحية بداية من العرب.

اهتم الفرابي اهتماما بالغا بالألفاظ فصنفها إلى تصنيفات عدة، فوضع وأسس لها علما سماه "علم الألفاظ" الذي اعتبره فرعا من فروع علم اللسان حيث قسم هذا الأخير إلى سبعة أقسام: وهي علم الألفاظ المفردة وقوانين الألفاظ لم تركب وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر.[3]

ومن جهة أخرى لم نرى الفرابي يفصل الألفاظ عن التصورات فيقول: "الألفاظ دلالة منها مفردة تدل على معاني مفردة ومنها مركبة تدل على معاني ... والألفاظ الدالة

---

[1]—الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1968م، ط3، ج8، ص224-225.

[2]—الأزهري، التهذيب.

[3]— الفرابي، إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949، ط2، ص159.

على المعاني المفردة ثلاثة أجناس اسم وكلمة [فعل- وأداة (حرف) وهذه الأجناس الثلاثة تشترك كل واحد منها دال على مفرد".[1]

تعريف ابن خلدون للدلالة: لا نكاد نعثر لابن خلدون عن تعريف بين وواضح للدلالة، وإنما باستقراء وتتبع النصوص الواردة في المقدمة في الدلالة قد تجاوزت – بلا شك- الماهية إلى البحث العميق عن جوهر الدلالة وطرق تأديتها، واضحة من غير لبس، يقول شارحا وموضحا لذلك: "واعلم بأن الخط البان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عن ما في النفس والضمير من معاني، فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة".[2]

وبين ابن خلدون هذه القضية التي تتعلق بأصناف الدوال بقوله: "إن في الكتابة انتقال من [الصور. الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس فهو يتنقل بدء من الدليل إلى دليل ما ملتمسا بالكتابة فيكون للنفس تعودا على ذلك فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات".[3]

الدلالة عند الجرجاني: يعرف الجرجاني من منطلق الثقافة الأصولية فيقول: "الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية الدلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول عبارة النص واقتضاء النص وإشارة النص".[4]

وعلى أساس هذا التعريف للدلالة فقد قسمها الجرجاني إلى قسمين اثنين:

أ- الدلالة اللفظية: إذا كان الشيء الدال لفظا.

ب- الدلالة غير اللفظية: أي تحديد لنوع العلاقة بين الدال والمدلول وطبيعتها، يحصي الجرجاني الدالة في ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاثة دلالات، دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة

---

[1]- الفرابي، العبارة، كتاب في المنطق، تحقيق محمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1949، د ط، ص80.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، دون تحقيق، د ط، الدار التونسية للنشر، أبريل 1984، ج2، ص509.

[3]- المصدر نفسه، ص518.

[4]- الجرجاني، التعريفات، دون تحقيق، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، د ط، ص215.

الاقتضاء، فيقصد بالأولى: "وهي تعني جملة القيم الثقافية والاجتماعية وغيرها التي تصحب عملية التواصل ... وهي ما يؤخذ من دلالة إشارة اللفظ من اللفظ ونعني به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصده المتكلم فقد يفهم بإشارته وحركته أثناء الكلام ما لا يدل عليه نفس اللفظ فيسمى إشارة فكذلك يتبع اللفظ ما لا يقصد به (...) وهذا ما يسمى إيماء وإشارة".[1]

وأما دلالة الاقتضاء فيعرفها الغزالي: "بأنها هي التي لا يدل عليها اللفظ ولا يكون منطوقا بها ولكن تكون ضرورة اللفظ" [2]، أما دلالة العبارة أو النص عند الجرجاني فيعرفها بقوله: "المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص وهو الذي قصده الشارع من وضع النص، لأن المشرع حين يضع النص يختار له من الألفاظ والعبارات ما يدل دلالة واضحة على مقصده وغرضه ثم يصوغه بعد ذلك بحيث يتبادر للذهن المعنى المقصود من النص بمجرد الاضطلاع عليه".[3]

إن هذا الفهم العميق للدلالة ينم عن مدة النضج الفكري والمعرفي الذي أبان عن باع العرب وأسبقيته في فهم علم الدلال قبل الغرب حتى زمن الصحابة رضوان الله عليهم الذين مارسوا علم الدلالة انطلاقا من تفسير آيات الذكر الحكيم ليتجاوز العرب مصطلح الدلالة إلى إشارته إلى علم السيمياء وهذا ما نلمسه من خلال قول عبد المالك مرتاض: "وكذلك ابتدأت السيميائية بطبيعة فلسفية، ثم لغوية إلى أدبية مع احتفاظها بوضعها اللساني".[4]

وهذا ما يؤكد ما أجمع عليه الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات ثم تطورت إلى الدلالات المجردة بتطور الفكر والعقلي الإنساني ورقيه، فكلما تطور العقل

---

[1]– الغزالي، المستصفى في علوم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1943م، ط1، ج2، ص188.

[2]– المصدر نفسه، ص187.

[3]– عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م، ج1، ص186-187 بتصرف.

[4]– عبد المالك مرتاض، السمة والسيميائية، مجلة الحداثة، ع2، يونيو 1993، ص18.

الإنساني وراق بفكره كلما استطاع أن تتسع آفاقه البعيدة كأن يستنبط الدلالات المجردة ويولدها ويعتمد عليها في الاستعمال والتوظيف اللغوي.[1]

المطلب الثاني: الحقول الدلالية وأنواعها.

يعد مبحث الحقول الدلالية من المباحث التي لم تتبلور فيها نظرية دلالية جامعة رغم الجهود اللغوية لعلماء الألسنية والدلالة، والتي أنتجت رؤى مختلفة حول تصور الحقول الدلالية، فقد أشار ديسوسير في مجال حديثه عن اللسانيات الوصفية *Les rapport associatifs* أن الدليل اللساني بإمكانه أن يخضع إلى نوعين من العلاقات:

1- علاقة مبنية على معايير صورية: مثل كلمة (تعليم) توحي بكلمات أخرى مشتقة منها وتنتمي إلى نفس المجال الدلالي مثل: علم، تعلم.

2- علاقة مبنية على معايير دلالية: فكلمة (تعليم) توحي بكلمات أخرى مثل: تربية، تعلم، تكوين.[2]

وبذلك وضع سوسير الإطار العام الذي يمكن أن تدرس فيه الأدلة اللغوي، وذلك بالبحث في العلاقات التي تجمعها وتصنفها ضمن الحقول الدلالية، وبرزت بعد نظرية سوسير عدة نظريات رائدة في مجال استنباط العلاقات الأساسية بين الألفاظ الواضعة والخاضعة لمختلف المعايير، ومن ذلك:

أ- بناء حقول دلالية باعتبار العلاقات التراثية بين الأدلة اللغوية كنسبة الفرد إلى الجنس، خضوع الكل، خضوع الخاص للعام ومن أمثلة ذلك: رأس/جسم، جسم/يد، زيد/رجال.

ب- وضع حقول دلالية بناء على علاقات التقابل أو التضاد، مثال ذلك: نهار/ليل، موت/حياة.

---

[1]–ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، 1982، ط2، ص158.

[2]–Cours linguistique général c, de Saussure, p173-174.

ج- وضع الحقو الدلالية بناء على علاقة البدأ بالعاقبة، مثال ذلك: تعلم/معرفة، علاج/شفاء، سافر/وصول.

د- حقول دلالية باعتبار علاقة التدرج أو التعاقب مثال ذلك: عال/دافع، مائل للبرودة/بارد، بارد/قارس متجمد.[1]

هـ- وضع الحقول الدلالية بناء على علاقة الاشتمال: تختلف هذه العلاقة عن علاقة الترادف في أنه تتضمن من طرف واحد يكون: (أ) مشتملا على (ب) حيث يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي، مثل: "فرس" الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى "حيوان" وعلى هذا فمعنى فرس يتضمن معنى حيوان.[2]

و- وضع الحقول الدلالية بناء على علاقة الترادف: يتحقق الترادف حين يوجد تضمن من جانبين يكون (أ) و(ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب) و(ب) يتضمن (أ) كما في كلمة أم ووالدة.[3]

فالحقول الدلالية بناء على ذلك هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها.[4]

وانتهى علم الدلالة إلى تصنيف الحقول الدلالية باعتبار ما يتضمن الأدلة اللغوية، وما يبنى عليه في عالم الأعيان والأذهان، وهو لا يخرج عن جنسين من المدلولات: مدلولات محسوسة ومدلولات تجريدية، فالأولى تتفرع إلى قسمين قسم محسوسات متصلة وقسم محسوسات منفصلة وبناء على ذلك توصل أولمان إلى تقسيم الحقول الدلالية إلى أضرب ثلاثة هي:

1- الحقول المحسوسة المتصلة مثل التي تشمل على الألوان.

2- الحقول المحسوسة المنفصلة مثل التي تشمل على الأمر.

---

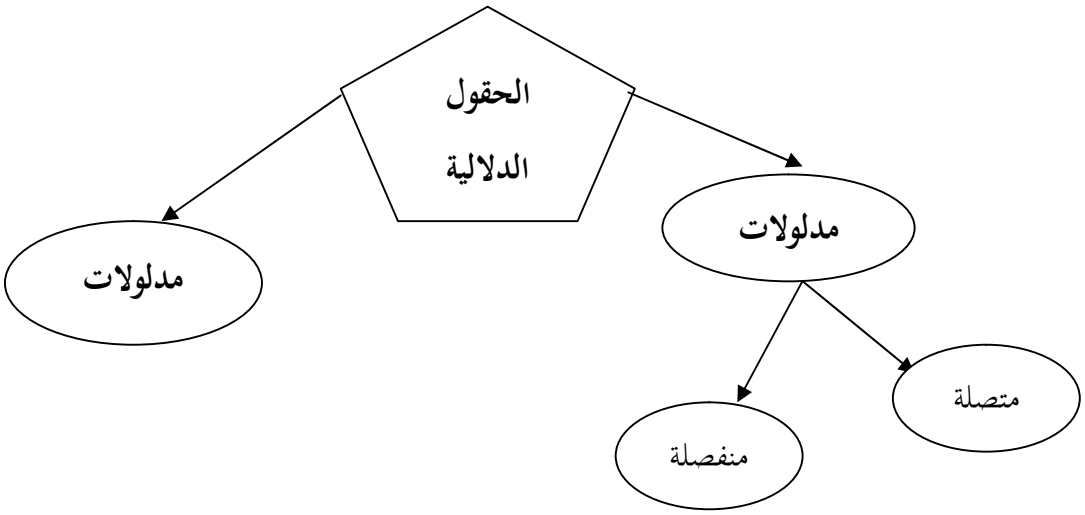
[1]- سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة ، ترجمة محمد تيجاتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص44.

[2]- أحد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص99.

[3]- المرجع نفسه، ص98.

[4]- المرجع نفسه، ص89.

3- الحقول التجريدية وهي التي تضم عالم الأفكار المجردة.



مخطط يوضح أقسام الحقول الدلالية عند أولمان

إن نظرية الحقول الدلالية قد 215همت بشكل بارز في إيجاد حلول للمشكلات اللغوية كانت تعتبر في زمن قريب مستعصية، وتتسم بالتعقيد ومن جملة تلك الحلول الكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي وتسمى هذه الفجوة الوظيفية أي عدم وجود كلمات مناسبة لشرح فكرة معينة أو التعبير عن شيء ما، كذلك إيجاد التقابلات وأوجه التشابه والاختلاف بين الأدلة اللغوية داخل الحقل الدلالي الواحد، وعلاقتها باللفظ أعم الذي يجمعها وبناء على ذلك يمكن إيجاد ذلك التقارب بين الحقول المعجمية كما ظهرت أهمية الحقول الدلالية في تجميع المفردات اللغوية بحسب السمات المميزة لكل صيغة لغوية مما يعرف ذلك اللبس الذي كان يعيق المتكلم أو الكاتب في استعمال أو توظيف المفردات التي تظهر مترادفة أو المترادفة في المعنى، وتوفر لهم معجما من الألفاظ الدقيقة التي تقوم بالدور الأساسي في أداء الرسالة الابلاغية أحسن أداء.[1]

ومنه نستطيع القول أن هذه التعريفات التي تطرق إليها العلماء، تعتبر أسس وركائز في مبحث الحقول الدلالية الذي يبرز في شكله الأول في صورة المعاجم اللغوية التي صنفت

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص89.

الأشياء في عالم الأعيان، نتيجة للتقدم الحاصل في العلوم وتشعب المعارف، احتاج الإنسان أو الباحث إلى تصنيف علم جديد يؤطر معارفه ويحجب عنه اللبس المصاحب باستعمال وتوظيف اللغة التي أداة معرفة وعلم، فتوصل إلى وضع معاجم لغوية جامعة ومصنفة لمفردات اللغة بشكل دقيق، اصطلح على تسميتها فنظرا لسيادة النظرة الطبيعية العلمية المعروفة بالحقول الدلالية في العصر الحديث وبالمفهوم الحديث والمعاصر.

المطلب الثالث: أقسام الدلالة.

من المباحث اللغوية التي أثارها الدرس الدلالي انطلاقا من العلاقات التي تجمع الدال بمدلوله فللدلالة أقسام وللمعنى أنواع، فإذا كان تحديد معنى الكلمة يتم بالرجوع إلى المعجم أو القاموس اللغوي، فإن ذلك لا يمكن أن ينطبق على جميع الكلمات التي ترد مفردة أو داخل السياق، ولذلك فرق اللغويون بين معان كبيرة أهمها:

1- المعنى الأساسي أو التصوري: وهو المعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية.

2- المعنى الإضافي أو الثاوي: وهو المعنى الزائد على المعنى يدرك من خلال سياق الجملة.

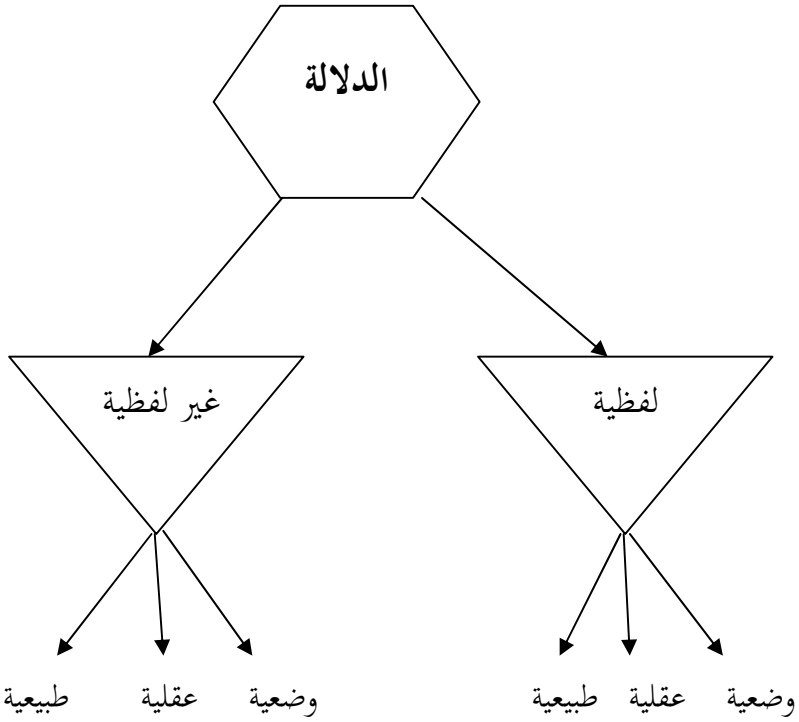
3- المعنى الأسلوبي: وهو الذي يحدد قيم تعبرية تخص الثقافة أو الاجتماع.

4- المعنى النفسي: وهو الذي يعكس ا لدلالات النفسية للفرد المتكلم.

5- المعنى الإيحائي: وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء، وهذه التقسيمات في علم الدلالة يخضع لمبدأ عام والمتمثل أنه لا يمكن اعتبار القيمة دلالية قيمة تارة، إنما يخضع المعنى لتلك القيمة استنادا على التوظيفات والاستعمالات وهذه الصيغة في السياقات المختلفة، ولقد قسم العلماء الدلالات انطلاقا على معايير أخرى تأسس على إدراك طبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي، وهذا الأخير لا يخرج عن ثلاث اعتبارا للعرف، أو الطبيعة أو العقل، وعلى ذلك فالدلالة إما عرفية أو طبيعية أو عقلية.

ومنه أخضع علماء الدلالة تصنيف الدلالات على أساس السياق للمعنى، فالكلام إما أن سياق يدل على تمام معناه، وإما أن سياق ليدل على بعض معناه وإما أن سياق ليدل على معنى خارج معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفا.[1]

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن الدلالات ثلاثة أنواع، دلالة المطابقة ودلالة الضمن ودلالة الالتزام، وهذه الثلاث تندرج تحت لواء دلالة العامة هي الدلالة الوطنية التي هي قسم من أقسام الدلالة اللفظية، وبناء على ذلك فأقسام الدلالة في العصر الحديث تتفرع إلى ستة أصناف يمكن تمثيلها من خلال المخطط الآتي:



مطابقة تضمن التزام

ويمكن الوقوف على هذه المفاهيم والأنواع الدلالية، كما وردت ودرجت في تعريفات العلماء للدلالة. فالدلالة اللفظية العرفية لا تنشأ ولا تنعقد إلا بتوفر ثلاثة أركان: أولها اللفظ، ونوع من الكيفيات المسموعة، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه، وإضافة عارضة بينها هو الوضع، أي جعل اللفظ بإزائه، وإضافة عارضة، أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا

[1]– عبد الرحمان حسن حنبكة، طويط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1988من ص28.

المعنى[1]، فالدلالة الوضعية يقتضي لإدراكها العلم المسبق بعلاقة الدال والمدلول وطبيعة هذا الارتباط، ففي الدلالة العرفية نستحضر قول المسدي: "لا يتسنى للعقل البشري من تلق مكوناته الفطرية ولا الثقافية أن يهتدي إلى إدراك فعل الدلالة إذا ألم سالفا بمفاتيح الربط بين ما هو دال وما هو مدلول، وهذا الإلمام ليس بفعل الطبيعة ولا هو من مقومات العقل الخالص ولكنه من المواضعات التي يصطنعها المجتمع".[2]

أما الدلالة العقلية وتسمى كذلك الدلالة المنطقية، فهي الدلالة التي يكون فيها للعقل حضور وأمر نتيجة لإدراك طبيعة العلاقة الكائنة بين الدال بمدلوله ويمثل لها بهذا المثل الدارج تعريفا لها بدلالة الدخان على النار إذ يتبادر إلى الذهن الدلالة الغائبة بحقيقة الحاضرة، والذي يجمع بين الأمرين هو العقل، ومنه سميت الدلالة المستحضرة بالدلالة العقلية، وقد حددها المسدي الدلالة هذه وطرق إدراكها بقوله: "وفيها يتحول الفكر من حقائق حاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية في رصد الدلالة المنطقية التي تنحصر في ثلاثة مسالك:"

1- مسلك البرهان القاطع: وهو الذي يتقيد بقيود المنطق العقلي، فإذا سألت عن جنس الحاضرين فأجبت بأن بعضهم ذكور عرفت أن بينهم إناثا.

2- مسلك القرائن الراجحة: وهو الذي يفضي إلى تسليم ظني يأخذ في البدء بمعطيات هي في منزلة "العلامات الدالة" بواسطة القرائن المنطقية يستكشف "مدلول" تلك العلامات.

3- المسلك الرياضي: وهو ذلك الانتقال الذي يحدث من المعلوم فرضا إلى مجهول تقديرا.[3]

أما الدلالة الثالثة فهي الدلالة الطبيعية التي يعتمد في إدراكها علاقة طبيعية يتم على أساسها الانتقال من الدال إلى المدلول، وهذا ما جعل عادل الفاخوري يحتج إلى تعريفها بقوله: "هي الدلالة،

---

[1]- عادل الفاخوري، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985م، ط3، ص16.

[2]- المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المطبعة العربية، تونس، 1986، ط3، ص52.

[3]- المرجع نفسه، ص51.

يحيد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه، كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الوجل"[1]، فالدلالة الطبيعية – إذن- فيها ربط بين حقيقة الظاهرة المعلقة وحقيقة غاية مخفاة يتم من خلالها اقتران الدال بمدلوله اقترانا حقيقيا طبيعيا وهذا الاقتران يتمثل في الرابط التي يكون ما يقع عليه الحس الإنساني وبين تفسير الإنسان لهذا المحسوس، فأعراض الأمراض المحسوسات يفسرها الطب تغيرات تربط بين كل منها، وبين مرض معين[2]، ويعزز هذا الارتباط بين الدال والمدلول السنن الكونية التي تسير وفق طبيعتها، فالحدث الطبيعي إذا تكرر أمكن العقل المدرك أن يعقد بينه وبين الشيء الذي أحدثه، واستنادا على ذلك فالدلالة الطبيعية هي ليس بين الملزوم واللازم فيها ارتباط عقلي، إلا أن النظام الذي وضعه الله في الطبيعة قد أوجد هذا الترابط، فإذا سألنا العقل المجرد عن ملاحظة النظام الموجود في الطبيعة لن يجد تفسيرا أو تعليلا له غير أن الاختيار المتكرر للأحداث الطبيعية فقد نبه على وجود هذا الترابط في الواقع.

أما الدلالة من حيث المفهوم فإنها تصنف كذلك إلى ثلاثة أصناف – أشرنا إليها سابقا- هي التي تمثل الإقسام الثلاثة للدلالة الوضعية وهي اللفظية: وهي دلة التضمن والمطابقة والالتزام، فدلالة للفظ على تمام معناه الحقيقي أو المجازي هي دلالة المطابقة ودلالة اللفظ على معنى آخر خارج عن معناه لازم له عقلا أو عرفا هي دلالة الالتزام، واللفظ الدال يحمل مقومات التي تؤلف الذات، تمثل مؤلفاته التميز به فلكسيم "إنسان يحمل المقومات التالية: الجسم الحي-الناطق-العاقل-الحساس، وعليه تكون دلالة المطابقة دلالة اللفظ الكلي على مجموع هذه المقومات التي تؤلف الذات، وتكون دلالة التضمن دلالته على بعض هذه المقومات لا لكلها، فهكذا كلمة "إنسان" تدل بالمطابقة على

[1]– تمام حسان، -الأصول-، دراسة إيسيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 1982م، ص319.

[2]– عادل فاخوري، علم الدلالة، المرجع السابق، ص42.

الحيوان دلالة التزام فإنها تكون خارج اللكسيم ذاته لشيء يلزمه، وعلى ذلك فدلالة الأجزاء كدلالة حاجب على العين".[1]

وبما أن العلاقة بين الدال والمدلول تخضع أساسا لفعل الإدراك لطبيعة هذه العلاقة، وبناء على ذلك تتضافر وتتحد الأنساق الدلالية، فإن السياق اللغوي إضافات نوعية على مستوى تحديد الأصناف الدلالية، فتتميز بذلك الدلالة العامة من الدلالة الخاصة، والدلالة الظاهرة من الدلالة المضمرة اللتان يتحكم فيهما التصريف المزدوج لاستعمال واستخدام وتوظيف اللغة، فالتراكيب السياقية هي التي تشرف أساسا على تحديد الدلالة المعينة للصيغة. "فإذا استطاع اسم من الأسماء أن كون له معان متبوعة فيجب أن نعلم أنها معاني محتملة وأن أحد هذه المعاني يتحدث ضمن سياق معين".[2]

إن الدلالة السياقية تشير إلى ذلك الترابط العضوي بين عناصر الجملة وهو ما يشكل بنية اللغة، بل إن مفهوم الدلالة السياقية يتسع ليشمل مجموع الجمل التي تكون النص ويوضح ستيفن أولما قائلا: إن السياق ينبغي أن – يشمل لا الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب–، – بل والقطعة كلها والكتاب كله– كما ينبغي أن يشمل وجها من وجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات.[3]

إن الجملة التي تؤدي قيما دلالية يعترض أن تكون وحدة بنيوية ووظيفية، وهو ما يكرس مبدأ التركيب السياقي ودوره الأدائي، وقد تستقل الجملة بدلالتها داخل النسيج والتركيب الدلالي للخطاب، وهذا لا ينفي العلاقة القائمة بينهما وبين السياق العام للنص نتيجة انتمائها إلى نفس المجال الدلالي للجمل الأخرى داخل القطعة الواحدة والنسيج الواحد والنص الواحد، وهذا ما ذهب إليه عبد السلام المسدي بقوله: "إن استقلال التركيب لا يعزل وجود ارتباط معنوي، فالنص بأكمله

---

[1]– علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، المرجع السابق، ص43.

[2]– بيار جيرو، علم الدلالة، ت ر منذر عياشي، دار الملايين، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص56.

[3]– اللسانيات وأسسها المعرفية، المرجع السابق، ص38.

مجالا دلاليا واحدا والجمل من النص تقوم على تسلسل معنوي عام يحكم انتمائها إلى نفس المجال الدلالي".[1]

وإضافة إلى الدلالة السياقية، يشير الدرس الدلالي الحديث إلى دلالة أخرى تتحدد وفق موقع الصيغة من السياق، ووفق تركيب عناصر الجملة وترتيبها، وهو ما اصطلح على تسميتها بالدلالة الموقعية فقد تكون من جملتان من نفس الوحدات لكل ترتيبها في الجملة يختلف، فتتميز الدلالة تبعا لذلك، إن السياق اللغوي قد يحتمل أو يتعدى إلى دلالات مختلفة تتحدد بضوابط خاصة من المعاني الجافة الاجتماعية والفردية وهي عبارة عن قيم عاطفية إضافية تسمى بالقيم التعبيرية أو الأسلوبية والتي انبثقت من مباحث علم الأسلوب الذي يرمي إلى الإجابة على التساؤل التالي: ما الذي يجعل الخطاب الأدبي الفني المزدوج الوظيفة والغاية ويؤدي ما يؤديه الكلام عادة وهو إبلاغ الرسالة الدلالية ويسلط مع ذلك جملة من التأثيرات الخطابية فيكون حضور انفعالي في الرسالة[2]، وتشبهه بالقيم الأسلوبية تلك الدلالة التي أطلق عليها مصطلح الدلالة النحوية وهي تجمع بين المعنى الموقعي والمعنى الفوق الدلالي أو التعبيري، فالكلمة في سياق الجملة وفي الموقع الإعرابي معين تشير إلى دلالة معينة وهذا ما ذهب إليه فايز الداية بقوله: "وأما الإضافة التالية هي الدلالة النحوية أي أن الكلمة تشكل أو تساهم في تحديد جزء من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تحل في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي، وعلاقته الوظيفية الفاعلية، المفعولية، الحالية (النعتية)، الإضافة التمييز، الظرفية فمثلا خاطبت الطحان في شأن تحسين عمله وزيادة مقدار إنتاجها فكلمة (الطحان) في موقع مفعول به تميز في جهة من العلاقة الاجتماعية هي موقع المحاسبة والمسؤولية وهناك من يحاسبه أو يسأله".[3]

---

[1]– عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص153.

[2]– محي الدين صبحي، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2003م، ط2، ص194.

[3]– فايز الداية، علم الدلالة العربي – نظرية وتطبيق–، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1985م، ط1، ص21.

هذه هي مختلف الأبحاث الدلالية التي دارت حول قضية الدلالة وما يتضمنها من دال ومدلول عالجت تساؤلات طبيعية ومحتملة كل منها كما وقفنا على مختلف العلائق التي تكونت جراء اتحاد الدال بمدلوله والتي تمخض عنها أقسام وأنواع للدلالة.

المطلب الرابع: دراسة دلالية أسلوبية لفن المقال في كتابات البشير الإبراهيمي "8 ماي 1945" أنموذجا.

01- حقل أوصاف يوم 08 ماي:

يشكل هذا الحقل المفهومي ألفاظ متنوعة، دلت وأبانت عن شناعة ما لقاه الجزائريين في الثامن ماي من عام ألف وتسع مائة وخمسة وأربعين فقد كان يوما ثقيلا حمل أوزاره الشعب الجزائري، فلا شمسه شمسا ولا شهره شهرا مقداره خمسين ألف سنة ولا ليله ليل ولا دهره دهرا أيضا.

ففيه تعرض الجزائريون لظلم لا يوصف، ظلم دامس حالك وأهدرت وأزهقت فيه الدماء الطاهرة أيما هدر، بلا ففيه سئلت الإنسانية بأي ذنب قتلت، وزلزلت أرضه زلزالا عنيفا، فشهد مجازر مروعة، وما أريقه على يد السلطات الاستعمارية من دم، وما حدث فوقها من مظالم وما كسف عليها من حمم نارية.

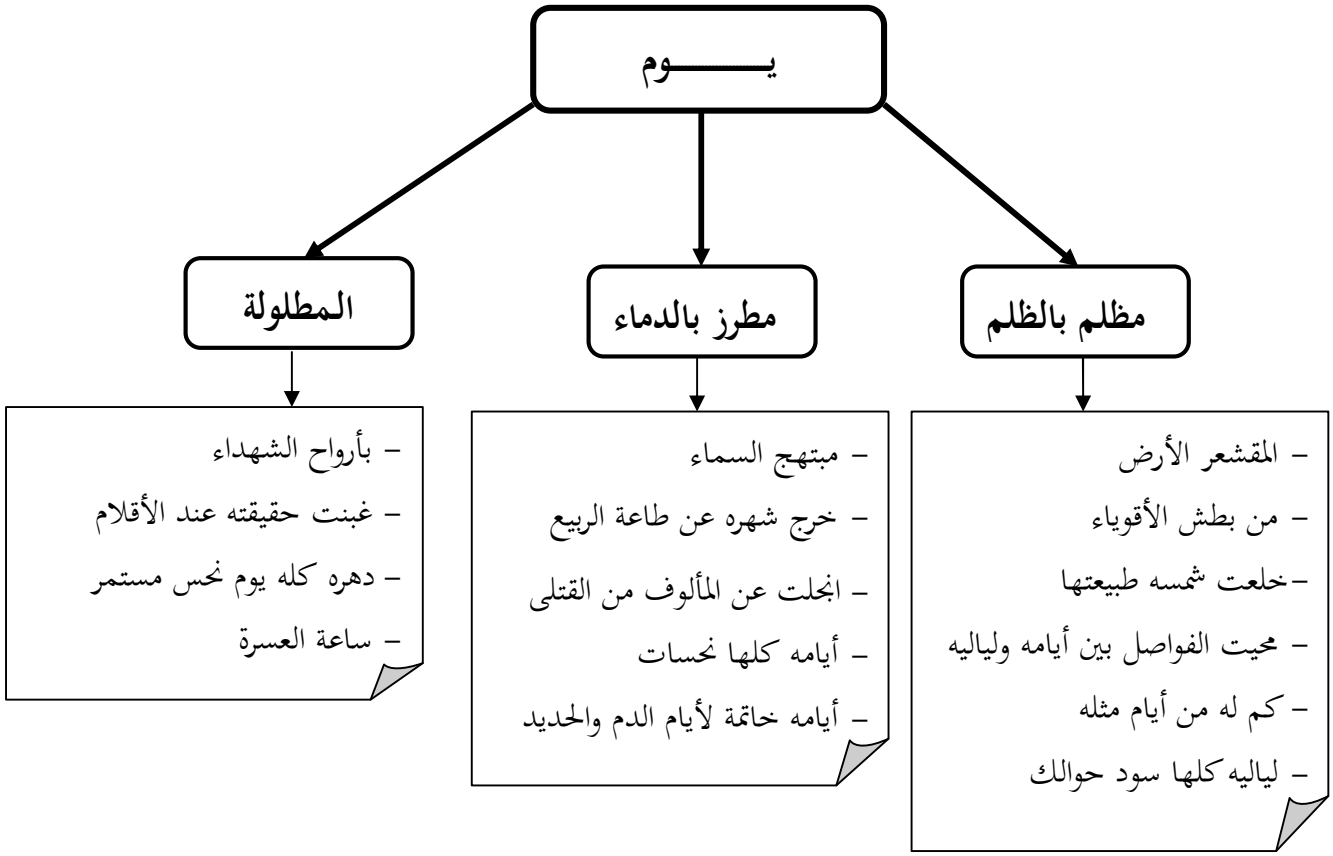
فزفت السماء الشهداء في رحاب السماء احتفاء بهم واستقبلت أرواحهم الطاهرة فرحة بلقاء بارئهم، فشمسه معروفة بشعلتها الحرارية وضوئها اللذين يحتاجهما الإنسان وكل جميع الكائنات الأخرى، لقيت يوما غير الذي كانت تبغي وتريد غير الذي تعودت عليه، بل خالفت طبيعتها وتحولت كينونتها إلى كائن مرعب مخيف بسبب شمس نارية اصطناعية في جوفها صواريخ قاتلة سفاكة أسقطت على الأرض من عليائها، فما عاد مخلوق الأرض يميزها من بين الحمم النارية كأنها ليلة عاتية التي أبادت الأخضر واليابس فلا تميز بين الجماد والإنسان فأضحى يوم عنوانه الحرق والتدمير والتجريف وهوائه دخان وغاز هلك الحرث والنسل.

يوم مغاير عن الأيام المعهودة بالسفك والقتل، لأنه جاء فيه على غرة وغفلة من الجزائريين، حينما خرج جل الجزائريين في مختلف ربوع الوطن فرحتهم بانتصار الحلفاء على النازية فنظم الشعب الجزائري مسيرات سلمية، مطالبين السلطات الاستعمارية بتحقيق وعودها الزائفة والكاذبة وفي مستهلها إعطاء الحكم الذاتي للمستعمرات الفرنسية بعد الحرب.[1]

لكنه خلع ثوب الإنسانية وتجرد عنها، ومن كل القيم الأخلاقية وحقوق الإنسانية، وخلف وعوده وتبرء منها فقابل الإحسان بالإساءة والخير بالشر، والسلام بالحرب فقتل ودمر وأحرق وعتا في الأرض فسادا وطغى وتجبر فوصفه أمير البيان بقوله: "بأن جميع أيامه حسنات، لا خير فيها، بل إن دهره كله يوم نحس ومشقة وعسر مستمر، فلا فوارق بين أيامه ولياليه السود الحوالك المتنقلة بالأحزان والتعذيب والتقتيل، إلا كون في هذا اليوم خيانة لوعد، وهدية من وغد وأي هدية قدمت لمن كان سببا في انتصاره، وحائلا دون انكساره في هذه الحرب".

فقد تفنن البشير الإبراهيمي في وصف لهذا اليوم المشؤوم فليله وشهره وسماءه وأرضه وحقيقته وحال الإنسان الجزائري فيه، فقد كان كريما سخيا مع اللغة العربية فأحسن توظيفها انطلاقا من البيئة اللغوية التالية التي استطاع عكس وتصوير مأساوية ودموية هذا اليوم.

[1]– عامر رخيلة، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص60.



ما يفهم ويلاحظ على هذه التعابير المستقاة من وحي الألم في شكل تصاعدي الذي غلب عليها وتلك الأثر الزمني الذي نسجته الأحداث المتاعقبة، مما جعل النص صيغة جمالية تذوقية لها أثرها على النفس، إذ أن الأديب استنتجها بالظلم والضيم الذي كان نتاجه بؤرة دموية شملت القطر الجزائري، فلم يسلم منهم الشعب الجزائري وتسميت السماء ضاحكة باستقبال العديد من الشهداء في جو بهيج.

استهل الإبراهيمي هذه التعابير بالاشتقاق من الأسماء على نسق اسم الفاعل على ثلاث مرات واسم مفصول مرة واحة. الموضعين من الأفعال المتعدية:

مظلم – أظلم

مقشعر – أقشعر

مبتهج – ابتهج

مطرز – يطرز

هذه الصيغة تدل على معنى الفاعلية، لأنها تعمل عمل فعلها، وهذا ما يركد فاعليتها واستعمالها بهذا الشكل يدل على عظم الكارثة وشناعة الفعل، وغطرسة المحتل ووحشيته وبهذا يصف صورته ويقربها للقارئ بالاستعانة بالصيغ الصرفية وحسين التوظيف اللغوي وجماليته وقدرته على رسم الصورة الحقيقية للحادثة، أما إذا تطرقنا إلى دور صيغة اسم المفعول – مطرز – فتدل على المفعولية والحدث إذا فضحت وبينت مدى التشكيل الذي لحق الجزائريين.

بعدها انزاح عن الأسماء المشتقة لجأ ليوطن وحدات صغرى بدلالات تتسم بالإيحاء والعمق ساهمت في بيان وإبراز وتشكيل البنية الوظيفية للنص وهذه الوحدات تشكل من أفعال ماضية، صور من خلالها الأديب أحداث مروعة ومفزعة شهدها هذا اليوم، كما لف التعابير المجازية، محاولة منه في تشخيص هذه الأحداث بهدف تصوير أثرها أكثر واستعملت هذه الأفعال التراكيب الآتية: خلعت شمسه طبيعتها، خرج شهره عن طاعة الربيع، عبثت حقيقته عن الأحلام، محيت الفواصل بين أيامه ولياليه، انجلت عن المألوف من القتلى.

ومنه نستطيع القول أن هذه الأفعال كان لها الدور الأبرز في تقريب الصورة معنا وشكلا ولفظا من خلاله استطاع البشير الإبراهيمي إلى تجسيم الواقع من خلال توظيف هذه الأفعال التي أجنحت أيما جنوح في تصويب الحقيقة وتصحيح المفاهيم وتجسيد الوقائع إلى ذهن القارئ والسامع بالاستعانة بجملة من الأحاسيس المرهفة وحجم الفاجعة والآلام التي خلصها واستشعرها الشعب الجزائري ولعل الهدف من هذا التوظيف إبراز مدى جسامة المحتل الفرنسي وهول الكارثة وأثرها النفسي على كل فرد وكائن حي.

أما الثلة الأخرى فقد وصفت هذا اليوم الدامي وغيره من أيام الذل والإهانة والقهر بأدق أنواع التعبير والألفاظ،

والوحدات الصرفية الآتية: ومثاله "نحسان، نحس، سود، حوالك، خاتمة لأيام الدم والحديد ساعة العسرة".

وضح من خلال هذه الوحدات والتعابير استحالة حصول الخيرية والنفع من المحتل الفرنسي، فنفى من خلال ما سبق الاستفادة من المحتل الغاشم. فما رآه الشعب الجزائري من هذا الأخير هو تحت وطئته إلا الطغيان والاستبداد وسفك الدماء والأعراض، فقد تنوع المحتل في إيذائه الشعب الجزائري كل أنواع المهانة والإذلال والقهر، كما أبانت عن الغطاء الذي كان يختفي وراؤه الاستعمار وبينت حقيقة الاستعمار وكل دعاياته وشعاراته التي تبناها والروايات التي زعمها ودخل من أجلها الجزائر، فما جاء إلا محتلا.

2-حقل الحرب ووسائله:

وظف الإبراهيمي جملة من الألفاظ التي تدل على الحرب ومن بينها نذكر: سيف – لباس الحرب – الحديد والمدافع – لباس الجوع – لباس الخوف – نار – قعقعة السلاح.

تتضمن هذه الوحدات الصرفية مجالا وحقلا مفاهيميا، إذ أفصحت عن قساوة هذه الحرب التي كشرت عن أنيابها في وجه الجزائريين وبعض الوسائل المستخدمة فيها مبرزة ومؤكدة على تعري وتجرد المستعمر عن القيم الإنسانية وتنصله من كل أشكال الرحمة، إذ وظف مختلف الوسائل منها ما هو مادي وما هو معنوي من أجل تحريض الحق وإسكاته وإعلال الباطل الذي أريد به استعمار الجزائر ونهب خيراتها وطمس هوية شعبها ومطالبه المتمثلة في الحصول على الحرية والاستقلال.

ففي هذا اليوم الموعود الذي من المفترض أن يكون عيدا للجزائريين، فما كان للمستعمر إلا أن يشهر سلاحه في وجه شعب أعزل واستباح كل شيء وأحل ما حرمته الإنسانية وما عاد يميز بين الخيط الأحمر من الأبيض فسقط قناعه وأبان عن وحشيته وهمجيته وأحرق الأخضر واليابس بناره ومدافعه وحديده، ولم يكتف بهذا فحسب، فسلط عليهم أسلحة أشد وطئة وألما وفتكا قصد كسر شوكتهم وإخضاعهم بالقوة. وهي أسلحة

مادية تتمثل في التجويع والتخويف والتعرية والتجريد، كاشفا عن حقيقته المضمرة وعن سفالة وجهه الذي كثيرا ما طمسه في أحقاده وتزييف شعاراته الرنانة الزائفة التي طالما كان ينادي بها، ليكشف عن صدائة معدته ودناءة أخلاقه.

حقل الألفاظ الدالة على الدمار والممارسات الوحشية:

استعان البشير الإبراهيمي من خلال تدوينه للمقال بتوظيف ألفاظ تتقارب مع الحقل السابق حتى تشتد عندها من حيث المعنى وتكتمل الصورة وتتعزز الحقائق، وهي مجموع الألفاظ التي توحي على الاضطهاد والممارسات الوحشية والدمار الذي مس الأخضر واليابس والحي والميت الذي ألحقه المستعمر بالجزائر بواسطة أسلحتها الفتاكة سارت كلها على نهج وعلى مسار ونسق واحد مهما تنوع عددها وعتادها، إذ أسفرت على بيان الوجه الحقيقي للسلطات الفرنسية ووضعت في موضعها الأصلي وعرّت الاحتلال بعدما صور نفسه في وجه ملائكي إذ به تحول إلى إنسان في صورة شيطان لا يبقي ولا يذر، وهي الحقائق والدلالات التي لطالما سعى الإبراهيمي إلى الوصول إليها وتحقيقها وتتمثل في هذا الحقل اللفظي التالي:

مظلم	الدهاء 3	المطولة	مقشعر		العاتي	القاتل
حوالك	بقايا	النار	قتيلا	مجنونة	المنكوبة	محرقة
منتهكا	مقسما	سود	العائثين	تفائل	الإعصار	مهدومة
يحاد	يغتال	التقليل	الدم 2	الأشلاء	موت	هدم
المحو	النحر	حرمات	أريقت 2	القتللا	الغول	نهب
تدمير	استباحة	يتنامى	تغريم	شحن	اعتقال	القتال
الآثمتان	التبشير	ألوهيته	فقدت	فقدو	العواصف	استبيحت
يتحدى	ينسخ	ضمخت	ضحية	قسوة	حيوانيته	جثت
ينهه	العراء		يعلو	التأله	يحاد الله	ديمقراطية

إن هذه الوحدات الصرفية التي تم توظيفها أسهمت في تصوير الأوضاع البائسة التي سنها الاحتلال الفرنسي وفرضها على الشعب الجزائري وصورت حجم الكارثة التي رمت بهذه الحرب، كما كشفت وأوضحت عن الثمن الذي دفعه الشعب الجزائري مقابل المطالبة بحقوقه المشروعة، فتمخضت عنها نتائج سلبية وإيجابية، ومنها قدرة الشعب الجزائري على تحمل أوزار هذه الحرب وصموده ومقاومة لأشرس قوة عسكرية عرفها العالم آنذاك.

يستنبط من هذا الحقل شدة عتو المحتل ووحشيته، حيث قتل وسفك وهدم متى شاء وأن شاء ومن يشاء وكيفما شاء، فلم يميز الكبير من الصغير ولا قوي من الضعيف ولا كهل من الشاب، وحتى ليم يسلم من بطشه النساء والأطفال، فاستكبر وعتى علوا وفسادا وتحدى الخالق والعباد والشرائع والقيم والقوانين الدولية، فنازع المولى وربوبيته وألوهيته، وعاداه وعارض حكمه ونسخ ولم يبالي، ففرض قانونه بقسوته وصلابته، وبالغ في إهدار الأبرياء العزل وقليلا ما نجى من هذه الحرب، فلم ينجو إلا من شارك إلى جانب الحلفاء في هذه المعركة، فلم يعزف بلغة السلم ولم يجنح إليها ولم يتفاوض ولم يحاور إلا بلغة القتل والسفك والتشريد والتنكيل والاستيلاء. فلم يرحم المحتل الشعب الجزائري، بل طفق في امتصاص خيراتهم ودمائهم ونهب أموالهم وصادر أراضيهم، فألقى بهم في غياهب الحرب لينعم ويحيا في أرض ليست أرضه وسلب ما يمكن سلبه لأمد بعيد، فدمر مساكنهم ومزارعهم ليرضي غطرسته، وليذيق أهل أرض لباس الجوع والخوف، فمن ما كان مآله الزوال والفناء ومنهم ما نهش الجوع لحمه فصار هيكلا لا يقوى على التحرك وعمد ولجأ إلى التنكيل بالقبائل التي واجهته وتصدت له ببسالة ليضرب بالقيم والإنسانية عرض الحائط، ولم يكتفي بذلك فحسب فقد عزز قوته بوسائل حربية حديثة بالإضافة إلى الوسائل الإعلامية التي عملت على تلميع صورته أمام المجتمع الدولي وتزييف الحقائق وتبني الديمقراطية وشعارات رنانة وهي منه بريئة ولا تكاد تتأصل فيه.

إن توظيف البشير الإبراهيمي لهذه الوحدات الصرفية ساهمت من خلال التصوير الفني الذي أودع فيه الإبراهيمي في تجريد المحتل الغاشم من كل ما هو إنساني وكل ما يتوافق مع الشرائع الدينية والحقوق الإنسانية، بل أسقطت عنه قناعه كشافا أمام المجتمع الدولي، لعله يتحرك وينتفض حيال هذه الممارسات الوحشية إن كان له ضمير وقلب ينبض.

– حقل الممنوعات: (المحظورات).

لا حياة – لا ثمر – لا نور – لا تصوير – لا تدوين.

توحي هذه الألفاظ المسبوقة لأداة النفي (لا) عن جملة من المحرمات والممنوعات والمحظورات التي ليست من الإنسانية، حيث حرم منها الشعب الجزائري في هذا اليوم الحالك المشؤوم، فلا حق ولا حياة ولمن سعى وراء مطالبه الأساسية الطبيعية حتى وهو في حالة ضعف وهزل ووجل، فلا يحق للجزائري أن يزهر ولا ينبت ولا يسعى في طلب قوته ومعيشته، فالأرض هترت وهرقؤ< ت وسماء أمطرت دما فقد لجأ هذا المحتل الغاصب إلى سياسة الأرض المحروقة التي هي من أبشع الوسائل التي طبقها المحتل الفرنسي على الجزائريين فالطبع يغلب التطبع فلا محالة إنه مستبد فلم يأتي إلا للتجهيل والتبصير عكس ما روج له من تنوير فقد عزل كل ما يكشف حقائقه فقد تحكم في الإعلام والجرائد والصحف والأقلام فقد أشهر في وجه الجزائريين أن هذه المناطق محرمة، يمنع كل آلية من آليات التصوير أو أي جهة أو وسيلة إعلامية، فهذا مصادرة للحقوق وممارسة الظلم والقسم على شعب ضعيف بريء أعزل قال فصدق ووعد فوفى، فقد عزل النساء والرجال والأطفال والضعفاء والشيوخ واستفرد بهم ومارس عليهم طقوس الاستبداد والظلم فأباد وأحرق الأخضر واليابس، فأحاط بهذه المجازر زمهريرا وتعتيم إعلامي مخطط وممنهج.

– مجموع الألفاظ الدالة على مواقف وتنازلات الجزائريين:

أنجدك ⟵ أوجدك

يسهر ⟵ يجوع يثبت في العواصف

شارك في النصر ⟵ فرحة بانتصارك

قاتلوا لغير غاية ⟵ قاتلوا من غير شرف

يستبان من ألفاظ هذا الحقل الدلالي عظم ومهانة التي تعرض لها الشعب الجزائري وجسامة الخطب وحجم المصاب الجلل، فقد استحالت إلى مصيبتين، مصيبة الاحتلال ومصيبو خيبة الأمل وصدمة الشعب الجزائري وتعرضه للخذلان الذي تجرع مرارة الألم والحزن جراء نقض الوعد وخيانة العهد والوعد من قبل لا فلا إلا له ولا ذمة وعهد وما نجم عنه من مآسي فبالرغم من مشاركة الجزائريين المحتل الفرنسي معركته وانتصاره وتعريض نفسه إلى الخطر مقابل تحقيق الاستقلال لأرضه، إذ لم يذوقوا طعم النوم من أجل أن ينام من لذة الطعام لأجله وثبتوا ببسالة وشجاعة أمام العواصف، من أجل أن يفرح ويحقق انتصاره، فبالرغم من جملة التنازلات التي قدمها الجزائريون من أجله، فلم نراه إلا يقابل الإحسان بالإساءة ولم تشفع له هذه التضحيات ولم ينعموا برحمته، ولم يروا إلا الكلام على ورق فقد نفخ الكير في وجوههم.

وما يستنبط من خلال هذه الوحدات التي استعان بها البشير الإبراهيمي فأحسن توظيفها، فنجدها توحي إلى شدة حب الجزائريين لوطنهم وتعلقهم به وسعيهم لاستقلاله، فقد شاركوا المستدمر الفرنسي مرغمين مكرهين في حرب لا تمت لهم بصلة فالذي دفعهم إلى الوقوف إلى جانبه تحقيق مصالح عامدا ودرء مفاسد المستعمر الفرنسي على وطنهم وأرضهم وإخوانهم، فقابلهم بمصادرة أملاكهم وحرياتهم ومنع عنهم حقوقهم جماعة وفرادى وشاركوا على أمل أن يتحقق بفضلهم النصر، الذي يدفع المحتل أن يقف عند وجودهم وما كنت إل موعدة وعدهم إياهم فلم تبرح الورق والقول ولم تره لنور، فكان سدا منيعا أمام

طموحاتهم والحكم الذاتي الذي تمسكوا به وناضلوا في قضية ما أنزل الله بها من سلطان ولكنه لم يخرج المحتل عن طبعه فقابل التعاون بالغدر والحرب بالسلم، والخير بالشر والإحسان بالإساءة والحسنة بالسيئة والإخاء بالعدوانية والدم والقتل والإبادة والتنكيل ولم يسلم منه أحدا فعانى المجتمع الجزائري من ويلات المحتل الغاصب بكل أطيافه وشرائه وأصنافه، فسلط عليه كل أنواع الجور والضيم والتعذيب والتجريد والتنكيل فكانت هذه نتائج حتمية وكارثية، شملت الجماد والنبات والأرض والإنسان والبهائم وكل شيء على وجه الأرض طالت يد المستعمر وما جاءت هذه البنيات إلا لتعزز ذلك وتؤكد ه وتفصح عنه.

6- حقل النتائج الحتمية والكارثية:

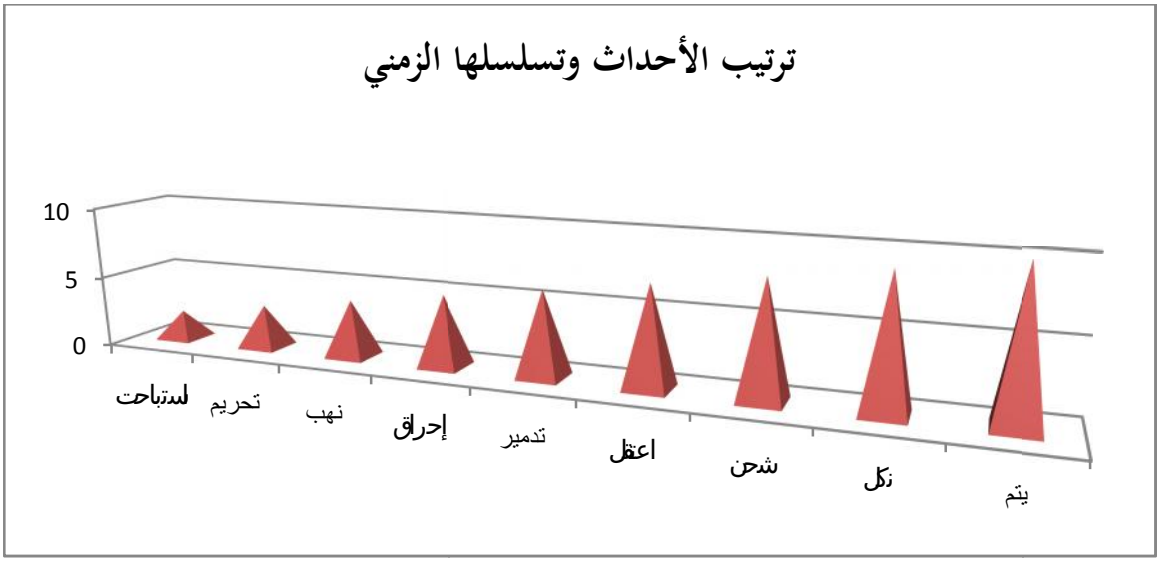
ويتمثل من خلال البنيات اللغوية وفي مستهلها: الأب-قتيلا-الأم المجنونة-الغلة-العرض المنتهك-المال نهبا-مقسما-الدار المهدومة-الصغار الهائمين-في العراء-أيامى فقدن بعولتهن-يتامى فقدوا العائل-أموال محترمة-استبيحت-أعراض طاهرة انتهكت-دماء بريئة-أريقت-سجن-اعتقال-تغريم-منكوبة-نهب أموال-استباحت حرمات- الحرب-أقواتها وأموالها-جرعت-النكل-أمهاتها-واليتم وأطفالها-أكلت شبابها-قطعت أسبابها-صلبت نار الحرب-ألوف من القتلى العزل-الضعفاء-إحراق قرى وتدمير مساكن-قتلى ضمخت دماؤها-دماؤها خالطت البحار.

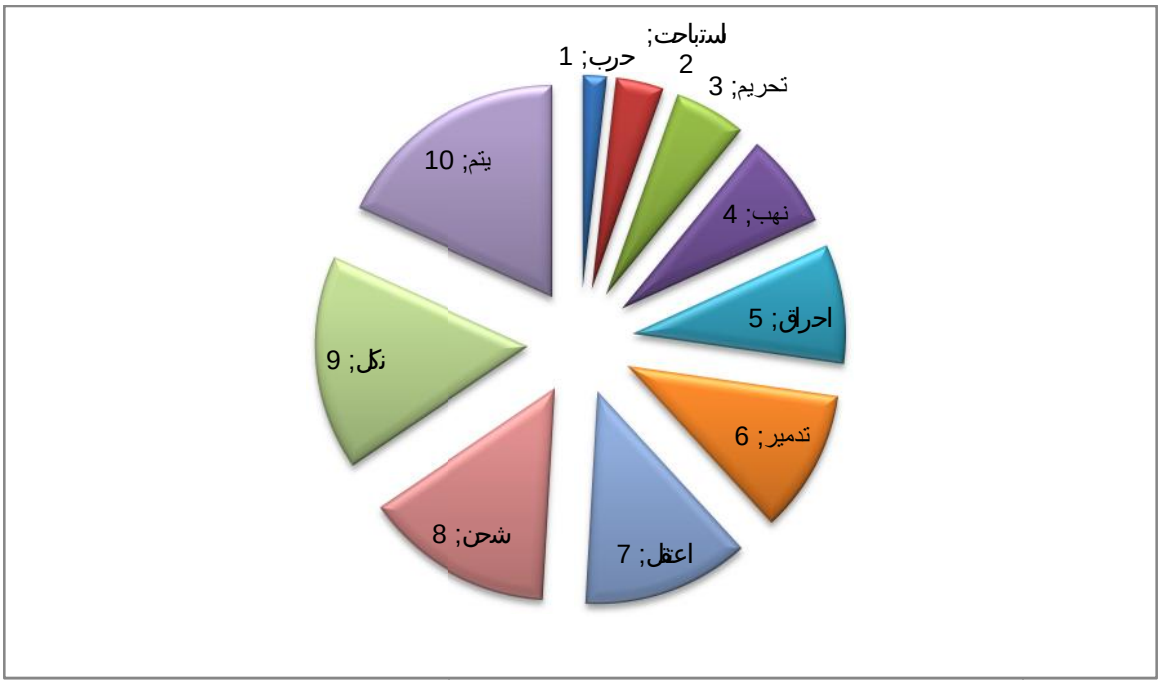
نوع الإبراهيمي في التوظيف اللغوي مستخدما هذا الحقل المفاهيمي الذي أضفت دلالته على نتائج الحتمية ذات ضريبة باهضة الثمن، فوظف واستخدم ما يحيلنا إلى ذلك مستظهرا اسم المفعول الدال على المفعولية الذي من خلاله تمكن وبرع في تصوير العذاب الجماعي الذي ألحقه المحتل الغاشم متنوعا بمجموعة من ألوان العذاب الذي لم يغادر لا كبيرا ولا صغيرا ولا إنسا وجامدا، فيظهر الإبراهيمي مقدرته اللغوية والجمالية فنوع في توظيف هذه الوحدة الصرفية، فما كان له إلا أن استدعى وأظهر وأبان عن خمسة أسماء مفاعيل مصوغة من الأفعال المزيدة ومتمثلة في: محرقة-متلفة-منتهكا-مقسما-محترمة، التي استنبطت من الأفعال المبنية للمجهول وهي: يحرق-يتلف-ينتهك-

بقسم-يحترم، إن هذه المشتقات كثيرا ما تكون مشبعة من حيث الدلالة والرمز والإيحاء بسبب مدلوليتها على فاعل مجهول ومفعول به ونائب عنه، لذلك وظفها الإبراهيمي وانتقاها وجعلها من ضمن أولوياته وضمن خياراته الكتابية. كما وظف كذلك ثلاثة أسماء مصوغة من الثلاثي هي: مجنونة-معدومة-منكوبة. المأخوذة من الأفعال التالية: هدمت-نكبت، لكونها مستعينة بذاتيها عن أي إضافة أو زيادة معتمدة على أصلها الثلاثي، الذي أشار إلى حجم المصيبة وهول الوضع الكارثي الذي آل إليه المجتمع الجزائري، والتي تدل على جبروت المستعمر لهذه الحرب للمطالب السلمية.

وهاهنا نرى البشير الإبراهيمي يقتصد تأكيد خياراته اللغوية ومنهجه في توظيفها، وعول على اسم المفعول مستحضرا أربعة أفعال مبينة للمجهول على النحو التالي: أريقت-انتهكت-استبيحت-صلبت، وذلك لطبيعة اسم مفعول لا يصاغ إلا من المبني للمجهول الذي يتناسب ويتوافق ويتساوق معه في الإشباع والشحن الدلالي، كما تضمنت هذه الوحدة على عدد من المصادر وهي: حرب-نهب-النكل-اليتم-سحب-إحراق-تدمير-استباحت-تغريم-اعتقال.

أبانت هذه المصادر أحداثا مروعة أذاقها الاحتلال الغاصب بالجزائريين، ويتضح من خلاله أنه يتوانى عن استعراض عضلاته وقوته واستنفذ كل أساليب القمع قصد إذلالهم وإخضاعهم وفرض عليهم سياسة أمر الواقع، ولو تأملنا في هذه الأفعال القمعية والوحشية لاستبيان هذه السلم التصاعدي الذي انتهجت عليه ولذلك يمكننا بتصور زمن حدوثها، وصولا إلى ترتيب وقوعها وتسلسلها الزمني على النحو التالي:





إن استحضار الإبراهيمي لهذه الوحدات الصرفية يبرز مدى سعيه وحرصه الكبير في تمرير رسالة للأجيال اللاحقة والتعريف بقوة الشعب الجزائري وحرصه الشديد على التحرر من المحتل الغاصب وفي الوقت نفسه تصوير الاحتلال الفرنسي في صورته الحقيقية وظلمه للشعب الجزائري وحرمانه من أبسط حقوقه وتجرعه مرارة الألم وتعرضه للجرائم التي لا تخطر على بال إنس ولا جان، وما هي إلا دروس

ووصايا أراد البشير الإبراهيمي أن تكون وصية منه إلا الأجيال لاستلهام العبر والعضات من هذه التجارب القاسية وليكونوا على دراية أن عدو الأمس عدو اليوم، فهو خائن غادر بطبيعته وأن وعوده كاذبة زائفة وأن الفردوس الموعود لم يكن ولن يكون، وما هو إلا استنزاف للطاقة الجزائرية ومجرد سراب خادع ووعد كاذب، أبانته الواقع والحقيقة الميدانية على أرض جزائرية.

تضمنت هذا الحقل الدلالي حضور جموع متباينة متعددة مختلفة تألقت ألوانها دلالتها، غير أنها لم تختلف على السياق السابق لتكون خير شهيد ودليل على المرارة التي تجرعها الشعب الجزائري والمآسي التي مست جميع القطر الجزائري من حيث قدرتها واستطاعتها وحيثياتها، أفرادها وجماعتها، ومن بين الجموع التي فضت نفسها وكان لها النصب الأعظم والحظ الأوفر جموع التكسير التي استوطنت على فكر البشير الإبراهيمي، لذلك سارع إلى توظيفها على غرار الجموع الأخرى ونجدها تتمثل في ما يلي:

جمع التكسير: الصغار-أطفالها-شبابها-دماء-أعراض-أموال يتامى-أيامى القتلى بوعلتهن-الغزل-ألوف-الضعفاء-قرى-مساكن-البحار.

جمع المؤنث: أقواتها-حرمات.

جمع المذكر: هائمين.

نستنتج من خلال هذا التوظيف اللغوي ونخص بالذكر هذه الجموع المستعملة، نستطيع القول أن الأديب تمحور فكره وكل تركيزه الذي صبه في جل الموجودات التي تعرض لها المحتل بيد متسلطة متغطرسة ملطخة بدماء بريئة آثمة بالتنكيل ولم تفرق بين الجماد أو الكائنات الحية على حد سواء، مفكرة أو غير مفكرة، لأنه لمس هذه الجرائم وعايش واقعها النفسي والمادي والمعنوي وذاق مرارتها واكتوى بنارها ولحقته ويلاتها ولعنتها، فلذلك نجد أثرا بالغا في كلماته التي تنطوي تحت لواءها صيحات وآهات موجعة ومؤثرة وقلب ينفطر لها القلب والوجدان والعقل.

01- الوصف بالنعوت المفردة:

النعوت	الموصوفات
العاتي-الطاغي-القوي-المسلح	الاستعمار الفرنسي
الآثمتان	يد الاستعمار
زائفة	الديمقراطية الاستعمار
المنكوبة-صغير	قرى من قسنطينة
المطولة-بريئة-الطاهرة-الكافي-محترمة-آمنة-العزل-الأعزل-الضعفاء	الجزائريون دماؤهم-أعراضهم-أموالهم-قوتهم الدفاعية

02- الوصف بالجمل النعتية:

التراتيب الوصفية	الموصوفات
أريقت فيك	دماء
انتهكت فيك	أعراض
استبيحت فيك	أموال
فقدوا العائل فيك	اليتامى
فقد بعولتهن فيك	أيامى
أبقتها يد العائثين	أموال
علا نداؤه	وعد
تؤذن بأن الدماء رقأت في العالم	أخبار
تدق بالنصر	بشائر
تساق للنحر	عشائر

03-الوصف بالمفعول الثاني لفعل وجد:

المفعول الأول	المفعول الثاني	المفعول الأول	المفعول الثاني
الأب	قتيلا	الدار	مهدومة
الأم	مجنونة	الدار	محرقة
الغلة	متلفة	الفرص	منتهكا
المال	نهبا	المال	مقسما
الصغار	هائمين		

04-الوصف بالحال:

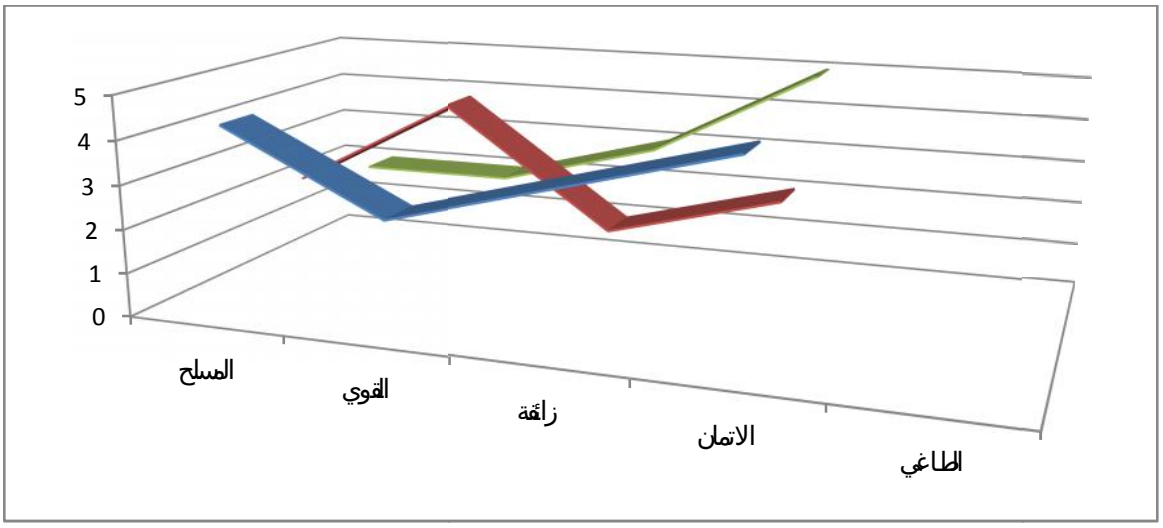
الحال	شعاعا	أبناؤك نيام	أهلك بطان
نوعها	مفردة	جملة اسمية	جملة اسمية
صاحبها	النفوس	ضمير مستتر	أهله

وصف الإبراهيمي من خلال هذا الحقل الدلالي تسعة وثلاثين وصفا لموصوفات متنوعة لتشكل التصوير الفني يقرب للقارئ والسامع حقيقة المحتل الغاشم وظلمه وطغيانه وقسوته وديمومته ومدى تفننه في تعذيب الجزائريين وذروة الإجرام التي فاقت كل الحدود.

فالنعوت والأوصاف المتمثلة في (العاني-الطاغي-الاتمان-زائفة-القوى-المسلح) أبانت وأسفرت عن الوجه الحقيقي للسلطات الاستعمارية، ولتدحض جميع الشعارات التي كان يتغنى بها في المحافل الدولية كالإنسانية والحضارة والديمقراطية التي كانت حجة وسبيلا وسببا للدخول للجزائر واحتلالها وما هي إلا ترجمان حقيقي لجملة من الأطماع الاقتصادية والدينية والتوسيعية للنهوض باقتصادها.

ن المتمعن في هذه الأوصاف المفردة من ثقل حمولتها الدلالية التي تتميز بها هذه الوحدات كما يبين له ذلك الاختلاف واتساع الذروة الدلالية باختلاف اللفظ الموظن، فلفظة (العتو) تدل على

أعلى درجات الطغيان، وهذا الأخير أكبر درجات الظلم والجور، والآثمتان وصف لمن طغى وتجبر، والقوة ما هي إلا نتيجة حتمية لوفرة السلاح والمال، ويمكن تمثيل هذا التفاوت من خلال هذا المخطط:



ومن خلال ما سبق يتبين أن الإبراهيمي كان يتعامل مع التوظيف اللغوي بذكاء وحنكة كبيرة، بغية فضح جرائم السلطات الاستعمارية وتجريدها وتعريتها من جميع أدوار الإصلاح والتنوير كالحمل الوديع الذي لا يملك نفعا ولا ضرا محاولة تغطية عن بشاعتها واستبدادها الذي مارسته ضد الشعب الجزائري الأعزل.

أما في ما يخص الوصفان: منكوبة-صغير فقد صور الأديب انطلاقا من توظيفهما وما نتج عنهما من قتل وتنكيل ورعب في مدينة قسنطينة وقد استفرد بها المحتل الفرنسي وهو ما حرك الضمير العالمي في هذا اليوم الحالك الأسود، ومنه انتقل ليصور حال الجزائريين أمام ما يحاك لهم في الظلام، فلم يرحموا أحدا على غفلة منهم وهم أبرياء، والطهارة والاحترام والسلمية فهذا لم يشفع لهم، فقد أسفكت دماؤهم بكل الوسائل الحربية من طرف ذيب جائع جشع متعطش للدماء.

واستطاع الإبراهيمي بفضل براعته وملكته اللغوية الفريدة والمتفردة أن يستغل الوحدات الصرفية التالية: بريئة- طاهرة- محترمة- آمنة- مطمئنة- العزل- المطلولة-

الأعزل- الضعفاء- الكاني، لتبقي صورة ذاتها بجميع حيثياتها للأجيال اللاحقة حتى بعد انتهاء الحرب، فقد خرج الجزائريون على سجيتهم وفطرتهم مسالمين، مذكرين فرنسا بوعودها بمنحهم على حديثهم ورد الجميل لهم ومقابلة الإحسان بالإحسان، لكنهم تجبروا وعتوا في الأرض فسادا فقد أمطروهم بوابل من الرصاص وزينوا السماء بالدماء وزلزلوا الأرض بالمدافع، فإذا هم يسقطون صرعى في ساحة الشرق، محاطين بدمائهم المسفوكة، دون ولي ولا نصير ولا مغيث في ظل التعتيم الإعلامي وغيابه كليا، يفندون كل وسائل الدفاع التي يمكنها أن تحميهم من السفاح المحتل.

ولعل الإبراهيمي لم يجد سبيلا غير الوحدات المفردة التي لم تعب عن الواقع المر بالشكل الذي أراد له أن يكون وما يعتصر قلبه ويحرق وجدانه فخانته الوحدات المفردة وحالت بينه وبين التعبير عن آلامه وأحزانه وما يحمله من حقد وكره على تلك الجبابرة المفترسة التي تجردت عن كل معاني الإنسانية فسلك سبيل غير الذي يريد سبيل الجمل الفعلية الوصفية التي عملت على إبراز حجم الانتهاكات التي تعرض لها كل شبر من القطر الجزائري التي استهدفته وشمل في: دماء بريئة أريقت فيك-أعراض طاهرة انتهكت فيك- أموال محترمة استبيحت- يتامى فقدوا العائل الكافي فيك-أيامى فقدن بعولتهن فيك- صبابة أموال أبعدها يد العائثين-وعد علا نداؤه-أخبار تؤذن بأن الدماء رقأت في العالم.

ففي هذا اليوم المشؤوم الأسود الحالك أزهقت الأرواح وسفكت وأريقت الدماء، وانتهكت حرمة الأعراض، واغتصبت واستبيحت الأموال والممتلكات وضيعت وشردت الأطفال ويتموا وترملت النساء الأيامى وأهملت وتركت، وتعالت الأخبار عن انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأذاعت الناس وقتئذ خبر اندلاع شرارة حرب إجرامية انتقامية في الجزائر، وفي اليوم نفسه، زفت فرنسا بشائر النصر وفي مقابل ذلك صدمت القبائل والعشائر والعوائل أن واجهت الموت وسيقت إلى النحر والقتل سوقا، ومن خلال ما سبق نستطيع القول أن هذه الخيارات اللغوية لم توظف عبثا وإنما لتكون الصورة المحتل الفرنسي

للجزائريين، ومنه تمكن الإبراهيمي من عرض الحقائق وسردها وتتضح هذه المعاني اللغوية في ذهن الأجيال السابقة ويتبصر من خلالها الوعيد الذي وعدته فرنسا إياه كأنه عين شهادة على ما حصل، ولو قمنا بعملية إحصائية كقدرته لوصف حجم ما حصل وصف الموصوف في التراكيب الوصفية السابقة لخرجنا بالتالي:

دماء ← مراقبة

أعراض ← منتهكة

أموال ← مستباحة

يتامى ← فاقدوا العائل

أيامى ← فاقدات بعولتهن

أموال ← باقية

وعد ← عال نداؤه

أخبار ← مؤذنة

بشائر ← داقة بالنصر

عشائر ← مسافة للنحر

ولم يقف الإبراهيمي بهذه التوظيفات اللغوية البنيوية، بل استحضر بدائل لغوية أخرى خلقت له التنوع اللغوي، كان لها الدور الأسمى حيث أسهمت في إشباع الدلالة، وكشف المستور، ومن بين الركائز اللغوية المفعول به الثاني لفعل "وجد" ومن المعلوم بالضرورة أن أخوات (ظن) تعمل نفس عملها فتنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، ومن المعروف أن أصل المفعول الثاني خبرا وهبر يقوم مقام الوصف، فاستعان به الإبراهيمي ليعزز هذه الدلالة ويساهم في توسيعها، ومنه نلمس ذلك الأثر الإيجابي في المتقي، ومنه نستطيع القول أن الإبراهيمي على هذه الوحدات المختارة بعناية.

لها مقصد لغوي ونفسي، حيث من شأنها أن تصور الواقع والأحداث التي شهدها ذلك اليوم الأسود وقامت تعزيز السنوات السابقة من حيث الدلالة والوصف هذا من

حيث اللغة ومن جهة أخرى عملت على تمصير فكر المتلقي والسامع على حقائق المحتل الفرنسي حتى ر يستفيد من تجارب أسلافه.

وكيف لا يجد الإبراهيمي حالته في تلك البنيات، فلم يستدعي إلى بنيات الحال إلا قليلا ولو وقفنا على هذه البنيات إحصائيا لوجدنا الإبراهيمي وظف ثلاثة منها جاءت في سياق حديثه عن أهمية الأمن وحالته، الأمن التي افتكها المحتل الغاصب بفضل جهود الجزائريين ومشاركتهم في حرب لا ناقة لهم ولا جمل فيها، ومن بين هذه البنيات نذكر: شعاعا-أبناؤك-ينام-أهلك بطان، وإذا تأملنا فيها نجد أن الحال جاء مفردا وجملة اسمية فالمفردة في قوله: شعاعا، فقد أبانت عن الحالة النفسية للمحارب الفرنسي أثناء الحرب وملاقاته لعدوه، إذ كان يسيطر عليه الخوف والحرب حتى كان يبلع حنجرته من شدة الرعب والخوف، فما كان له إلا أن يدفع ويضحي بالجزائريين إذ جعلهم في المقدمة ليقاتلوا بدلا عنه فسهروا الليالي من أجل أن ينام هو وأبناؤه، وهذا ما وضحه وصوره الكاتب بتوظيف الجملة التالية: -أبناؤك نيام-، وكما نال الجوع من الجزائريين ليالي طويلة من أجل يشبع أبناؤه وصورت هذه الجملة الحقيقة التي تعززت بالجملة اللاحقة في نفس السياق: - أهلك بطان- وهذا الاختلاف والتنويع في استعمال وتوظيف الأوصاف، وبهذا التنويع استطاع أن يستميل قلوب الجزائيين والمخاطبين على حد سواء ويحدث ذلك الأثر الإيجابي.

حقول دلالية أخرى للألفاظ:

عادة ما تكون الحقيقة اللغوية والألفاظ التي تستخدم في الإطار العام للكلام سبيلا في تمثيل وتصوير الواقع الحي المعاش، فتوحي هذه الألفاظ على دلالة موضوعية وقد تأخذ طابعا من الحب أو لكراهية حسب الدافع الذي دفع المتكلم للكلام من إعجاب أو سخط أو ما يشكل ويناظر ذلك فسمي ألفاظ غاضبة إنفعالية وقد تكون لها مرامي ومقاصد مضمرة مخفاة، إنما الرمز والإيحاء يدل عليها فتوسع دائرة دلالتها وتتشبع وتتكثف وتنفي السياق العام للكلام هو الحاكم والفاصل الذي يميز دلالة الألفاظ فيتضح مرامها ومعانيها.

"فهو هو الوحدة الذي يوضح لنا ما إن كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها -أساسا- التعبير عن العواطف والانفعالات".[1]

ومن الملاحظ أن الإبراهيمي عمد ولجأ إلى التنوع المعجمي الذي يزخر به ومنه نلمس التنوع في التوظيف اللغوي عند بحبكة وحكمة، فنجده يستخدم ويوظف الألفاظ العاطفية الانفعالية الموحية، ومن الواضح أن حضور الألفاظ الموضوعية أكثر شيوعا وحضورا عنده وهذا نظرا لطبيعة المقال والموضوع المطروق الذي يتطلب الوضوح والخطاب المباشر ومنه وقفنا على أهم الألفاظ مع بيان لمدلولاتها:

الألفاظ	دلالتها
الظلم-الدماء-بطش-الأقوياء-أرواح الشهداء	توحي وتشير هذه الوحدات الصرفية إلى جبروت وطغيان المحتل الفرنسي، وتجاوزه لكل الخطوط الحمراء والحدود، بغية النهب والعيش على حساب شعب أعزل.
لا ثمر-لا نور-لا حياة-لا تصوير-لا تدوين	أعمى الظلم والطغيان بصيرة المحتل، فلم يعد يرى إلى غيره ولم يهتم للحقوق الطبيعية لغيره، سواء كان كائنا حيا أو جامدا، لذلك اخترق الأنفاس ويسفك الدماء ويصادر الحقوق والحريات الفردية والجماعية ويكمم الأفواه، ويعتم على الحقائق.
يخلو في التأله الطاغي-يتحدى العقول والشرائع-ينسخ حكم الله-يحاد الله-يغتال عباده-قتل غير القاتل	إذا ما حصل فجوة وغربة بين الإنسان وخالقه، وابتعد وهجر شرائعه ولم يمتثل لها وحاد عن منهج أنبيائه ورسله فقد يتحول إلى شيطان في وصف إنسان نتيجة حتمية ويصبح ينافس إبليس في منازعة الله بأفعاله وأقواله في ربوبيته وألوهيته وحكمه، فينساق وراء شهواته ورغباته

[1]- استيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص58.

	فيكون مآله التوغل في الكفر والمعصية والإجرام.
تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيدها الشرائع ولكن الاستعمار العاتي استجهل العقول.	ن العقول جبلت على سجيتها ونظرتها التي فطر الناس عليها فتعلوا وتسموا إنسانيتهم فتمتثل وتخضع للشرائع السماوية، أما الاستعمار الطاغي فنراه في أسفل السافلين تدحرج نحو اللإنسانية فيكون سبيله سبيل الحيوانات التي تحتكم إلى قانون الغاب.
قتل الشيوخ والأطفال	إنه السلوك المنتظر والحتمي لأي ذليل جبان يستعرض عضلاته على الضعفاء والأبرياء العزل بدل ما يقارع مثيله تراه يزأر زأير الأسود على الشعب العزل مهما اختلفت أصنافهم الشيوخ-المعطوبين-النساء-الأطفال.
أيامه كلها نحسات-ودهره كله يوم نحس-محيت الفواصل بين أ]امه ولياليه فكلها سود حوالك.	لا نفع ولا خير منتظرة ومرجوة من هذه الأيام التي يعشيها الفرد الجزائري تحت غطاء ولواء الاستعمار، فأيامه ولياليه كلها ملعونة مشؤومة سوداوية، فتنازل سواء الليل في لونه كونها مظلمة حالكة مثقلة بالأحزان والآلام والضيم والجور.
الحرب أقواتها وأموالها، وجرعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها وأكلت شبابها.	لقد عم الاستبداد وظلم المحتل كل شاردة وواردة، وطالت يده القذرة الأخضر واليابس، فأشهر في وجه الجزائريين بكل شرائحهم على ما يعقل وما لا يقل على ما يجوز وما لا يجوز فمثل ونكل بالأموال والأمهات والأقوات والأخطال والشباب.

البشائر تدق بالنصر، عشائر من المنتصرين تساق للنحر، مدافع للتسيير والتدمير الدماء أريقت في العالم كله، لكنها أريقت في جزء صغير من العالم.	إنه طبع كل ظالم الذي تنصل عن الطبيعة، تاكل للمعروف والجميل يقابل الإحسان بالدموية، فنجده يتنكر للوعود، ويسفك وينحر، ويدمر، ويتفنن في إهانة كل من ساند وساهم في انتصاره، وبذل الغالي والنفيس من أجل راحته وراحة بني جلدته.
قاتلوا الغير غاية قاتلوا من غير شرف.	أنها حقيقة أليمة ومرة شهدها الجزائريون جزاء وثوقهم في المحتل، وكانوا له خير معين في حربه، فقتلهم من غير شرف ولا رحمة.

حقل الألفاظ العاطفية:

التراكيب والألفاظ	دلالاتها
أنهتكهم الحرب قاسمهم لأواءها	إنها كلمات تعبر عن مشاعر وأحاسيس تدل على حبه لهذا الشعب، من إنسان تفجرت عواطفه وانفعالية وكشفت عن رقته وإنسانيته حيال أبناء وطنه.
أين قتلى ضمخت دماؤها الغريب، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار	إنها مقارنة غير متكافئة وغير متزنة لأنهما غير متقاربان فسقط هذه المقارنة نتيجة لدماء أزهقت وأريقت شامختين وفي مقابل ذلك دماء أخرى أهدرت فروت الأرض وصبغت البحر حمرة
لك الويل أيها الاستعمار أهذا جزاء من استنجدته ، واستصرخته حين أيقنت بالعدم؟؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان؟	إنها وفي حق ضمير ميت للمحتل الذي أنكر الجميل، وكان جاحد للفضل فقابل كل هذا بالإساءة متناسي الإحسان ومفاضله.
يا يوم! .... الله دماء بريئة أريقت فيك، والله أعراض طاهرة انتهكت فيك أموال محترمة استبيحت فيك. الله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك والله أيامى فقدن بعولتهن فيك	إنه خطاب مأساوي موجه لهذا اليوم المشؤوم والأسود الذي استعمل فيه كل محظور ومحرم وارتكبت فيه أبشع وأشنع أنواع وألوان الموبقات كاغتصاب وقتل وتشريد وترميل للنساء وتيتيم للأطفال.

حقل الألفاظ الموحية الرمزية:

الإيحاء والرمز أداة من أدوات بناء وتأسيس للنص وصناعة وتشكيل لغته وفسح مجال للأديب والكاتب ليبدع ويفصح عن مقدرته في توظيف اللغة ومنها المجاز باعتباره "مظهرا للتطور الدلالي في كل لغة من اللغات".[1]

وقد عرفه القدماء بـ : "ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة"[2] والقصد من ذلك أن الحقيقة تكون مضمرة وغير مذاع به وغير مستعملة استعمالا شائعا مألوفا معروفا للفظ من الألفاظ، ومجاز إلا انحياد المعنى والمعروف الشائع، وشروطه أن ينبهر دهشة وحيرة في ذهن السامع أو القارئ أو ما يكون طرفة وغرابة.[3]

وهذا ما يعطي لمعنى تذوقا وجمالية التعبير فـ: "اللغة البليغة عنده هي تتجاوز التوظيف اللغوي إلى الجمال"،[4] إن المتمعن والمتأمل في البنية النصية واستحضار التأويل والاعتماد عليه من الناحية التحليلية، قد يتمكن من خلالها أن يستقرء ويكتشف الباحث عن المعاني الخفية والمضمرة والوصول إلى معاني ومرامي ومقاصد أخرى، لأن التأويل في حقيقته مرتبط وثيق الارتباط بالألفاظ باعتبارها ملهمة بالمعاني وخاصة المجاز، ولا سيما النسق الاستعماري منه.[5]

استطاع الإبراهيمي بحكم عبقريته وذكاؤه ورصيده اللغوي أن يجسد الصورة الاستعمارية من خلال هذا المقال الذي أبان عن قدرته في الكشف عن الدلالات اللغوية الإيحائية الرمزية واستقطاب المعاني البعيدة والمضمرة لتكون في صورة مؤثرة وشديدة الرزانة

---

(1)– ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م، ص128.

(2)–المصدر نفسه، ص127.

(3)–المصدر نفسه، ص129.

(4)– محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1981م، ص34.

(5)– حمودة السعفي، علاقة اللغة بالفكر الديني من خلال التأويل، مجلة حوليات الجامعة التونسية، ع: 36، 1995، ص310، بتصرف.

ليسهل عملية جذب الأذهان والعقول من خلال المرامي والأهداف الموجودة والمقصودة لأن "المعاني المجازية هي الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأسلوب خبري من دلالته الأولى إلا دلالات ثانية أبعد وأعمق تخرج العقل من قيد اللفظ إلى رحابة المعنى، ليصل إلى ثمرات النصوص مهما دقت وامتدت وتعددت".[1]

ومن خلال ما سبق نستعرض حصرا لهذه التراتيب الموحية:

الألفاظ	إيحاءاتها
مطرز الحواشي بالدماء	تدل وتوحي هذه الكلمات إلى جملة من القناعات أن هذا اليوم يختلف عن سائر الأيام فقد تلونت سماؤه بدماء الشهداء وصعدت الأرواح إلى بارئها وكتب لها الشهادة في سبيل الله.
مقشعر الأرض	توحي وتشير هذه الكلمات إلى جرائم المحتل الفرنسي وشناعته في هذا اليوم، بكت الأرض فزلزلت واهتزت من هولها وفضاعتها.
مبتهج السماء	أبدع في تصوير السماء واستقبالها واحتفاءها بالأرواح التي نالت الشهادة وما حدث ما هو إلا جزاء للشهداء وإسعادهم قبل كل شيء وكشف جرائم المحتل والوجه الحقيقي الذي أبان وأظهر في هذا اليوم.
خلعت شمسه طبيعتها خرج شهره عن طاعة الربيع	تدل هذه العابرة الاستعمارية إلى حزن الشمس في هذا اليوم، فقدت تعرت عن أصلها وطبيعتها وثوبها، فظهرت على غير عادتها، كما فقد الربيع بريقه واسمه في هذا اليوم، ويرى كأنه شاخ عن العطاء وفقد سعادته

[1]—علي بن عبد الله الشهري، المعاني الثانية في الكريم وأثرها في التفسير، مج، 33، غ3، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 2016، ص356.

	وفرحته، بل ظهر في صورة استشهادية ومبشرا بالموت.
بقايا النار	دل هذا التعبير الاستعماري على من كتب له النجاة من حرب لا ناقة له ولا جمل بل أرغم وشارك فيها قصرا للدفاع عن عدوه وسلطة استبدادية.
ذاقت لباس الجوع والعرى والخوف	تشير هذه التشكيلة والصورة الاستعمارية التي فرضت قانون الغاب فكان من نتائجها حياة مأساوية وقاسية من أهم أماراتها الجوع والعري والخوف ليجعل هذا الثلاثي ملازم لها ولا يكاد ينفك عنهم لا يبارحونه، فرضوا به على رغم من قساوته على أن يخدموا المصالح الفرنسية وخيانة الوطن.
قطعة السلاح يجدنهم بلغة الدم ومنطق الاستيلاء	توحي هاتان العبارتان على غطرسة الاحتلال ولجوؤه إلى القتل عوض الحوار والتفاهم والتفاوض واستدعاؤه لغة العنف والقوة في التعامل مع الجزائريين.
..... الحرب أقواتها وأموالها، وجرعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها وأكلت شبابها.	توحي وتشير هذه العبارات على صورة الاستعمار إلى أن ظلم الاستعمار الفرنسي بلغ ذروته حيث مارسه على كل شيء فلم يسلم من غطرسته أي كائن وأي موجودات، وطالت يده كل شيء، فقد أثقلت الحرب أوزارها فقد سلبهم الأقوات والأموال كما ظلم الأمهات والشباب والأطفال وكل أطياف المجتمع الجزائري.
وأين قتلى ضمخت دماؤهم الغرس، من قتلى ضمخت دماؤهم أديم الأرض، وخالطت البحار.	يستنبط من هذه الكلمات المجازية ذات دلالات عاطفية انفعالية مشبعة بالإيحاء أن الدماء التي أزهقت كانت كبيرة جدا، مما جعل الإبراهيمي في حالة مزرية ونفسية كارثية دفعته في المبالغة في الإخبار عنها بقوله: "إنها غيرت لون البحار ووجه الأرض".

حقل أشكال الانسجام والترابط الدلالي:

يحتوي هذا المقال على بعض الأشكال التي تحقق الانسجام والترابط داخل النص من خلال وجود الترادف والتقارب الدلالي.

أولا: حقل الألفاظ الـدلالية المترادفة.

يقصد بالترادف حسب الإمام فخر الدين الرازي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، أي هو التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، أو هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، غير أن علماء اللغة تباينوا واختلفوا وذهبوا عكس ما ذهب إليه فخر الدين الرازي أي بين مؤيد ومعارض وهناك من أكره جملة وتفصيلا، بحجة أن ما يربط مفردات اللغة ببعضها هو التقارب الدلالي الجزئي وليس التطابق الكلي.[1]

فليست هناك مرادفات حقيقية، وليس هناك للكلمتين نفس المعنى تماما، وما يمكن قوله أن الترادف الكلي كان له الحظ الأوفر والعظيم من هذه الخطبة وهو ما ذهب إليه الذين تبنوا وأيدوا الترادف الكلي، فقد استعمل ووظف الأديب في خطبه الترادف فكثيرا ما نجده متناثرا في كتاباته، كما مال إلى استخدام وتوظيف الترادف الكلي على حساب الجزئي وهذا لا يعني إغفالا له للترادف الجزئي يستغل التقارب الدلالي مع استدعاء كل قدراته وإمكانياته اللغوية، لكي تكون له الحجة والبرهان والقدرة على إقناع المتلقي والقارئ واستمالتهم والتأثير فيه لذلك لجأنا إلى عملية استقرائية إحصائية لمجموع أنماط وأشكال الانسجام والترابط الدلالي وذلك تعبيرا عن دلالتها من خلال ما أوجده السياق التعبيري.

[1]—جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، نص، فؤاده على منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998، ص402-403.

وفي ما يلي يوضح الجدول الألفاظ الدلالية المترادفة وسياقاتها:

العاتي – الطاغي	وظّف البشير الابراهيمي هذه الألفاظ للدّلالة على صورة الاستعمار الفرنسي الحقيقية، فتجاوت هاتين اللّفظتين لتعكس مدى غطرسة السلطات الاستعمارية وتجبّرها ضدّ شعب أعزل.
الشيوخ – الزمنى	استعمل البشير الابراهيمي الترادف ليبيّن سفالة السلطات الإستعمارية التي طالت يدها الشيوخ والنّساء، وهذا التّمثيل فيضا من غيض صوّر الجرائم الفرنسية التّي لم تميّز بين الصّغير والكبير ولا قويّ ولا ضعيف.
البخت– الحظ	استعمل الكاتب ألفاظ مترادفة متقاربة من حيث المعنى الذي زاحم الشعب الجزائري في ذلك اليوم النحس، فقد أبان عن عمى السلطات الاستعمارية التي سبقت كلمتها الشّرائع والأديان والقوانين، فجعلت الجزائريين يتباكون حظّهم.
الواسع / الفسيح	استعمل البشير الابراهيمي ألفاظ دلالية ليعكس مدى طغيان وجور المستعمر الذّي انعكس على حظّ الجزائريين، وكنّ هذا اليوم حينما استنجد المنذر ابن نعمان الذي كان ذو حظّ عظيم لعلّه يقتبس من حظّه لإخوانه الجزائريين.
ظَخمَتْ/ خَالطَتْ	يوحي هذا التوظيف على حجم الخسائر التي تكبّدها الشّعب الجزائري، فأوريقت وسفكت دمائه بلا هوادة، فخالطت الدّماء اليابس والأخضر، فأضحى هذا اليوم أحمر اللّون، فقد أعلنت الحرب على طرف واحد.
الإبادة والمحو	يشير البشير الابراهيمي إلى تعرّض شعب أعزل إلى القتل والتقتيل والإبادة الجماعية ومحو أناس لمجرّد مطالبتهم بحقّهم، فلم يستثني لا النّساء ولا الشّيوخ ولا الأطفال.

أوريقت/ أوبيحت	يدل هذا التّرادف على سفك الدّماء بكلّ الطّرق والوسائل الممكنة حتّى يغطّي على وعوده ويكبح الحريّة بالقتل والسفك وإراقة الدّماء.
لا تُنسى/ لا تُمحى	يوحي هذا التّوظيف إلى عمق جراح الجزائريين ورسوخ هذا اليوم في ذاكرة التّاريخ الجزائري مهما تعاقبت الأجيال.
استصرخته/ استنجدته	وظّف الإبراهيمي هذا التّرادف على حاجة الجزائريين إلى توظيف هذه المجازر الدّموية من خلال المحافل الدّولية والعربية.
العاقل–الكافل	فقدوا العائل والكافل.
العطف–الحنان	اسمحوا على أحزانهم يد العطف والحنان.

الترادف المطلق:

تتجلى مظاهر الترادف المطلق في الألفاظ الآتية: (الشّجاع – القوي)، يوحي هذا الترادف من خلال ما يشير إليه داخل السياق إلى سمات والخصال التّي يتمتّع بها الفرد الجزائري الذّي نشأ عليها وقدرته على تحمّل المشاق والصّعاب، وهذا ما جسّده الثّامن من ماي 1945 الذّي أبان عن كفاح الشّعب الجزائري ووعيه بحقوقه، ووقوفه في وجه من أقوى القوى الاستعمارية التي تملك الوسائل الحربية المتنوّعة

(إعتقال – سجن): دلّ اللّفظان داخل سياقهما إلى مدى حقارة وسفالة الاستعمار الفرنسي الذي زجّ بالشّعب الجزائري إلى داخل السجون الاستعمارية الّتي تفنّنت في تعذيب الفرد الجزائري واعتقلت وصادرت حقوقه وممتلكاته وحريّته، وخالفت في ذلك الحقوق والحرّيات المدنية والشّعارات التّي جاءت من أجلها إلى الجزائر، فسقط القناع وكشف عن النّوايا الخبيثة التّي يكنّها الغرب للعرب وللإسلام.

(التّدمير – مهدومة من الهدم): يتبيّن من هذا التّرادف على مدى جبروت وغطرسة الاستعمار الفرنسي الذّي جرّد الشّعب الجزائري من كلّ ممتلكاته بتّدمير المنازل والقرى ليفرغ جلّ غضبه على الجزائر.

(مظلم الجوانب بالظّلم – مقشعرّ الأرض): ورد هذا الترادف في مستهلّ حديث الإبراهيمي عن هذا اليوم المشؤوم المنحوس الذّي تحوّل من النّور إلى الظلمة نتيجة الحرب، وفرقعة النّيران، والقتل، والتّشريد، وأبان عن بشاعة الاستعمار الفرنسي الذّي جعل الشّعب الجزائري مسرحا تجريبيا لعرض أسلحته الفتّاكة.

(المجد والسّيادة): جاء هذا التّرادف في معرض حديث الكاتب عن مشاركة الجزائريين في حرب لاغاية له منها، ولا هدف، ولا غاية ولا شرف، ولاسيادة نظيرة محاربته إلى جانب جلّاده مقابل وعد لن يتحقّق ولن يرى النّور.

(واسع – فسيح): يوحي هذا التّرادف داخل سياقه إلى عمق المفارقة التي عقدها الأديب بين حظّ الجزائريين، وحظّ المنذر ابن النعمان ليبيّن سوء حظّ الجزائريين عامّة، وفي ذلك اليوم على وجه الخصوص.

(لا تُنس – لا تُمحى): يشير هذا التّرادف إلى يقين الكاتب إلى عدم نسيان هذا اليوم من ذاكرة كلّ فرد جزائري تاريخا وأدبا، من ما يعمّق حزن الجزائريين مهما تعاقبت العصور، وحقدهم وكرههم للاستعمار الفرنسي.

(العائل والكافل): لفظان يشيران على شخص واحد ومسؤول واحد ومدلول واحد وهو رب العائلة الذي له مسؤولية حيال عائلة داخل كل أسرة جزائرية الذي غيب دوره وغاب عنهم بفضل تعزيز أو قتل أو نفي، فأصبحوا في أمس الحاجة إلى من يعينهم ويكفلهم ويعيلهم.

– التّضاد:

التضاد أحد خصائص العربية ؛ وهو نوع من العلاقة بين المعاني، ربما كانت أقرب الى ذهن من أيّة علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضدّ هذا المعنى الى الذهن ، ولاسيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدّية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني، فإذا جاز أنّ تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين متضادين؛ لأنّ استحضار أحدهما في الذهن يستبعد عادة استحضار الآخر.

تتجلّى مظاهر التّضاد في قول البشير الابراهيمي في توظيفه هذه الجملة التي يدلّ سياقها على التّضاد العكسي مودع إلى ميعاد يقابلها مقيم إلى غير ميعاد.

يوضّح الابراهيمي من خلال هذا التوظيف إلى بشاعة الاستعمار الفرنسي الذي جعل الشعب الجزائري يعاني الويلات من تعذيب وتحريق، وتشريد، وقتل، وترميل، حيث طبّق كلّ السّياسات الاجرامية، فهذا ان دلّ على شيء فإنّما يدلّ على زوال الظلم والجور والضّيم مهما طالت مدّة بقاؤه في الجزائر، وهذا ما دلّ عليه التّضاد فإنّه مقيم إلى غير ميعاد، فإنّ استقراء التّاريخ يحيلنا إلى سقوط الأمم الجائرة على مرّ العصور، ومنذ وجود البشرية.

إنّ التّنوع اللّغوي عند الابراهيمي جعله يستحضر التّضاد جملة وإفرادا، وهذا ما يوضّحه الجدول التالي:

التّضاد	نوعه
مبتهج/ مظلم	عكسي
أنهكهم/ أعانهم	عكسي
بؤس/ نعيم	عكسي
حريّة/ لا حريّة	تضاد غير متدرّج
القوي / الضّعيف	عكسي
المجد / السيّادة	متدرّج
الصّباح / اللّيل	تقابلي
الشرق / الغرب	تقابلي

المطلب الخامس: دراسة دلالية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "كتاب مفتوح إلى أعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري" أنموذجا.

حروف المعاني: وهي من القرائن الدلالية التي تدل على اتصال بين الألفاظ وله دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام وهذا ما نجده بين ثنايا كتابات البشير الإبراهيمي كقوله: "إن هذا كله لا يمنعنا من تأدية ما في ذمتنا من الواجب النصيحة فذكروني قبل كل شيء أن أصوات التي وصلتم بها إلى هذه المقاعد هي أصوات إخوانكم المسلمين...".[1]

وظف الإبراهيمي حروف العطف كـ (الواو و أو الفاء) والت تعد مورفيمات تساهم في ترابط النص وأجزائه فهي مورفيمات وظيفية تدخل تحتها الظروف وحروف المعاني ولكل منهما سياقها التي ترد فيه ومثال ذلك قول الخطيب: "النيابة وكالة عن جمهور؛ والشرط في الموكل أن يكون حرًّا مختارًا مطلق التصرّف. ولا أجرح عواطفكم بذكر شروط الوكيل؛ فليت

[1]—البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ص187.

شعري إذا قال النوّاب الأحرار: نحن وكلاء الأمّة، ونحن اختارتنا الأمّة. فماذا تقولون؟ ...".[1]

أما عن حروف الجر فكان لها حضورا قويا وتمثلت في توظيف (من، في، الباء، اللام، على ...) مما زاد النص تماسكا وتضام كلماته بعضها مع بعض لتؤدي معاني قريبة من أذهان السامعين في قول الخطيب: "إن من المناظر التي تثير العبر وتُسيل العبرات في هذه الانتخابات أنكم كنتم ترَوْن كما يرى الناس صندوقين للانتخاب في قرية واحدة أو شارع واحد يدخل الأوروبي إلى أحدهما منشرحَ الصدر".[2]

الأساليب الإنشائية والخبرية: وظف الإبراهيمي الأساليب الخبرية لأنه يريد أن يقدم وصايا لهؤلاء المسؤولين حين قال: "ويدخل العربي إلى الآخر خائفاً وجلا منزعجاً،مسلوب الإرادة والحرية، لا يرى حوله إلا إرهاباً وسلاحاً وألسنة تتوعد..."، أما الأساليب الإنشائية تمثلت في أسلوب النداء وهذا للفت انتباه السامعين حين قال: "**يا قوم**، نحن وأنتم من أمة جرى عليها القدر بأن يفرض عليها الاستعمار كل شيء فرضا وأن لا يعتبر رأيها حتى في أمس الأشياء بحياتها وأن لا يسمع لها صواتا...".[3]

التشبيه: نجد لهذا اللون البياني أقل حضورا وتوظيفا في خطبة البشير الإبراهيمي وذلك في أنه في مقام الوعظ لا الوصف والتشبيه، كما أن للصور الاستعارية حضورا قويا لافتا في خطبة البشير الإبراهيمي وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر قوله: "إن هذا كله لا يمنعنا من تأدية **ما في ذممنا** من واجب النصيحة ...".

---

[1]–البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ص 185.

[2]–المرجع نفسه ، ص185.

[3]–البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ص186.

وقوله أيضا: "**فابتلع أوقافه** واحتكر التصرف في مساجده ورجاله ...".[1]

وفي الأخير نستخلص أن الإبراهيمي أراد في هذه لخطبة أن يغرس الهوية الجزائرية التي دمرها الاستعمار ولفت انتباه أبناء بدله أن المناصب التي تقلودها كانت من طرف الشعب الذي وضع ثقته فيهم من أجل إصلاح ما خلفه المستعمر وأن لا ينتهجوا نهج سابقيهم.

ب- الحقول الدلالية:

وظف البشير الإبراهيمي مجموعة من الدلالات المختلفة للألفاظ والمعاني.

1-حقل الأعضاء: تضمن هذا الحقل المفهومي للألفاظ المتنوعة عبرت عنها الكلمات التالية: أعضاء، النواب، المنصب، النيابة، مصلحة، الأمة، الموظفون، الكراسي، الوكيل، النواب الأحرار، وكالة الجمهور، القضاء.

2-**حقل الأحزاب (حزب)**: مستقل، الانتخابات، صندوقين للانتخاب، الإدارة، الاختيار، أعضاء الورقة، الأحزاب الفرنسية، دستور الجزائر، تنازع الأحزاب.

3-**الحقل الدال على الموقف الجزائري**: أنتم رجال الوطن، للوطن عليكم حق الأبوة، للأمانة عليكم حق الأمومة، شرف الرجولة.

4- **حقل الألفاظ الدالة على الدين**: الإسلام، المساجد، ألزم طائره في عنقه، دينها، أوقافها، القضاء الإسلامي، المسلمون، الحج، ركن، أركان، التأويل الدّيني.

[1]-البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ص187.

الفصل الثالث:

المستويات الصرفية والتركيبية في كتابات البشير الإبراهيمي

المبحث الأول: ماهية الصرف ونشأته وتطوره.

المطلب الأول: الصرف لغة واصطلاحا.

شاع في الاستعمال عند اللغويين قديما وحديثا مصطلحان يطلقان على العلم الذي يدرس بنية الكلمة وهما التّصريف والصّرف. فما معنى التصريف؟ وما معنى الصّرف؟

أ- تعريف التصريف والصرف لغة: مصدر للفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف (صرّف) يقول صرّف فلان الأمر تصريفا دبره ووجهه[1]، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[3]، وقوله أيضا في موضع آخر: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾[4].

قال القرطبي تصريفها إرسالها عقيما وملحقة وصرا نصرا وهلاكا، وحارة وباردة ولينة، وعاصفة، وقيل تصريفها: إرسالها جنوبا، وشمالا ...[5]

فكلمة التصريف بهذا المعنى تفيد التوجيه والتدبر كما تفيد التبيين والإظهار، ويقول الأشموني: "التصريف في اللغة التغيير منه تصريف الرّياح أي تغييرها".[6]

قدم ابن منظور في كتابه لسان العرب تعريفا لغويا للصرف بقوله: "صرّف فالتسمية هنا باسم المصدر وهو بمعنى التغيير من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال، وقد وردت

---

[1]–ابن فارس، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، د ت، القاهرة، ط2، ج1، ص513.

[2]–سورة الإسراء الآية 89.

[3]–سروة البقرة الآية 164.

[4]–سورة الجاثية الآية 5.

[5]– القرطبي، جامع لأحكام القرآن، د ت، دار الشام، بيروت، ج2، ص197.

[6]–أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن حسني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له حسن حمد، إشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ-1998م، ط1، ج4، ص40.

أصول هذه الكلمة في القرآن الكريم ثلاثين مرة تفيد كلها معاني التحويل والتغيير، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[3].

كما وردت أصول هذه الكلمة في المعاجم العربية بمعاني مختلفة تفيد كلها معنى التغيير والتحويل والانتقال، فالصرف رد الشيء عن وجهه.[4]

فأتبع ابن منظور قوله: "صرفه يصرفه صرفا فانصرف أي رجع والصرف أن يصرف الفعل الثاني عن معنى الفعل الأول والصرف الحيلة. والصرف الدهر: حوادثه ونوائبه، لأنه يصرف الأشياء عن جوهرها. والصرف لبيع الذهب بالفضة وهو من ذلك، لأنه ينصرف به من جوهر إلى آخر، وصرف الكلمة إجراؤها بالتنوين والجر".

أجمع اللغويون من خلال المعاجم التي طرقت مادة صرف على أنها تفيد التغيير والتحويل.

ب- التصريف اصطلاحا: التصريف عند سيبويه هو أن تبين من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته، ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما تقتضيه قياس كلامهم وهذا هو المعروف عند المتأخرين بمسائل التصويب كقول سيبويه: "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير معتلة والمعتلة وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجيئوا في كلامهم إلا نظيره من غير بابه وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل".[5]

---

[1]- سورة الفرقان الآية 19.

[2]- سورة يوسف الآية24.

[3]- سورة التوبة الآية 127.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، د ت، د ط، مادة صَرَفَ.

[5]- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1391هـ-1975م، ج3، ص315.

ويشرح السرافي مراد سيبويه بالتصريف، والفعل، فيقول: "وأما التصريف فهو تغيير الكلمة بالحركات، والزيادات، والقلب للحروف التي رسمنا جوازها حتى تصير مثال كلمة أخرى والفعل تمثيلها بالكلمة ووزنها به".[1]

ومعنى التصريف عند سيبويه على هذا: "هو تغيير الكلمة من وزن إلى وزن آخر سواء أكان ذلك من المعتل أم من غير المعتل على نسق كلام العرب الذي تكلموا به في غير باب المعتل، أو بمعنى أن يقاس الصحيح على وزن المعتل، وعلى العكس أيضا، وهذا يكون في مسائل التمرين، والتدريبات لترويض قوانين البدل، والقلب، والحذف ومعرفة الأبنية، والميزان الصرفي وهذا ما جنح إليه سيبويه من خلال تعريفه للتصريف".

فالتصريف عند ابن جني هو تغيير الكلمة وتحويلها من بناء إلى آخر كالمضارع والماضي واسم الفاعل، واسم المفعول والمبني للمعلوم والمبني للمجهول، والمجرد والمزيد فيه وغيرها من الموضوعات التي يدور عليها مبحث التصريف. فيقول التصريف هو أن تأتي إلى الكملة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى ومثاله: أن تأتي (ضرب) فتبني منه فتقول (ضرب) ومثل مطر ضرب ومثل درهم: ضربت.[2]

ومن خلال ما سبق نرى أن ابن جني يسير على منوال سيبويه. فقد أردف له تعريفا آخر في كتابه التصريف الملوكي: "هو أن تأتي إلى حروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف، أو تحريف بضرب من ضروب التغيير فذلك هو: التصريف فيه، والتصريف لها نحو قولك ضرب فهذا مثال ماضي، وفي المضارع تقول يضرب، أو اسم الفاعل قلت ضارب ... وعلى هذا عامة التصريف في هذا النحو من كلام العرب، فمعنى التصريف هو ما أريناك وما أريناك من التلاعب بالحروف والأصول بما يراد فيها من المعاني المفادة منها، ...

---

[1]– الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد، تح: أحمد حسن مهدلي علي سيد علي، شرح السيرفي على كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، ج5، ص210.

[2]–ابن جني، المصنف، تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطى، ج1، ص33.

فلنعلم أن التصريف ينقسم إلى خمسة أضرب زيادة، بدل، حذف، تغيير، حركة أو سكون، أو إدغام".[1]

نستنتج مما سبق أن التصريف عند ابن جني يقتصر على المعنى العملي والتغيير اللفظي، ولم يدل على ذلك المعنى العلمي الأول إلا في القرن السابع هجري حينما ألف ابن حاجب كتابه (الشافية في التصريف) الذي فرق فيه بين النحو والتصريف وأصبح قسيما للنحو لا قسما منه حيث قال: "التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم وليس إعرابها".[2]

وقد ناقش الرضي هذا التعريف مناقشة عميقة عقلانية منطقية وعرض لبعض مآخذ على من سبقه في علم التصريف، لكن ليس هذا المقام مقام التأصيل في هذا.

فالتصريف عبارة عن قواعد كلية تعرف بها صيغة الاسم المعرب، والفعل غير الجامد وتعبيرها لغرض معنوي، أو لفظي، فالأول تحويل الكلمة إلى أبينة مختلفة من عدة معاني ومثاله: التصغير أو التكبير، أو اسم الفاعل، أو اسم المفعول. أما الثاني فهو تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، ولكن لمقصد آخر، وينحصر في: الإعلال، والإبدال، والنقل، والإدغام، وهو عند المتقدمين نذكر منهم سيبويه، المبرد، والمازني، وابن جني، وهو قسم من النحو، وعند المتأخرين الجرجاني، ابن عصفور، ابن مالك، ابن هشام،وهو قسيمه أي مقابلا له، ولا يندرج ضمنه، لأنهم خصصوا النحو بعلم الإعراب، والبناء وهو حسن إذ له حقيقة تامة مغايرة لحقيقة الإعراب، إلا أن علم العربية يشملها.[3]

---

[1]—ابن جني، التصريف الملوكي صيغة عثمان بن جني، تحقيق وتقديم وتعليق البارودي زهران، ص42-43-44.

[2]—ابن حاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر، الشافية في التصريف والخط، د، ت، مطبعة العامرة العثمانية، إدارة الفتح عثمان عبد الرزاق، ط2، ملحق 1، ص216.

[3]—الزموري أبو حفص، فتح اللطيف على البسط والتعريف، د ت، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، 1993م، ط2، ص04.

أما التصريف عند الأشموني فيطلق عليه شيئين، الأول تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كالتصغير والتكبير، واسم الفاعل، واسم المفعول، وهذا القسم جرت العادة أن يذكره المصنفين قبل التصريف، وفي الحقيقة هو منه. والآخر تغيير الكلمة من غير معنى طارئ عليها ولكن لغرض آخر ينحصر في الإعلال والحذف، والإبدال والقلب والنقل والإدغام، وهذا القسم هو المقصود هنا بقولهم التصريف، ولهذا تعتبر أحكام كالصحبة والإعلال والمعرفة تلك الأحكام وما يتعلق بها تسمى علم التصريف.[1]

كما عرف كمال بشر التصريف بقوله أن الصرف والتصريف أعم وأشمل في مضمونه مما أراد له ابن جني بمصطلح التصريف، إنه في هذه التعريفات يشمل نوعين من التغيير الأول في الصيغ لإفادة معاني جديدة، أو كما عبروا عنه – تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة باختلاف المعاني- ومثاله تغيير صيغة الإفراد مثلا إلا التثنية أو الجمع أو تغييرها من صورة التكبير إلى التصغير.

ومن المعلوم أن المعنى المقصود يتجاوز المعاني المعجمية إلى الصرفية التي تكتسبها الصيغة بتغييرها في صورة جديدة أو قل إنها الخواص الصرفية للكلمات التي يترتب على وجودها وجود خواص معينة في الجمل والتراكيب.[2]

أما النوع الثاني من التغيير فهو "تغيير في شكل الكلمة، وصورها دون أن يترتب على ذلك تغيير في قيمتها، أو معانيها الصرفية، كتغيير الكلمة إلى وزن معين إلحاقها بكلمة أخرى، ومثال ذلك كتغيير غزو إلى غزا".[3]

---

[1]–شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له ووضع له هوامشه وفهارسه حسن حمد، إشراف إميل بديع يعقوب، ج4، ص40.

[2]–كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د ت، الفرقة الرابعة، دار الثقافة العربية، د ط، د س، ص174.

[3]–المرجع نفسه، ص174.

كما أن الصرف يعتمد على الأصوات في كثير من مسائله، ومن أظهر الأمثلة على ذلك الإعلال والإبدال، والنحو يعتمد على الأصوات والصرف في المعنى، وتعمل كل المستويات مجتمعة لخدمة النص من خلال خدمة المعنى، إذ هو الهدف الأساسي من النص.[1]

من خلال التعاريف السابقة للتصريف يتضح أن له معنيين أحدهما عملي وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعاني مقصودة لا تحصل إلا بها، كتحويل المصدر إلى اسمه الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل، واسمي الزمان والمكان، والجمع والتصغير، والثاني علمي وهو علم بأصول تعرف بها أحوال بنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء.[2]

فالمعنى الأول يدل على التصريف لأنه يرتبط بكثرة الأبنية، واشتقاقاتها والعمل فيها، والمعنى الثاني يدل على الرف لأنه متعلق بالأصول الكلية التي تبنى عليها معرفة أحوال المفردات. ومن الملاحظ أن القدامى لم يفرقوا بينهما، ووظفوهما في معنى واحد، حتى وإن كان التصريف أبلغ من الصرف، فالصرف أو التصريف بالمعنى الأشمل والأعم: وهو المعنى الذي صرح وقدم له المتأخرين وهذا ما بينته المفاهيم والتعاريف المذكورة أعلاه.

كما نخلص أنه يصعب التفريق بين الصرف والتصريف، حتى وإن كنا نلاحظ أن التصريف فيه ما يدل على الكثرة والمبالغة في التصريفات، والتغيرات التي تطرأ على بينة الكلمة، أما الصرف فيدل على العلم الشامل العام المنفصل القائم بذاته منفرد بقوانينه ومتميز بضوابطه وهو المصطلح الأنسب لتوافقه وانسجامه مع مصطلح النحو من حيث عدد الحروف، والوزن فهو قسيمه.

---

[1]—محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، د ت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، د ط، ص108.

[2]—خديجة الحديثي، أبينة الصرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، مكتبة لبنان ناشرون، 2003، ط1، ص19.

المطلب الثاني: بداية ونشأة علم الصرف وتطوره.

نشأ الصرف، والإعراب بعد ما شعر العرب بحاجتهما إليهما وذلك لحفظ القرآن الكريم من اللحن الذي انتشر نتيجة دخول العجم إلى الإسلام، ولفهم النص القرآني باعتباره مناط التكليف وأساسه ومنبع الأحكام التي تنتظم بها الحياة.[1]

ولم تكن العلوم الصرفية، والنحوية منفصلة عن بعضهما البعض، وبقية كذلك ردحا طويلا من الزمن، حتى ابن جني لم يفرق وذلك في القرن الرابع هجري عندما عرف النحو بقوله: "هو انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره من التثنية أو الجمع أو التحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منها، وإن اشتد بعضهم عنها ردا بها إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي: نحوت نحوا".[2]

ثم توالى العلماء وتسابقوا وسالت أقلامهم وتبارت أقوالهم وتباينت أراءهم فأرادوا البحث في موضوعات الصرف المختلفة بعد أن فصلوه عن النحو ودونوا له كتبا خاصة، ويمكن أن نقسم تاريخ نشأة الصرف إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: بدايتها قبل أن يألف سيبويه كتابه وتنتهي بصدور كتاب هذا الأخير.

المرحلة الثانية: بدايتها من صدور كتاب سيبويه، ولا نعرف شيئا عن تاريخ الصرف في المرحلة الأولى ولا عن أول من كتب فيه، أو تكلم في بعض موضوعاته. وكل ما ذكرته الروايات أن من تكلم فيه هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكرت روايات أخرى أن

---

[1]– عبده الراجحي، فقه اللغة في كتب العربية، د ت، دار النهضة، بيروت، ط2، ص34-35.

[2]– ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1371هـ-1952م، ج1، ص343.

أول من بحث فيه معاذ بن مسلم الهراء الذي ولد زمن عبد الملك بن مروان، وتوفي 187هـ حسب ما ورد أو جاء في بغية الوعاة وكما جاء في الطبقات.[1]

ويعتمد من قال إنه واضع لعلم الصرف على رواية السيوطي والتي مفادها: "وكان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد جلس إلى معاذ فسمعه يناظر رجلا ويقول له كيف تقول من (تؤزهم أزا) ونظيره قوله تعالى أيضا: ((... أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)): يا فاعل افعل؟ وقد علق السيوطي على هذه الرواية لقوله ذكر ذلك كله الزبيدي، ومن هنا لمحنا أن أول من وضع الصرف معاذ".[2]

فإن هذه الرواية لم تؤول من بعض المحدثين جيدا، لأن معاذ في الحقيقة هو أول من حاول فصل علم الصرف عن علم الإعراب اللذان كانا ضمن علم واحد موحد وعلى كل حال فهذه الرواية لا تستحق التعليق والنقد لفقدانها المنهجية العلمية في أخذهم لها، ولأن الرواية غير مستندة على مبرر، وكذلك الروايات التي تقول أن أول من تكلم في علم الصرف هو يضرب بن عاصم المتوفي 89هـ أو عبد الرحمان بن هومز المتوفي سنة 117هـ[3]، كما أن هذه الرواية لا تستحق التعليق ويكفي أن يعرف أن هؤلاء كانوا من تلامذة أبو الأسود الدؤالي.[4]

ونبدأ الكلام على المرحلة الثانية وهي التي تبدأ بكتاب سيبويه، يعتبر هذا الكتاب كما أسلفنا الذكر الأول مؤلف فيه كثير من مسائل الصرف، وموضوعاته، وإن لم تكن

---

[1]– جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقة النحويين واللغويين، مطبعة السعادة، مصر، 1326هـ، ط1، ص393. ينظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، 1373هـ-1954م، ط1، ص135، ينظر بعداش علي، الميزان الصرفي العربي – أصوله وتطبيقاته –الأفعال دراسة أنموذجية في ديوان زهير بن أبي سلمى، رسالة ماجيستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2009م، ص10.

[2]– السيوطي، المصدر نفسه، ص393، وينظر الزبيدي طبقات النحويين واللغويين، ص135.

[3]– السيوطي، ج1، ص397، ينظر المزهر.

[4]–بعداش علي، الميزان الصرفي العربي، المرجع السابق، ص11.

مرتبة ولا موبة كما فعل المعاصرين، وقد أفرد في الكلام على المجرد، والمزيد فيه من الأسماء الثلاثية، والرباعية والخماسية "هو باب ما بنية العرب من الأسماء والصفات، والأفعال غير المعتلة، والمعتلة، وما قيس من الصحيح الذي يتكلمون به ولم يجيء في كلامهم إلا مثاله من غير بابه وهو الذي يسميه النحويين التصريف والفعل".[1]

والأفعال بأنواعها مجردة والمزيدة، وتكلم عن مواضيع الزيادة، وكيفية معرفة الحروف، والزيادة. ثم عقد باب بعنوان ما مضى من المعتل، وما اختص به من البناء دونما مضى، والهمزة، والتضعيف، تكلم فيه على معتل الفاء، والعين واللام، بالواو والياء والمضعف، وفصل فيها القول عن كيفية البناء منها على أوزان ما مضى من الصحيح ذاكرا ما يحدث فيها من إعلال، أو قلب، أو إدغام، أو إبدال أو غير ذلك من التغييرات.

وفي أثناء كلامه عن هذه الموضوعات أفرد أبوابا صغيرة بعنوان "قلب الياء واو" و"قلب الواو ياء".[2] وغيرهما من ما كان له الأثر في تكوين القواعد، وأصول جمعت فيها بابي الإعلال والحذف ومن مواضيع أخرى التي أدخلها في باب التصريف الذي يقصد به "التمرين"، "الإدغام" وفيه تكلم عن مخارج الحروف وأنواعها وبين مواقع الإدغام وذكر موضوعات أخرى.[3]

لايسع المقام ذكر الأبواب كاملة ويتضح مما تقدم أن سيبويه تكلم في الصرف، وموضوعاته المختلفة والمتباينة والمتشعبة. وإن لم يرتبها ولم يبوبها ، كما فعل المتأخرين ومع أنه لم يقصد الصرف بمعنيه العملي والعلمي، بحكم أنه كان يفرد بعد كل قسم من أقسام المعتل يذكر فيه ما قيس من ما لم يرد عن العرب على ما ورد عنهم، مع أنه لم يقصد ذلك، إلا أنه ترك للباحثين مجالا يتبينون فيه المعنى العلمي والعملي للصرف من موضوعاته

---

[1]– سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، المصدر السابق، ج2، ص ص315-354.

[2]– المصدر نفسه، ج2، ص315، ص354.

[3]– المصدر نفسه، ص357، ص369، ص371، ص377، ص384، ص386.

الكثيرة المتناثرة في تصانيف الكتاب، ولا سيما من الأبواب التي أفردها للتصريف وتوالى وتتابع التأليف في الصرف بعد سيبويه فكان قطافها ونتاجها بعض الكتب منها ما ضاع، ومنها ما وصل إلينا، ومن أهمها كتاب "التصريف" لأبي عثمان المازني ويعد هذا الأخير أقدم كتاب وصل إلينا أفرد فيه التصريف بالبحث على الرغم من أنه لا يخرج عما جاء به سيبويه في الكتاب مع تلخيص وإضافة بعض الشواهد والأمثلة، ولا سيما في باب "ما قيس من المعتل" ولم يجئ مثاله إلا من الصحيح.[1]

فقد زاد على سيبويه أمثلة أخرى في القياس وانفرد ببعض الآراء الخاصة في الإلحاق، وذلك بأن نبه القارئ إلى جعل بعض الصيغ قياسية.[2] وأضاف باب ما قيس من الصحيح على ما جاء من كلام العرب وإبدال الواو المقصورة في أول كلمة ومثالها وسادة، إسادة، ووعاء، إعاء وغيرها، ومثال إبدال الهمزة الثانية من أفعل التفضيل ومثال ذلك (أوم) وقد أخرج الإدغام[3] من التصريف، لأنه خاص بقراء القرآن لكريم ، بقوله: "إنما هو – التصريف– والإدغام والإمالة فصل من فصول العربية وأكثر من يسأل عن الإدغام والإمالة قراء، القرآن الكريم".[4]

الجدير بالذكر أنه لم يخرج عن سيبويه، وبذلك لم يأتي أبو عثمان المازني بكثير من الآراء الجديدة، بل لخص ما جاء به سيبويه في الكتاب مع بعض التقديم والتأخير، وإضافة بعض الآراء التي لم تذكر في (الكتاب)، ويمكن القول بأن أبي عثمان كان من الأوائل الذين أفردوا للصرف كتابا خاصا وفصله عن النحو.

---

[1]– ابن جني، المصنف، تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ-1999م، ط1، ج2، ص480.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص171.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص171، ص209، ص535.

[4]– المصدر نفسه، ج2، ص340.

وألف أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي كتاب "الجمل عن بعض موضوعات الصرف" كجموع التكسير، وأبنية المصادر، واسمي الزمان والمكان، واسم الفاعل واسم المفعول، والإدغام والإمالة، فهو في هذه الموضوعات لم يشرحها شرحا وافيا، ولكنه اكتفة بذكر الأبنية، ومخارج الحروف وأنواع الإمالة بصورة وجيزة، وبذلك لم يقدم أي إضافة لما جاء في كتاب سيبويه.

وقام بشرح كتاب ابن جني الموسوم بـ "المصنف في شرح التصريف"، وقد جمع هذا الشرح مختلف الآراء في المسائل التي بحثها المازني وقارن بينهما، واختار ما رآه مناسبا وصحيحا، أو أقرب للصواب. ولم يكتف ابن جني بالشرح، بل أفرد له كتابا خاصا من تأليفه بعنوان "تصريف الملوكي" ويعد هذا الأخير أول الخطوات الجديدة في علم الصرف، لأنه رتب موضوعاته ترتيبا أدق من ترتيب سيبويه والمازني، بجمعه القواعد التي ذكرها سيبويه في أبواب التصريف وقسمها، وصنفها، وصنف لكل قسم منها عنوانا جديدا يحوي ما تفرق من المسائل المتشابهة في فصل أو باب واحد.[1] والموضوعات التي جاءت ووردت مرتبة فهي كالآتي: المجرد، المزيد، والبدل والتغيير بالحركة والسكون، والحذف، والعقود، والقوانين التي ينتفع بها في علم الصرف. وختم كتابه بفصل عن الرياضة والتدرب عند علماء الصرف، ولم يشر إلى ذلك في الكتاب.[2]

ويتبين أن الموضوعات التي أخذت حيزا كبيرا وعقد لها بابا منفردا ومستقلا هي: الحذف، وقد جمع فيه مواقع الحذف من مختلف أبواب الصرف "والتغيير بالحركة والسكون"، وموضوع العقود، "وقوانين ينتفع بها في علم الصرف"، ومواقع "قلب حروف العلة بعضها من الآخر"، ومن الهمزة إلى الهمزة، وقد خصص هذا الفصل في ما بعد قسما من باب الإعلال.

وقد اعتمد ابن جني في تأليفه على منهج مختلف ومغايرعن منهج سيبويه في كتابه، بل وحتى المازني، لأنه رتب موضوعات الصرف ترتيبا أدق من ترتيبهما كما أسلفنا سابقا.

---

[1]– ابن جني، تصريف الملوكي، د ت، طبعة أوروبا، 1985م، ص52.

[2]– المصدر نفسه، ص52.

ويعتبر كتاب التصريف الملوكي أكثر دلالة ودقة من سابقيه على المعنى العلمي والعملي للصرف لما فيه من تقعيد وتقرير لأصوله، وإن لم يجمع مؤلفه فيه موضوعات الصرف العلمي كله، لأنه لم يتحدث عن الإمالة، والتقاء الساكنين، وتحقيق الهمزة، والابتداء بالساكن، كما أنه لم يتكلم عن المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول، وغيرهما، والجمع والنسب والتصغير.

ولم يتفق ابن جني عند شرح التصريف للمازني، وكتاب التصريف الملوكي في بحث الصرف فحسب، وإنما تكلم عليه في كتبه الأخرى ونخص بالذكر الخصائص الذي تطرق فيه إلى بعض الأبنية، والاشتقاق والقلب المكاني وغيرهما[1]، وفي كتابه "التمام في تفسير أشعار هذيل".

لا يسعنا المقال لذكر كل مصنفات علم الصرف فاقتصرنا على ما ذكر أعلاه.

ومما يمكن قوله إجمالا أن الدراسات لم تشهد تقدما بعد ابن حاجب وابن مالك والأغلب من كتبوا في علم الصرف لم يقدموا تلك الإضافة المرجوة، وإنما عمدوا إلى التلخيص، وكانوا عيالا عليهما في مادة الصرف والمنهجية المتبعة في البحث فيه، مع الاستفادة مما طرقه سيبويه ومن جاء من بعده من أمثال المازني والزمخشري وغيرهما.

ونستنتج بأن علم الصرف نشأ كمسائل متفرقة ومتشتتة في كتب النحو، وخاصة في كتاب سيبويه الذي عمل على جمع قضاياه الكثيرة. ومما يآخذ عليه أنه لم يصنفها ولم يبوبها أو أنه لم يضعها موضعها الأخير، وقد وقع هذا على عاتق من جاء بعده، فكتب في الصرف المازني ولكنه يخالف كثيرا عن مادة الصرف مع إجازها وتدارك بعض المسائل القليلة، وبعض الآراء ممن أخذ عنهم. فجاء ابن جني فأحسن الترتيب مقارنة بمن سبقه

[1]– ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ج2، ص132، ص134، ص145، ص149، وغيرها.

وعزز مادة الصرف، فقد أسهب وأطال في موضوعاته. وناقش كثيرا من الآراء، إلا أنه لم يضعها موضعه النهائي، وإن رتبه ترتيبا أدق من ترتيب المتقدمين.

وأخذت بحوث علم الصرف صورته الأخيرة وموضعها النهائي على يد ابن حاجب الذي هذب مسائل ورتب أبوابه وجمع ما تفرق منه في الكتب الأخرى، فكان كتابه "الشافية" من خيرة الكتب التي شكلت الصرف من ناحية الإحاطة والتبويب، وكان ابن مالك من الأواخر الذين بحثوا في موضوعاته بحثا ماتعا شافيا، فقد فصل في أبوابه، ولم يأتي من بعده من جاء بجديد أو ببحوث فيها متعة، وكل ما فعله المتأخرون ما هو إلى تلخيص للكتب المتقدمة، أو شرحها، أو التعليق عليها، ومثال ذلك شروح الشافية الكثيرة، وشروح كتي ابن مالك، ونخص بالذكر الألفية والتسهيل.

المبحث الثاني: المشتقات والمبنيات في علم الصرف.

المطلب الأول: صيغ المبالغة واسم الفاعل وأبنيتهما.

أولا: تعريف المبالغة لغة واصطلاحا.

أ– لغة: بلغ الشيء يبلُغُ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى ...والبلاغ: مابلغك، والبلاغ: الكفاية ...وبالغَ يبالغ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد في الأمر[1]. وذكر صاحب أساس البلاغة أنّ: بلغ الصبي بمعنى أدرك، وبلغ مني ما قلت...وأبلغت إلى فلان: فعلت بهما بلغ به الأذى والمكروه البليغ. وتبلّغت بها لعلة: اشتدت. ويقول ابن دريد: بلغ الرجل جهده وجهد هو مجهوده: إذا بلغ أقصى قوته وطوقه[2]. وذكر صاحب تهذيب اللغة[3]: المبالغة أن تبلغ من العمل جهدك.

ب– اصطلاحا: عقد"ابن فارس"باباً في كتابه الصّاحب وَسمّاه بـ"باب البناء الدّال على الكثرة"[4] ؛ ويعني به صيغ المبالغة. فالمبالغة عنده تعني الدّلالة على الكثرة وعرفها "ابن مالك" بأنّها: بناء يصاغ للدلالة على الكثرة عن اسم الفاعل[5]. ووصفها الأشموني بأنّها: صيغ محولة عن اسم الفاعل إلى أمثلة أخرى لقصد المبالغة والتكثير[6]، وتعريف المحدثين لم يختلف كثيرا عن تعريف السّابقين، يقول الحملاوي– معرفا– صيغ المبالغة: تحول صيغة " فاعل" للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث إلى أوزان خمسة مشهورة، تسمى صيغ المبالغة[7]. ويرى عبده الراجحي أنها: عبارة عن أسماء تشتق من

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة بلغ، ج1، ص48-49

[2] – الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1341- 1922، مادة بلغ، ج1، ص 62-63.

[3] – جمهرة اللغة، المصدر السابق، مادة جهد، ج1، ص 452.

[4] – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ط1، 1414-1993، ص 227.

[5] – شرح على ابن عقيل على ألفية مالك، المصدر السابق، ج3، ص111.

[6] – حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية مالك، المصدر السابق، ج2، ص488.

[7] – شذا العرف في فن الصرف، المصدر السابق، ص80

الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته، والمبالغة فيه، وهي لا تشتق إلا من الفعل الثلاثي[1].

ثانيا: أبنيتها.

لكلّ صيغة زائدة من صيغ الأفعال معنى محدّد تؤدّيه في الكلام، يبدي أنّ السّياق قد يفرض عليها أن تتخلى عن دلالتها الأصلية؛ لتؤدّي معنى دلاليا جديدا، هذا المعنى الدلالي الجديد قد يكون دالا على المبالغة في الفعل. وهذه المبالغة ناتجة عن زيادة في المبنى، حيث إنَّ كل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى؛ لأنّ الألفاظ أدلّة المعاني؛ فإذا زيدت الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [3].

قال الزركشي: وهو أبلغ من قادر؛ للدّلالة على أنه قادر ومتمكّن القدرة، لا يرد شيء عن اقتضاء قدرته، ويسمّى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى[4]، ومن أمثلة ذلك:

1- صيغة الفعل افتعل:

تأتي للدّلالة على المبالغة والإكثار في الفعل،كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [5].

قال الزركشي: فإن الأمر بصيغة الافتعال (اصطبر) أبلغ من الأمر بالصبر في صيغة (اصبر). يقول ابن الحاجب في ذكر المعاني الّتي تأتي عليها (افتعل): "....." وللتصرف"، أي: الاجتهاد والاضطراب في تحصيل الفعل، فمعنى كسب أصاب ومعنى اكتسب : اجتهد في تحصيل

[1] – عبده الراجحي، النحو الوافي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ج3، د ت، ص 257.

[2] – سيبويه، الكتاب، المصدر السابق، ج1، ص 110

[3] – سورة القمر، الآية: 42.

[4] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج3، ص 24.

[5] – سورة مريم، الآية: 65.

الإصابة بأن زاول أسبابها، فلهذا قال الله " لها ما كسبت" أي: اجتهدت في الخير، وعليها ما اكتسبت، أي لا تؤاخذ إلا بما اجتهدت في تحصيله، وبالغت فيه من المعاصي. يقول عظيمة: جاء افتعل بمعنى الفعل الثلاثي: كما في اتّبع، وارتضى، وارتقب، واشتد، واغتاب، وافتدى...وأفاد المبالغة كما في: اجتثت، واجترحوا، وارتد، واصطاد. وفي المحتسب: اكتسب أقوى من كَسب[1].

2- صيغتا الفعل (تفعل)، و(يفعل):

حيث يدلّان في الاستعمال على المبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [3]، يقول فاضل السامرائي –معقبا على الآيتين-، ففي آية الأنعام (يتضرعون)، وفي الأعراف (يضرعون) ... وذلك لأن الأمم أكثر من القرية، وفي هذا تطاول للإرسال على مدار التاريخ، فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء، فقال: يتضرعون، أما القرية فجاء بما هو أقصر في البناء "يضرعون".

وقد جاء في الآيتين بالصيغ الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [4] قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة (يطْهُرْنَ) ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج3، ص 24.

[2] – سورة الأنعام، الآية: 42.

[3] – سورة الأعراف، الآية: 94.

[4] – سورة البقرة، الآية: 222

زيادة المبنى تد على زيادة المعنى. أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة[1]. ويقول صاحب التفسير الوسيط عند تفسير لقوله تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [2]، حيث قال: (تأذن) بمعنى آذن، أي: أعلم، يقال: آذن الأمر وبالأمر، أي: أعلمه، إلا أن صيغة تفيد المبالغة في الإعلام، فيكون معنى (تأذن): أعمل إعلاما واضحا بليغا لا التباس معه ولا شبهة[3].

ثالثا: أبنية المشتقات الدالة على المبالغة على وزن "فاعل".

ودلالة هذه المشتقات على معنى المبالغة متعلّق بعد ولهذه الأبنية عن معناها الأصيل، واستعمالها للدلالة على معنى المبالغة، سواء أكان ذلك بسبب ورودها في سياق معين يفرض عليها هذا المعنى الجديد، أو لإنابتها عن معنى بناء صرفي آخر من أبنية المشتقات.

1- دلالة اسم الفاعل على المبالغة :

اسم الفاعل يُصاغ للدلالة على الحدث والحدوث وفاعله،كما ذهب إلى ذلك ابن هشام. وفق قواعد اشتقاقه من الفعل الثلاثي وغير لثلاثي، غير أنه قد يفارق هذه الدّلالة الأصلية له، للدّلالة على معنى المبالغة والتكثير وقد يستعمل للدلالة على المبالغة بمعناها لأصيل[4]. يقول صاحب خزانة الأدب: "ونحن ننقل لك كلام سيبويه– هنا-؛ ليظهر لك حقيقة الحال، قال في باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين، من أوائل الكتاب: وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل؛ لأنّه لا يريد منه ما أريد بفاعل من إيقاع الفعل إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة[5].

أ- ومن الأمثلة الّتي استعمل فيها اسم الفاعل بمعناه الأصلي؛ للدّلالة على المبالغة ما يلي:

---

[1] – فاضل صالح السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، 1427-2006، ط2، ص 39.

[2]– سورة الأعراف، الآية: 167.

[3] – محمد سيد الطنطاوي، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط1، ج7، ص521.

[4] – ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، المصدر السابق، ج3، ص 216.

[5] – عبد القادر ابن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخناجي بالقاهرة، 1418- 1997، ج2، ص 156.

قولـه تعـالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾"[1]، ورجح الآلوسي أنَّ صيغة عاصم تحمل على معنى صيغة اسم الفاعل، وليست بمعنى اسم المفعول، كما ذهب إلى ذلك بعض اللغويين. حيث قال: "لا عاصم اليوم من أمر الله" نفي لجنس العاصم المنتظم لنفي جميع أفراد هذاتا وصفة للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما. وأنَّ عاصم أعلى ظاهره، والاستثناء مفرغ، والمعنى لا عاصم اليوم أحدا أو لأحد إلا من رحمه الله أو لمن رحمه الله سبحانه. فاستعمال لفظ"عاصم" كان أشمل من استعمال لفظ "معصوم" لتحدّد المعن بشيء واحد،إذا ما استخدم هذا الأخير. ولكن هل ما ذكر العاصم استدعى معصوما مفهوما من السّياق ... فكأنه قال: "لا عاصم اليوم من أمر الله "بقي في الذهن طالبا للمعصوم ... ورد لهذا اللفظ باختصار هو جلالته وفصاحته على نفي كل عاصم سواه، وعلى نفي كل معصوم سوى من رحمه الله[2].

ب– إنابة اسم الفاعل عن المفعول للمبالغة:

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧﴾ [3] أي: عيشة مرضية كما قال الخليل. وذهب الفراء إلى أنَّ هذا التناوب منسوب إلى أهل الحجاز، حيث قال: وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم، كقولهم :سر كاتم، أي: مكتوم. وذكر الإمام الآلوسي أنَّ راضية بمعنى المفعول، أي:مرضية على التجوز في الكلمة نفسها، وأن يكون الإسناد مجازيا وهو حقيقة إلى صاحب العيشة. وجوز أن يكون في الكلام استعارة مكنية وتخييلية، إذن وصف عيشة أهل الجنة بأنها راضية على صيغة اسم الفاعل استعارة مكنية. إذ إنها شخصت العيشة– ههنا –

[1]– سورة هود، الآية: 43.

[2] – الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم وسبع المثاني، ضبطه وصححه عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1416-1996، ج15، ص 34.

[3]– سورة القارعة، الآية: 7.

وكأنّها شخص من سكان الجنة قد ذاق نعيمها ورضي به، وفي هذا الوصف معنى المبالغة[1]. وحملها القرطبي على أنَّ عيشة راضية أي: فاعلة للرضا، وهو اللين والانقياد لأهلها، فالفعل للعيشة لأنّها أعطت الرّضا من نفسها، وهو اللّين والانقياد[2]. وعد الزّمخشري- هذا- من باب الإسناد المجازي المفضي إلى المبالغة في الكلام.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [3] قال الثعالبي: "حرما آمنا" بمعنى المأمون فيه، فاسم الفاعل – هنا- بمعنى اسم المفعول للدّلالة على المبالغة. فجعل الأمان للحرم نفسه، مع أنَّ الأمان يكون لمن يأتون إليه، وهذا من باب المبالغة[4]. قال الطّبري: آمنا يأمن فيه من سكنه، حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد في قوله تعالى "آمنا" قال: من أمَّ إليه فهو آمن، كان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يعرض له. واعلم أنه يجوز وصف القرية بالأمن، وإن كان ذلك لأجل أنها مكان الأمن وظرف له، والظّروف من الأزمنة والأمكنة توصف بما حلَّها كما يقال: طيّب ، وحار، وبارد[5].

المطلب الثاني: الجملة البسيطة والمركبة.

الجملة عند النحاة والبلاغيين:

تتوزع الدراسة اللغوية على مستويات بحسب مكونات اللغة، فهناك الدراسة الصوتية والدراسة المعجمية، وتليهما الدراسة التركيبية التي تنطلق أساسا من الجملة البسيطة والتي تتميز بمبدأ

[1] – الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم وسبع المثاني، المصدر السابق، ج6، ص257.

[2] أبو عبد الله ابن أحمد الأنصاري القرطبي، تح أحمد البردوني وابراهيم أتفيش، دار الكتب المصرية، 1384-1964، ط2، ج30، ص166.

[3]– سورة العنكبوت، الآية: 67.

[4] – الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تح شيخ محمد علي معوض والشيخ أحمد عبد الموجود، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ج4، ص675.

[5] – الطبري، جامع البيان عن التأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د ط، د ت، ج20، ص62.

بساطتها[1]، وهي تشمل مستوى أوسع من المستويين السباقين، وتستمد ذلك كونها تحمل فكرة واحدة أو معينة، فموضوع الدراسة التركيبية هو بنية الجملة، فتقوم بتعين الوحدات الدالة المشكلة لها، وتحديد العلاقات التي تربط هذه الوحدات بعضها البعض[2]، ويكون لهذه العلاقات في الجملة دور في إعطاء كيان وبناء لغوي متماسك لها.

والجملة في مفهومها اللغوي مشتقة من الفعل "جمل" وتطلق في أصلها على الجمع والحساب والإحصاء، حيث يذكر ابن منظور بأن "جمل الشيء يعني جمعه، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره"[3]، فالجملة إذن تدل على العدد والكم.

وقد ذكر الله -عزّو وجلّ- الجملة في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [4]؛ حيث أخبر الله تعالى عن كثرة اعتراض الكفار في نزول الكتاب دفعة واحدة من غير تقسيم ولا تفريق، فأجابهم بأنه أنزله منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث.[5]

واستعملها القدامى كالخليل (ت 175هـ)، وابن السراج (ت 316هـ) والزجاجي (ت 337هـ) عنوانا لمؤلفاتهم، وكانوا يقصدون بها معنى كلمة (مجموعة) ومثال ذلك: جمل الألفات، اللامات، الواوات.[6]

---

[1]– مصطفى سعيد الصليبي، الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري، دراسة نحوية تطبيقية إحصائية، ح1، دار هومة، الجزائر، ص19.

[2]– عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، نوفمبر، 2003، ص94.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، المجلد 203/3.

[4]– سورة الفرقان، الآية 32.

[5]–ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، 297/03.

[6]–مختار بوعناني، نحو الجمل، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص129.

فكل ما يجمع ويحسب جملة، وكذلك الكلمات إذا جمعت فيما بينها فإنها تؤلف جملة.

ومما هو متفق عليه أن مصطلح الكلام شاع بدل (الجملة) منذ بداية الدراسة اللغوية، فقد لقي من العناية في جهود القدماء ما يفوق كل اعتبار واهتم به العرب ووصفوا به مختلف الممارسات اللفظية.[1]

وشروطه تتطابق مع شروط الجملة قديما وحديثا، أي أنه يشتمل على اللفظ والإفادة، وانطلاقا منه "تحددت البلاغة والفصاحة والبيان، وقامت على أساسه مختلف الآراء النقدية المتعلقة بالجودة والرداءة".[2]

وفي الكتاب لسيبويه (ت 180هـ) دليل على ذلك؛ فقد قسم في باب "باب الاستقامة من الكلام والإحالة الكلام إلى خمسة أقسام"، فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.[3]

وينبني هذا التقسيم على شرطين أساسيين هما:

- سلامة تركيب الكلام.
- اعتماد الوضوح وتخير الألفاظ المألوفة الدالة.[4]

وشروط إفادته أن يتضمن مسندا ومسندا إليه، وهو عنده مرادف للجملة.

ويعد حديث الخطابي (ت 388هـ) "بيان إعجاز القرآن" من بين أُدم الدراسات اللغوية التي وصلتنا عن الكلام، حيث قام بتفصيله أجناسه وتحديد مراتبه، ومنها: "أجناس الكلام مختلفة وراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة غير متساوية، منها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود".[5]

---

[1]–سعيد يقطين، الكلام والخبر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص133.

[2]– سعيد يقطين، المرجع نفسه، ص135.

[3]–سيبويه الكتاب، 25/01، 26.

[4]–عبد القادر بن عسلة، أثر السلامة اللغوية التواصلية، مجلة اللغة والاتصال، ع2، أفريل 2006، ص76.

[5]– الخطابي، بين إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص26.

وبعد استحسان الخطابي لهذه الأجناس الثلاثة للكلام، أتى إلى ذكر وتصنيف مراتبه قائلا: "فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام؛ لأنه يمثل مبلغ البيان وجودة التعبير وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده لأنه يعبر عن المقاصد بأسلوب سهل مستقيم، والقسم الثالث أدناه وأقربه؛ وهو الذي تجتمع فيه صفة البيان والفصاحة بنسبة أقل من القسمين السابقين".[1]

والقاسم المشترك بين هذه الأقسام هو "البيان" أو كما سماه الخطابي "نسبة التبيان" وهو كذلك يختلف من قسم لآخر.

ولا يكون الكلام كلاما عند الخطابي إلا إذا توافرت فيه ثلاث شروط، قال عنها: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة، لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[2]، فهو يشير إلا أن الألفاظ لا قيمة لها ولا وظيفة إلا إذا ربطت فيما بينها وعلق بعضها ببعض، فالكلام المفيد إنما هو نتيجة لاجتماع وانتظام الألفاظ فيما بينها.

ويعرف أحمد بن فارس (ت 390هـ) في "الصاحبي" "الكلام الواضح" بقوله: "هو الذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب؛ كقول القائل: شربت ماء، و لقيت زيدا".[3]

وهو يتعرض إلى قضية الوضوح والإشكال في المعاني، وتقسيمه هذا يقوم على مفهوم الجملة المفيدة.

ويذكر الإمام الرازي (ت 606هـ) في مؤلفه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" فكرة تمام معنى الكلام، واستشهد ببيت بشار بن برد حيث يقول:

---

[1]– الخطابي، المصدر السابق، ص26.

[2]– الخطابي، المصدر نفسه، ص27.

[3]– أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص73.

كـــأن مثـــار النقـــع فـــوق رؤوســـنا وأســـيافنا ليـــل تهـــاوى كواكبـــه

معلقا عليه فقوله: "كأن مثار النقع إلى وأسيافنا جزء واحد وليل تهاوى كواكبه بجملته الجزء الذي ما لم تأتي به لم تكن قد أتيت بكلام".[1]

واهتم بن هشام (ت 761هـ) في "مغني اللبيب" بتفسير الجملة وقارن بينها وبين مصطلح الكلام، حيث يقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه"[2]، فالكلام هو ما تحقق فيه شرط الإفادة، بحيث لا يحتاج المتلقي فيه إلى ما يتمم معناه ويكتفي بمعرفة قصد المتكلم بما تلقى من عناصر لغوية.

أما الجملة فهي تختلف عن الكلام في مسألة إفادة المعاني، وهي "عبارة عن الفع وفاعله كـ: قام زيد، والمبتدأ وخبره كـ: زيد قائم".[3]

وشغلت الجملة حيزا مهما في الدراسات اللغوية –تراثية كانت أم حديثة– وأولاها كل من النحوي والبلاغي اهتمام بالغا، وكل ذلك راجع إلى قيمتها التبليغية.

فكان يسود كتب النحو –مثلا– اتجاه عام "يتم فيه تقديم مباحث التراكيب والأبنية وإعطائها القدر الكبر من العناية والتفصيل، على حين تعالج الأصوات قرب الختام تابعة أو منضوية تحت مبدأ الإدغام".[4]

وسار على هذا النهج سيبويه (ت 180هـ) ومعظم اللغويين الذين جاءوا بعده أمثال المبرد (ت 285هـ) والزجاجي (ت 329هـ).

---

[1]– بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تح محمد طاهر بن عاشور، طبع بمناسبة الجزائر عاصمة ثقافية، الجزائر 2007، ج1، ص 302، الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص75.

[2]– ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح حنا الفاخور، دار الجيل بيروت، ط1، 1991، 5/2.

[3]– ابن هشام، المصدر السابق، 5/2.

[4]– مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص03.

وأجمع اللغويون بالخصوص النحاة، على أن الجملة اصطلاحا هي "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه"[1]، فقدر الجملة أو طولها مرتبط بإفادتها للمعنى.

ويمكن القول أنها "الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم أو الإفهام"[2]، فهي منطوقة كانت أو مكتوبة تمثل الحد الأدنى للتواصل اللغوي، وأقل ما تتألف منه كلمتان أو أكثر.

وهي في مطلق الأحول "تركيب لفظي يجري به النطق في سلسة كلامية تتابع ألفاظها، بحيث تفضي إلى معنى يجوز السكوت عليه".[3]

فمن شروطها أن يتحقق فيها عنصران: عنصر اللفظ وعنصر المعنى.

فهي ليست مجرد تتابع للكلمات على هيئة مخصوصة فقط، بل هي شكل ومضمون، أي أن "للجملة نمطا لغويا يمثل الملفوظ الذي يتألف من مجموع العناصر المترابطة داخلها، ومحتوى دلاليا إخباريا يمثل الرسالة التي تنظم الخبر المنتقل من المرسل إلى المتلقي"[4]، فهي إذا كل لفظ مركب مفيد.

من خلال ما سبق يمكن القول إن الجملة من حيث دراستها تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

- قسم يخص الجانب الظاهري الشكلي.
- قسم يخص الجانب الدلالي (الإبلاغي).
- ويشك هذان القسمان "بنيتين متضامنتين متداخلتين لا تتطابقان، بينة تركيبية هي الملفوظ وبنية دلالية إخبارية هي الرسالة، باعتبار أن معنى الجملة هو محصلة بنيتها التركيبية"[5]، وهو ما يوضحه لنا الرسم البياني الآتي:

---

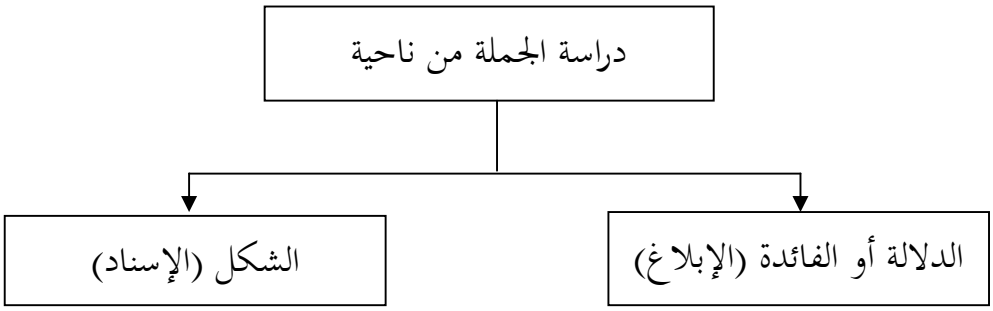
[1]– مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982، ص33.

[2]– ريمون طحان، الألسنية العربية، ص44.

[3]–قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، (مخطوط)، ص48.

[4]– عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن، الكريم، ص97.

[5]– عبد الحميد دباش، المرجع السابق، ص98.



فالجملة هي أساس ونواة التحليل التركيبي والبلاغي معا، من حيث دراسة بنيتها وتحديد وظيفتها.

ويعد الجمع بين المستويين –الشكلي والإبلاغي– من أتم البحوث التركيبية وأكملها.

وقد قام بمثل هذا العمل –على سبيل المثال– العالمان البلاغيان المشهوران: الجرجاني (ت 471هـ) "في دلائل الإعجاز" والزمخشري (ت 538هـ) "في الكشاف".

فبحث الجرجاني في الدلائل عن بنية الجملة الخبرية ومقاصدها وأغراضها، والخبر بالنسبة إليه هو "أعظمها شأنا، فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيه الصناعات العجيبة".[1]

وأساس ذلك كله الإسناد وعلاقاته في الجملة، يقول في هذا الصدد "لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه لأنه ينقسم إلى إثبات ونفي"، فالجملة الخبرية قد تثبت أمرا وقد تنفيه.

وفي حديثه عن الجملة الفعلية قال: "من أجل ذلك امتنع أن يكون قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر".[2]

فالجملة إذا عند الجرجاني هي نفسها عند سيبويه (ت 180هـ) وغيره من علماء النحو، ينبغي أن تتوفر على المسند والمسند إليه لتقع الفائدة منها.

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص487.

[2]–المرجع نفسه، ص486.

ولقد "تقرر مع البلاغيين والنحويين أن طرفي الجملة المسند والمسند إليه يذكران وجوبا في مواقعهما المعروفة إذا وجدت القرينة التي تدل عليهما"[1]؛ فلا بد للمبتدأ من الخبر، كما لا بد للفعل من الفاعل.

وأقام الجرجاني "دلالة الخطاب اللغوي على قاعدة الإسناد التر توفر لنا النظر إلى ثلاثة أطراف في عملية الإبلاغ هي: المسند والمسند إليه وناقل الإسناد"[2]، وهذه الأطراف الفاعلة –في الجملة– هي التي تتمم معناها وتشكل محتواها فتصبح مفيدة للمتلقي.

وعليه يمكن القول بأن الجملة هي "غاية النظامين النحوي والبلاغي، وذلك بالربط بين صورتها الصوتية المنطوقة ومعناها المراد منها"[3]، فهي وحدة اتصال من بين ما تسعى إليه إخبار السامع أمرا جيدا.

كما اهتم الزمخشري (ت 538هـ) في كتابه "الكشاف" بمثل هذه الدراسة، حيث يقول في تحليله لتركيب "إياك نعبد": "إيَّا" ضمير منفصل منصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك: إياك وإياه وإياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب.[4]

فلفظ "إياك" مكون من ضمير منفصل منصوب ولاحقة لا محل لها من الإعراب، وهو مفعول به مقدم وجوبا على الفعل، والفاعل "نعبد".

وذكر الزمخشري بعد ذلك سبب هذا التقديم ليبين لنا دلالة الجملة ووظيفتها البلاغية قائلا: "وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة، والعبادة أقصى غاية الخضوع والتدلل".[5]

---

[1]– سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص105.

[2]–منقور عبد الجليل، الجهود الدلالية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ع1، 2002، ص201.

[3]–محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص19-20.

[4]–الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، ج1، 60-61.

[5]– الزمخشري، الكشاف، ج1، 62.

فتحليل الزمخشري لهذه الجملة يجمع بين بنيتين:

- بنية التركيب والإسناد.
- بنية الدلالة والغرض.

حيث "يتعمق في كشافه باحثا في البنية التركيبية ليصل في النهاية إلى المعنى، وهو بذلك يرى أن معنى الجملة لا يمكن إدراكه إلا بمعرفة بنيتها التركيبية[1] وعلاقات الإسناد المتوفرة فيها".

وهو يعتبر أن "تحديد معنى المراد من الجملة من صميم البحث البلاغي".[2]

وينبئ هذا التحليل عن وعي الزمخشري التام بأن شكل الجملة ونظامها لا ينفصل عن أغراضها ومقاصدها.

الجملة على المستوى الثالث من المستويات النحوية، التي نريد تناوله في هذا البحث، فقد قامت الباحثة بتناول الكلمة ومكوناتها، في الفصل الثاني، كما تناولت مستولا العبارة والآن في هذا الفصل سنتناول بإذن الله الجملة وأنواعها، ونتعرف بالأخص على الجملة المركبة، وكيفية بنائها من خلال أشعار الفرزدق.

اهتمت الدراسات النحوية القديمة للغة العربية، على ما يطرأ لأواخر الكلمة، من تغير في الحركات الإعرابية، وعلى العوامل التي تؤدي إلى هذا التغير، فانصبت كل اهتمامات الناحة الأقدمين، ى جزئيات لغوية، خصصت لمعالجتها أبواب مستقلة، مما أدى إلى غياب الجملة، في المجال اللغوي القديم وأصبح الحديث عن الجملة، يتناول التمثيل لبعض أنواعها، مما يتصل بحالة إعرابية معينة، كالحديث عن الجملة التي تشغل (مواقع الخبر، أو النعت، أو الحال).

ولم يقتصر إغفال نحاتنا الأقدمين، على دراسة الجملة وتحليلها فحسب، بل تعداها إلى نوع من الخلط بين المصلحات، فبعضهم لم يكن يفرق بين مصطلح الجملة باعتبارها مصطلحاً له خصائص متميزة، وغيره من المصطلحات اللغوية الأخرى كمصطلح الكلام على سبيل المثال:

---

[1]—عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، ص96.

[2]—محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، ص641.

تعريف الكلام اصطلاحاً:

"هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى، يحسن السكوت عليه"[1].

فابن جني يرى أن هذين المصطلحين – الجملة والكلام – متفقان في مدلولهما. فيقول" (إن الكلام هو كل لفظ مستقل بنفسه، ومفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحاة الجمل).

وبأنه (في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجملة على اختلاف تراكيبها)[2].

ويحذو عبد القاهر الجرجاني حذو ابن جني في عدم تفرقته بين هذين المصلحين – الكلام والجملة – فهو يقول : (أعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منهما اثنان فأفاد نحو : (خرج زيد) سمى كلاماً، وسمي جملة، والائتلاف يكون بين الاسم والفعل كما ذكرنا، وبين الاسمين وكقولك : (زيد منطلق)، وبين الاسم والحرف في النداء خاصة نحو : (يا زيد).

وهذا يعني أن عبد القاهر يشترط لتحقيق معنى الجملة أو الكلام، شرطين هما:

1- الائتلاف بين مكونات الكلام أو الجملة، وهذا واضح من الجمل الثلاث التي أوردناها.

2- أن تؤدي الكلمات المؤتلفة معنى مفهوماً لدى المستمع، وهذا متحقق في الجمل التي أوردناها أيضاً[3].

ويشترك الزمخشري مع سابقيه – ابن جني والجرجاني – في التسوية بين مصطلحي الكلام والجملة، وعدم التفرقة بينهما، فهو يقول: "إن الكلام هو مركب من كلمتين اسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك (زيد أخوك)، (وبشير صاحبك)، أو في فعل واسم نحو قولك: (ضرب زيد) و (انطلق بكر)، ويسمى الجملة[4]، من ناحية أخرى نجد شارح مفصل الزمخشري

[1] – ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص247.

[2] – ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ج1، ص 17

[3] – الجرجاني، كتاب الجمل، حققه وقدم له علي حيدر، دمشق، 1392-1972، ص80

[4] – شرح المفصل، الزمخشري، تح أبو بقاء ابن يعيش الموصلي، وإيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ج1، ص20

يذيل شرطه لمقولة الزمخشري السابقة، والتي ساوى فيها بين الكلام والجملة، بقوله : "إن الكلام عبارة عن الجمل المفيدة[1]".

ولكن وجد من النحاة من يفرق بين المصلحين، فالرضى يرى أن مصطلح الجملة أعم من الكلام ويقول: "والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي مقصوداً لذاته أن ملا، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس[2]".

فالرضي في معرض تفرقته بين الجملة والكلام يعتمد على الناحية الشكلية والبنيوية وحدها، في تعريف الجملة، على حين يعتمد في تعريفه للكلام على الناحية الشكلية والناحية الدلالية.

ويتفق بن هشام مع الرضي في التفرقة بين هذين المصطلحين، ذلك أن شرط الكلام عن ابن هشام هو الإفادة بخلافهما، ولهذا تسمعهم يقولون: (جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس كلام). ويقول أيضاً في مجال التفرقة بين هذين المصطلحين بأن الكلام هو : "القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى، يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل والفاعل كـ (قام زيد)، والمبتدأ وخبره كـ (زيد قائم)، ومكان بمنزلة أحدهما : (ضرب اللص)، وأقام الزيدان (وكان زيد قائماً)، و (ظننته قائماً)".

فابن هشام يعتمد في تعريفه على الناحية الدلالية فتفطن لذلك على نحو ما فعل ابن مالك في ألفيته عندما عرف الكلام بقوله: (كلامنا لفظ مفيد كاستقمْ[3]).

على حين تمجيده في تعريفه للجملة يعتمد على الناحية الشكلية وحدها، على نحو ما فعل الرضي من قبل.

[1] – يعيش ابن علي ابن يعيش موقف الدين، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، د ت، د ط، ج1، ص75.

[2] – جمال الدين أبو عمر عثمان ابن عمر بن حاجب، الكافية في النحوي، شرح رضى الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1405هـ–1985م، ج1، ص8.

[3] – ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المصدر السابق، ج1، ص490

ومن جهة أخرى نجد أن السيوطي يتبنى وجهة نظر ابن هشام، ويدافع عنها في أثناء مناقشته لرأي الزمخشري، الذي سوى بين مصطلحي الكلام والجملة وهذا واضح في قوله : "والصواب إنها – أي الجملة – أهم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها[1]".

وفي الأخير يمكن القول أنه ليس من المقصود بالكلام الإسناد الأصلي المقصود لذاته فحسب، ولا بالجملة، الإسناد الأصلي فحسب، وإنما المقصود بهما ما تضمن إسناداً أصلياً مقصوداً لذاته أو غير مقصود لذاته وهذا هو الجملة.

تعريف الجملة لغة:

تدور معاني مادة (جَمَلَ)، حول الجمع ولم الشمل، والجملة واحدة الجمل، وأجمل الحساب رده إلى الجملة[2].

يبدو أن سيبويه كان يتحدث عن الجملة دون الإشارة إليها بهذا المصطلح، وذلك عند حديثه عن المسند والمسند إليه إذ يقول تحت عنوان المسند والمسند إليه وهما –أي المسند والمسند إليه (ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ، والمبني عليه، وهو قولك (عبد الله أخوك)، و(هذا أخوك)، ومثل ذلك قولك (يذهب زيد) فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء. فقد قدم عرضا تعريفيا لها، إذ إنها عنده جزء من الكلام مستغن بنفسه، وأن الجملة تنتهي عنده بالسكوت، أو إمكان انقطاع الكلام.

فهو يقول: "ألا ترى أنك لو قلت: (فيها عبد الله)، حسن السكوت، وكان كلاما مستقيما، كما حسن واستغني في قوله: (هذا عبد الله)"[3].

[1] – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1418-1992، ج1، ص 37.

[2] – ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1989م، مادة جمل، ج1، ص481.

[3] – سيبويه، الكتاب، المصدر السابق، مج1، ص174-176.

وقد عرف أبو العباس المبرد الجملة في باب الفاعل حيث يقول: "وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها، ويجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، إذ قلت: (قام زيدٌ)، بمنزلة قولك (القائم زيدٌ)"[1].

فالجملة عندما تكونت من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر، ويبدو أن الجملة والكلام عنده مترادفان، ففي باب المسند والمسند إليه يقول: "فالابتداء نحو قولك (زيدٌ)، فإذا ذكرته فإنما تذكر للسامع، ليتوقع ما تخبره به عنده، فإذا قلت (منطلقٌ) أو ما أشبهه صح معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر"[2].

تعريف الجملة عند علماء اللغة:

لم يتطرق ابن فارس لمصطلح الجملة بمفهومها عند علماء النحو، بل أورد تعريفين للكلام إذا قال: "زعم قوم أن الكلام ما سمع وفُهم، وذلك قولنا (قام زيدٌ)، و(ذهب عمرو) وقال قوم: الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى، وعقب على هذين التعريفين بقوله: (والقولان عندنا متقاربان، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا بحروف مؤلفة تدل على معنى)"[3].

ويبدو من التعريفين اللذين أوردهما ابن فارس أن مدلول الكلام مطابق للجملة.

أما ابن جني فقد كان تعريفه للكلام غاية في الدقة والفهم، لأنه بتعريفه والذي أوردناه من قبل يتيح الفرصة لدراسة أنماط التراكيب المختلفة، واعتبار كل تركيب مستقل بنفسه مفيد لمعناه جملة في صورتها التي قيلت بها.

ويقول برجشتراسر: "الجملة مركبة من مسند ومسند إليه، فإن كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل، فالجملة فعلية"[4].

---

[1] – المبرد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، وزارة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والأوقاف، د ط، مج1، ص8

[2] – المصدر نفسه، مج1، ص8

[3] – ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، المصدر السابق، ص 483.

[4] – برجشستراسر، التطور اللغوي للغة العربية، مطبعة السماح، القاهرة، 1929، ص81.

فهو في هذا التعريف متفق تماما مع نحاتنا القدماء وتفهم أن الجملة عنده مصطلح لنوع معين من التراكيب، يتحقق فيه الأسناد بطرفيه، أما التراكيب المقيدة غير الإسنادية فلا تسمى عنده جملة.

تعريف الجملة عند المحدثين العرب:

تحدث عبد الرحمان أيوب عن الجملة فقال: "إن الجملة تتكون من كلمات كما تتكون القضية من دلالات على الأحداث، والذوات، أما أجزاء الجملة فهي المسند إليه والمنسد والرابطة، وهي نفس أجزاء القضية المنطقية مع اختلاف في التسمية"[1].

هذا هو مفهوم الجملة عند علماء اللغة العرب ويمكن القول أن مفهوم القدماء من نحاتنا العرب للجملة يقابل مفهوم اللغوين المحدثين للتركيب بنوعيه المستقل وغير المستقل، على حين يقابل مفهوم هؤلاء النحاة للكلام مفهوم المحدثين من اللغويين للجملة عامة.

فهم يرون أن الجملة هي الصورة الصغرى للكلام، وأن الكلام يتضمن جملة واحدة أو اثنين أو ثلاثا.

تعريف الجملة عند الغربيين:

يعرف بلومفيلد الجملة، وهو من أصحاب الاتجاه البنيوي بقوله: هي "شكل لغوي مستقل، غير متضمن في شكل لغوي أكبر وفقا لمقتضيات التركيب النحوي"[2].

والقاعدة التوليدية الأساسية التي وضعها التوليديون لبيان حدود الجملة والكشف عن مكوناتها هي: ج ⟵ ع س + ع ف.

مثال للكلام والجملة: قال الفرزدق: (عمير أبوهم ذو المساعي) وجدهم *** ضبيعة ضراب الطلي والجماجم.

فالتركيب بين القوسين عبارة عن كلام، إذ إنه يتضمن إسنادا أصليا مقصودا لذاته، يتألف من مسند إليه (كلة اسمية) وهو قوله (عميرٌ)، ومسند وهو قوله (أبوهم ذو المساعي)، والمسند الذي جاء

[1] – أيوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة، ص 9 –10.

[2] – فولفانج هانيه فيهيغر، مدخل إلى علم اللغة النصّي، تر فاتح العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، 1999، ص19

في إطار الشكل اللغوي الكلي، يتضمن كذلك إسنادا أصليا ولكنه إسناد أصلي غير مقصود لذاته، حيث إن الإسناد الأصلي المقصود لذاته هو الإسناد الذي جاء في إطار المركب الكلي (عميرٌ أبوهم ذو المساعي).[1]

وبناء على هذا يمكن القول: بأن الشكل اللغوي: (عمير أبوهم ذو المساعي)، يسمى كلاما، في حين أن الشكل اللغوي (أبوهم ذو المساعي)، الذي يقع مسندا في إطار هذا الشكل يسمى جملة لافتقاره إلى الإسناد الأصلي المقصود لذاته.

أنواع الجمل:

للنحاة تقسيمات مختلفة للجملة يتفقون على بعضها ويختلفون على بعضها الآخر، ويدخلون أنواعا ويخرجون أخرى ونحن نود هنا أن نخوض في تقسيمات النحاة لأنواع الجمل، بل نريد أن نتعرف على أنواع الجمل من حيث التركيب، فالجملة إما جملة كبرى وإما صغرى، كما قسمها لنا ابن هشام

ويختلف مفهوم المحدثين للجملتين الكبرى والصغرى عن مفهوم القدامى لهما:

وقد أطلق ابن هشام مصطلح الجمل الكبرى، في مقابل مصطلح الجمل الصغرى، حيث نجد إن الجملة الكبرى قد تكون جملة اسمية، أو فعلية، أما الاسمية فهي التي خبرها جملة أخرى مثل: (زيدٌ قام أبوه) و(زيدٌ أبوه قائم)[2].

وأما الفعلية فهي مثل: (ظننت زيدٌ يقوم أبوه)، ثم يقول: "قد تكون صغرى وكبرى باعتبارين نحو (زيدٌ أبوه غلامه منطلقٌ)، مجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير، (وغلامه منطلقٌ) صغرى باعتبار جملة الكلام ومعنى هذا أن الجملة الكبرى عنده هي التي تتركب من أكثر من جملة سواء أكانت مركبة من جملتين اسميتين، أو جملتين فعليتين، ومعنى هذا أيضا أن الجملة الصغرى هي التي تتركب من فعل وفاعل فقد، أو مبتدأ وخبر مفرد لا غير، ولذلك نجده يقسم الجملة الكبرى إلى:

[1] – الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1407–1987، ص 363.

[2] – ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، المصدر السابق، ص381–382

- ذات وجه.
- ذات وجهين.

أما ذات الوجهين فهي اسمية الصدر فعليه العجز، نحو: (زيدٌ قائم أبوه)، أو العكس أي فعلية الصدر اسمية العجز نحو: (ظننت زيداً أبوه قائم). أما ذات الوجد الواحد فهي الاسمية مطلقا مثل (ظننت زيداً يقوم أبوه).

وكل ذلك يدل على أن الجمل في العربية مثلها في اللغات الأخرى، ممكن أن تمتد وتطول وتتعقد، وهو ما نجده في العربية متمثلا في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، أو الجمل التي لها محل من الإعراب، مثل جملة الصلة، والنعت والحال، وجملة الاستئناف والجمل الاعتراضية والتفسيرية وغير ذلك.

وتنقسم الجملة الكبرى إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي:

1- الجملة البسيطة نحو: سافر خالد.

2- الجملة المركبة نحو: سافر خالد لكن محمد لم يسافر.

3- الجملة التركيبية نحو: سافر خالد لكي يتعلم الكهرباء.

والجملة الصغرى: هي المبنية على المبتدأ نحو (زيدٌ قام أبوه)، و(زيد أبوه قائم).

والجملة المركبة هي التي تمثل القسم الثاني الرئيسي للجملة الكبرى. وهي عند برجشتراسر التي يكون خبرها جملة، ويمثل لها بقوله: (كل امرئ له رزقه).

فهذه جملة مركبة تتضمن تركيبين ربط بينهما بأداة ربط عاطفة وهي الفاء، في قوله (فله رزقه)[1].

[1] - ابن هشام الأنصاري، الجامع الصغير، تح أحمد محمود هريمل، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1400هـ-1980م، ج2، ص54

المطلب الثالث: دراسة صرفية أسلوبية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" أنموذجا.

تعد اللغة العربية وحدة لغوية لسانية تقوم على مجموعة من الأسس والقواعد التي تسمح للقارئ والمحلل من الولوج والتعمق في قضاياها ودراستها الدراسة العلمية والمشرحية والوقوف على أبرز دلالالتها التي يسوقها المعني وينتظم بها.

كما تعتمد دراسة النصوص على مجموعة من الأساليب المختلفة على مشارب الباحثين ومن منهج للآخر، إذ نحن بصدد دراسة هذه الخطبة من الناحية الأسلوبية، التي تعتمد على عدة مستويات وهي الصوتية والتركيبية والدلالية، إلا أن دراستنا سوف تقتصر فقط على مستويين ويتمثلان في المستوى الصرفي والمستوى الصوتي.

بناء على هذا سنقوم بدراسة خطبة الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر دراسة أسلوبية، حيث تنطوي هذه الدراسة على عدة مستويات نذكر منها:

المستوى الصرفي: يعتبر المستوى الصرفي فرع من فروع اللسانيات كما يمثل مستوى من مستويات التحليل اللغوي، حيث يتناول البنية التي تمثله الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية ونحوية، إذ يطلق عليه الدارسون المحدثون (اللموروفولوجيا) الذي يدرس الوحدات الصرفية أي "المورفيمات" ويهتم بدراسة مجموعة من الضوابط كظاهرة التقديم والتأخير والجمل الفعلية والاسمية الطاغية.

وإذا ما رجعنا إلى دراستنا التطبيقية المتمثلة في خطبة الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر نلاحظ أن لهذا المستوى الصرفي حضورا بارزا في ثنايا الخطبة، لما له من أهمية في انسجام المعاني وورودها في سياقات ومقامية معينة الموجودة في الخطبة وبالتحديد توظيف الصيغ الصرفية في الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد والمتمثل في الفعل "أفعل"، فعل ثلاثي زيادة في أوله همزة قطع إذ ... مصدره من "إفعال" وتضاف هذه الهمزة من أجل تحقيق دلالات معينة كالتعددية ومثاله قول البشير

الإبراهيمي: "أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحًا عن الأعنَّة الكابحة في ميدانها، متَّقد العزمات، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد، ونشاط الجوارح"[1].

"أتمثله: مقدامًا على العظائم في غير تهوّر، محجامًا عن الصغائر في غير جبن، مقدّرًا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلًا أو الفكر آخر العمل"[2].

أتمثّله: واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخًا له، أخوةَ الدم، وكلَّ مسلم أخًا له، أخوة الدين، وكل بشر أخًا له، أخوة الإنسانية، ثم يُعطي لكل أخوّة حقّها فضلًا أو عدلًا.

أتمثّله: حِلْفَ عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال.

تتضح ملامح هذا الفعل التي كانت في بداية الكلام وتفيه التعددية من جانب البنية الصرفية أما من المستوى الدلالي فهي تفيد التمني، فالخطيب هنا بصدد تمني أن يتجلى الشباب بالإقدام على الأشياء العظيمة وتترفع عن التهور والصفات التي تجعله جبان دليلا جاعلا فكره أول خطوات عمله.

كما لجأ إلى توضيح صيغة التحذير من خلال توظيف الفعل على صيغة (فعَّل) ثلاثي مزيد عليه بتضعيف عين الفعل.

حيث ما قال: "أتمثّله برًّا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالًا، مزورًّا عن الحضارة التي)رمته بقشورها(، فأرخت أعصابه، وأنّثت شمائله، وخنّثت طباعه، وقيّدته بخيوط الوهم، ومجّت في نبعه الطاهر السموم، وأذهبت منه ما يُذهب القفص من الأسد من بأس وصولة"[3].

فتوظيفه البشير الإبراهيمي للفعلين (برا مزورا) توظيف دال على التعددية الطبيعية الرجل البدائي وأصالته، وإلحاقها بتاء التأنيث مع التأكيد والمبالغة في تجرد الشباب من هذه الصفات غير

[1] - البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص509.

[2] - المرجع نفسه، ج3، ص509.

[3] -- المرجع نفسه، ج3، ص509.

المحمودة ودعوته إلى الابتعاد عنها، كما استعمل ووظف فعل (أذهبت) التي دلت على أن البشير الإبراهيمي شبه الشباب بالأسد حين أذهب القفص هيبته وصولته.

ويتضح ذلك في قوله: "أتمثّله مجتلًى للخِلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة في سلاستها وسلامتها، كأنّما هو منحدر لانصبابها وقرارة لانسكابها، وكأنما خيط على وفاء السموأل وحاجب، وأشرج على إيثار كعب وحاتم، وخُتم على حفاظ جسّاس والحارث، وأغلِق على عزة عوف وعروة".

نجد هنا الإبراهيمي يحذر الشباب بعدم الانصياع والانقياد وراء ما يذهب عقيدته ويجرده من مبادئه وأصالته التي تربني عليها وورثها من أجداده وأن يلتزم بخصال سابقيهم في الجود والكرم والحفاظ على كرامته وعدم العبث بها وأن يكون لهم عزة النفس.

كما عمد البشير الإبراهيمي إلى توظيف بعض المصادر كمصدر (فعال) وهو مصدر للفعل الثلاثي المزيد ومثاله قوله: أتمثله مصاولا لخصومه بالحجاج والإقناع، لا باللجاج والإقذاع، مرهبا لأعدائه بالأعمال، لا بالأقوال.

فنراه قد مزج بين مصدرين (فعال وأفعال) حيث قام بمقابلة بين صفتين هما الحجاج مقابل اللجاج، والإقناع مقابل الإقذاع وأوصى الشباب بأن يتصفوا بصفة الحجاج والإقناع والابتعاد عن اللجاج والإقذاع، حيث أضفى هذا التوظيف جمالا دلاليا صرفيا بإسناد صفتين لهذين المصدرين في تشخيص المعنى وانسجامه.

كما لجأ البشير الإبراهيمي إلى توظيف التقديم والتأخير وهذا ما نراه جليا وواضحا، إلا أن هذا التوظيف لم يخل بالمعنى بل زاده جمالا دلاليا صرفيا، وهذا من ميزات الأسلوبية التي تنمي قدرات الأديب ويمكن رصد هذه الخاصية في قوله: "أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحًا عن الأعنَّة الكابحة في ميدانها، متَّقد العزمات"[1].

[1] - البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص509.

أما فيما يخص تقديم وتأخير الجمل دون أن يختل المعنى، فهي عبارة عن وصايا يقدمها البشير الإبراهيمي للشباب وأمره أن يتحلى بها وأن يتقيد بها، لأنها صفات حميدة.

كما أنها أحول تعبر على صاحبها مثل (متسامي، عربيد، جامح ...) فالجانب الإعرابي لها هي حال منصوبة.

كما أنه قد وظف الجمل الفعلية بكثرة وذلك أن البشير الإبراهيمي في موضع التمني والترجي وتقديم النصائح والتوجيهات والوصايا وصفات على الشباب أن يتحلى بها لبناء وطن متماسك وجيل ذو أخلاق قرآنية محمدية، ولا ينخدع بم حوله من حضارات وعولمة ومثل ذلك قوله: "أتمثله مترقرق البشر إذا حدث، متهلل الأسرة إذا حدث، مقصور اللسان عن اللغو، قصير الخطا عن المحارم، حتى إذا امتدت الأيدي إلى وطنه بالتخون، واستطاعت الألسنة على دينه بالزراية والتنقص، وتهافتت الأفهام على تاريخه بالقلب والتزوير، وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللص والتدمير، ثار وفار، وجاء بالبرق والرعد، والعاصفة والصاعقة، وملأ الدنيا فعالا، وكان منه ما يكون من الليث إذا ديس عرينه، أو وسم بالهون عرنينه"[1].

للجملة الفعلية وقع على النفوس فتحرك مشاعر القارئ وتغوص في أعماقه الفكرة في عمل بها.

والملاحظ هنا الإبراهيمي قد اختار ألفاظه من عمق تراثه وما يعيشه شعبه وما هي واجباته نحو (شباب) بلاده ومحافظة على مبادئ وقيمه وكيف تمنى البشير الإبراهيمي أن يكون الشباب شبابا حتى يعول عليهم في صناعة النهضة وتحقيق شروطها ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم والعلم.

[1] - البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص333.

المطلب الرابع: دراسة صرفية أسلوبية لفن المقالة في كتابات البشير الإبراهيمي "ذكرى 08 ماي" أنموذجا.

أبنية الأفعال التي وظفها البشير الإبراهيمي في الجمل المصدرية لكونه اعتمد على اللغة وهذه الأخيرة هي أصل المشتقات مثل:

يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، **مبتهج** السماء بأرواح الشهداء؛ خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نوْر، وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين.[1]

اثنان قد خلقا لمشأمة الاستعمار والحرب؛ ولحكمة ما كانا سليلي أبوّة، لا يتم أولهما إلا بثانيهما، ولا يكون ثانيهما إلا وسيلة لأوّلهما؛ وقد تلاقت يداهما الآثمتان في هذا اليوم في هذا الوطن، هذا **مودع** إلى ميعاد، فقعقعة السلاح تحيّته، وذلك مزمع أن يقيم إلى غير ميعاد، فجثث القتلى من هذه الأمّة ضحيته.

تستحسن العقول قتل **القاتل**، وتؤيّدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل، ولكن الاستعمار العاتي يتحدّى العقول لأنه عدوّها، والشرائع لأنها عدوّه، فلا يقوم إلا على قتل غير القاتل ... ويغلو في التألّه الطاغي، فيتحدّى **خالق** العقول، و**منزل** الشرائع، وينسخ حكم الله بحكمه، ورحمة الله بقسوته، فيقتل الشيوخ والزمنى والنساء والأطفال.[2]

وأخرى تقول :إن الدماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة. وفي لحظة واحدة **تسامع** العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، وابتدأت صباح اليوم بالجزائر، وفيما بين خطرة البرق، بين الغرب والشرق، أعلنت حرب من طرف واحد، وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزّل الضعفاء، وإحراق قرى وتدمير **مساكن**، واستباحة حُرُمات ونهب أموال، وما تبع ذلك من تغريم وسجن واعتقال؛ ذلكم هو يوم 8 ماي.

---

[1]– البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص333.

[2]–البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج3، ص343.

أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان :يوم بؤس ويوم نُعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، و**ملعب** فسيح للحظ...

عاودت الاستعمار ألوهيته وحيوانيته في لحظة واحدة، يحادّ الله بتلك، ويغتال عباده بهذه، وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم، ليريهم **مبلغ** الصدق في تلك الوعود...[1]

مبتهج ⟵ مفعل.

مودع ⟵ مفعل اسم زمان

منزل ⟵ مفعل اسم مكان

ملعب ⟵ مفعل اسم مكان

مبلغ ⟵ مفعل اسم مكان

تسامع ⟵ تفاعل صيغ مبالغة

مساكن⟵ مفاعل اسم ممنوع من الصرف

قاتل ⟵ فاعل اسم فاعل

خالق ⟵ فاعل اسم فاعل

جمع التكسير:

جمع التكسير	مثاله
-الشهداء	-الأمم
-الأقلام	-أبناء
-أوائل	-ديار
-الفواصل	-دماء
-أيام	

[1]- المرجع نفسه، ص343.

أبنية الأفعال: الفعل ما دل على المعنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة صيغ الماضي مثل: خرج، خلع المجرد.

صيغة فعل: خلعت، خرج، قتل، وقع، وعد، سكن، جعل، فتح، نهب، تبع.

صيغ المضارع المجرد: يقول، يكون، يقيم، يقوم، ينسخ، يطير، يقع.

المضارع المزيد:

يقرب ⟵ على وزن يفعل- مزيد بحرف (الشدة مضعف).

يتحدى ⟵ مزيد بحرف واحد (الشدة).

تقاتل ⟵ مزيد بحرف (الألف).

تنفست ⟵ مزيد بحرفين (الشدة +التاء).

صيغ الماضي المزيد: صيغتين فقط.

حلت ⟵ مزيد بحرف واحد (الشدة مضعف).

جرعت ⟵ فعلت، مزيد بحرف (الشدة مضعف).

من خلال هذه البينة نجد أن البشير الإبراهيمي اعتمد على أبينة الأسماء والأفعال، ونخص بالذكر المضارع المزيد وهذا يدل على انعكاس وتوقع البشير الإبراهيمي لمئالات الشعب الجزائري في حين نجد أن الماضي المزيد أقل حضورا في كتابات البشير الإبراهيمي بصيغتين استلزمته طبيعة الموضوع وتحكم البشير الإبراهيمي في توظيف اللغة.

المبحث الثالث: ماهية التركيب بين القدماء والمحدثين وأهميته.

يعد التّركيب من المستويات الأساسة الّتي يقوم عليها التحليل اللساني الحدي،. وقد تناوله قدماء العرب وبعضُ مُحدَثيهم مفهوماً ومصطلحاً وأنواعاً، ونصّ على تمَيزه عنِ النّحو كل من دي سوسير، والشّكلانيين والوظيفيين، والتوليديين، والتّوزيعيين، مستدلين بأهمّيته اللّسانيّة، وقيامه على أصولٍ معيارية وجبَ تخطّيها على أهميّتها، وهو ما يسعى البحث الموالي إلى تتبّع معناه، واستعماله عند النحاة واللغويين القدامى ،واللسانيين المحدثين ومن هذا المنطلق ما هو التّركيب؟ وما هي أنواعه عند العرب؟ وما أهمّيته عند اللّسانيين؟ وما هي المدارس الّتي تطرّقت إلى موضوع التّركيب؟

المطلب الأول: تعريف التركيب وأنواعه عند العرب.

1- تعريف التركيب:

أ- التّركيبُ لغة: من ركب الشيء تركيباً: وضَعَ بعضَهُ على بعض فتركّبَ، وتراَكب منه ركّبَ الفصّ في الخاتم، والسّنان في القناة. والتّركيب اسم المركّب في الشيء كالفص فيركّب في كفّة الخاتّم لأنّ المفعّل اسم المركّب و المفعلُ كُل يرُد إلى فعُيْلٍ، تقول: ثوَبٌ مُجَدّدٌ وجديدٌ، ورجل مطْلقٌ وطليقٌ، وشيءٌ حَسَنُ التّركيب، وتقول في تركيب الفصّ في الخاتم، والنصْلُ في السهم: ركّبْته فتَركّبَ، فهو مُركّبٌ وركيبٌ[1].والمركّبُ : الأصل والمنبت، تقول فلان كريم المركب أي كريم أصل منبته في قومِه[2].والتّركيب بمعنى التّأليف كذلك. يقال ركب الشّيء: ضَمه إلى غيره فصار بمثابة الشيء الواحد في المنظر، وركَب الدَواء ونحوه ألفه من مواد مختلفة .

---

[1]- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي البشيري، دت، مادة (ركب)، ج2، ص35-36، ينظر: الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عطار أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990، ، ط4، ج1، ص139 (مادة ركب)، عبد القادر سلامي، التركيب وأهميته اللسانية بين القدماء والمحدثين، مجلة آفاق علمية، العدد 13، أبريل 2017، تمنغاست، الجزائر، ص131.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 199، ج3، ص112 (مادة ركب).

وتجمعُ التعاريف السّابقة على أن التّركيب يقترن بالضمّ والجمع. ومن هذا المنطق نجد أنّ هذه التعاريف تلتقي في معنى واحد: لا جمع ولا تأليف إلا بين ما كان مؤلفا من وحدتين فأكثر. وهذا ما سيدفعنا إلى تتبّع معناه، واستعماله عند النحاة واللغويين القدامى والمحدثين من الناحية الاصطلاحية، فالمفهوم اللغوي للتركّيب يدلّ على وضع الشيء فوق الشيء، ولكن الوضع يكون بإجادة وإتقان، ومما يدلّ على أن التّركيب يرتبط بحسن الصّنعة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[1]، فالتّسوية والتّعديل في جسم الإنسان يفيدان اتقان صنع الخالق، ومعنى (ركبك) في صورة كاملة بديعية وتقدير [2] الآية في صورة عظيمة شاءها مشيئة معينة أي عن تدبير وتقدير.

وقوله تعالى في موضع آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٩٧﴾[3]، وقد جاء في تفسير هذه الآية أن الماء هو سبب ظهور جميع أصناف النبات، ثم خص بالذكر (الخضر) وهو رطب البقول لأن شكل حباتها مركبة بعضها فوق بعض، أي أن الله "عز وجل" يخرج من الخضر يعني ما في السنبل، سنبل والشعير والحنطة والأرز وما شابه ذلك من السنابل التي حبها يركب بعضها بعضا[4] بطريقة منظمة.

أما التركيب كمركب إضافي فهو عبارة عن إسناد اسم إلى اسم أو فعل إلى اسم وذلك موكل إلى المتكلم[5]، فالإسناد من مهام المتكلم أو صاحب الرسالة ويقوم بتركيب عنصرين فصاعدا.

---

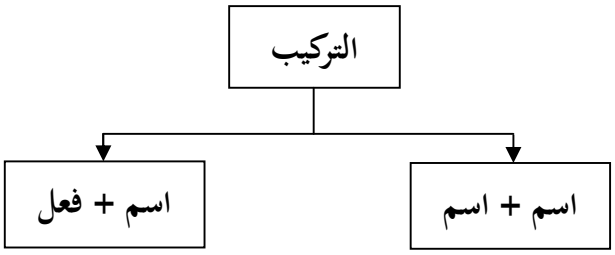
(1) – سورة الانفطار، الآية : 6-8

(2)– محمد الطاهر بن عاشور، التحليل والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج30، ص176-177.

(3) - سورة الأنعام، الآية: 96-97

(4)– ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

(5)– المنصف عاشور، بينية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، القاهرة، 1991، دط، ص22.



نستخلص من كل ما سبق أن مفهوم التركيب لا يختلف عن مفهوم التأليف من جهة، ففي تعريف ابن هشام للكلام يقول: "لأنه قول مفيد، وأقل ائتلافه من اسمين أو من فعل واسم"[1]، وأي جملة مهما بدت بسيطة أو مركبة تتكون بطبيعة الحال من وهذه الوحدات المجزأة الأولية، حيث غدت في الدرس اللساني الحديث أهم أجزاء الكلام القابل للتحليل والهيكلة.

ب- أمّا من حيث الاصطلاح: فيدلّ التّركيب على اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية وهو مذهب سيبويه (ت 180 هـ) ولكل منهما معان وحكم أصبح لهما بالتّركيب حكم جديد. وهو مذهب الخليل (ت 175 هـ).

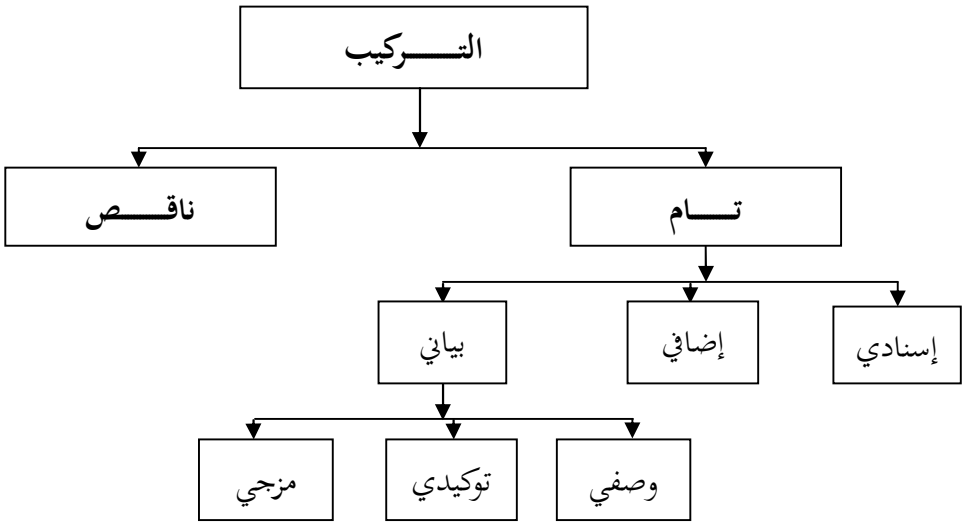
والأصل في التّركيب "أن تعدّ الحروف بأصواتها وحركاتها، وانضمامها لحروف أخرى وانضمام الحروف في الكلمات، والكلمات في أنساق تؤدّي موقعا من الدلالة المعنوية، فيكون إذن نسيجاً من العلاقات الّتي تقوم بين الحروف والكلمات. وهذا ما بحثه العرب فيما يسمى بالإسناد."

يختصّ التّركيب إذن، بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر، وانسجامها وتلاؤمها في نطاق تام مفيد، تتآلف فيه المعاني وتتناسق الدّلالات لتؤلّف وحدة متكاملة تحصلُ بها الفائدة، وهذا ما أجمع عليه النحاة، ومنهم عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الّذي نظر إلى التّركيب باعتباره نظما، وقصد به اقتفاء آثار المعاني، وترتيبها في

[1]– ابن هشام، الجامع الصغير في النحو، تحقيق: أحمد محمود هرميل، القاهرة، 1980، ص10.

النفس وهو عنده نظير التأليف والبناء، حيث يقول: "واعلَمْ أنّك إذا رجعت إلى نفسك علِمتَ علمًا لا يعترضُه شَك، أنْ لا نظم في الكَلِم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضُها ببعض، ويُبنى بعضُها على بعض، وتُجعلَ هذه بسبب تلك". وفي هذا ما يؤكد وعيه أنّ الكلام أو الجملة وحدة متماسكة العناصر، لها نظامها وعلاقاتها الداخلية.

بناءً على ما سب، فالتّركيب: قول مؤلّف من كلمتين أو أكثر لفائدة، سواء كانت تامة كقولك: العلم نور؛ أو ناقصة، نحو: الجمال الإنسانيّ. وقد يكون التّركيب الّذي نحدثه بين الأسماء والأفعال تاما أو ناقصا، وعليه قسّمت أنواع التراكيب إلى تامة وأخرى ناقصة، ويتفرّع التّركيب التام إلى أنواع أخرى وهي: التّركيب الإضافي، التّركيب الإسنادي والتّركيب البياني، بينما يتفرّع هذا الأخير إلى تركيب وصفي، وتوكيدي، ومزجي [1].



[1]– صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القهار الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، دط، دت، ص102-103.

المطلب الثاني: أهميته.

أ-أهميته عند النحويين:[1]

يعد سيبويه من أوائل النحاة الذين أدركوا بلاغة التقديم، فكشفوا عنها في كتابه الكتاب الذي قال عنه المبرد: (إنه لم يعمل كتابا في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره).[2]

وقال عنه المازني: (من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي مما أقدم عليه).[3]

وهو في كتاب لا يكاد يغفل موضعا يدخل فيه التقديم والتأخير، فكان من أوائل النحاة الذين استوقفهم هذا النشاط اللغوي، يقول عبد القادر حسين: (هذه القضية الكبرى التي تناولها علماء النحو والبلاغة واللغة، وما زلنا نقرأ عنها حتى يومنا هذا في النحو والنقد والبلاغة، هي في أساسها من صنع سيبويه فهو أول من أشار إليها، وطرق بابها، ولا شك أن هذا فضل ينسب إليه بالفخار).[4]

تحدث سيبويه في كتابه عن التقديم والتأخير بكلام هو أبو عذره، وصاحب الريادة فيه، وهو أول من كشف سر هذا اللون البلاغي من العلماء فيما نعلم، (فنحن نلحظ أن العلماء قبله كانوا يعرفون التقديم والتأخير، ولكنهم لم يقفوا على أسراره البلاغية، فهذا يونس بن حبيب الذي روى عنه سيبويه كثيرا من مسائل الكتاب يعرف التقديم ويذكره حين يعرض لجواب الشرط بعد الاستفهام فيقول: (أإن تأتيني آتيك بالرفع، ويقول: هو في

---

[1]– طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ت/محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار المعارف، ط2، د، ت، ص72.

[2]–عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، ت/عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1409هـ، 371/1.

[3]–المصدر نفسه، 371/1.

[4]–عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، قطر، دار قطري بن الفجاءة، ط2، د، ت، ص96،

نية التقديم ويقدره أآتيك إن تأتني) ولا يزيد، أما سيبويه حين يعالج التقديم والتأخير في الكلام فإنه يلفت النظر إلى سر بلاغي هام، تلقفه علماء النحو والبلاغة فناقشوه مؤيدين ومعارضين).[1]

يقول سيبويه: (هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول وذلك قولك: ضرب عبد الله زيدا، فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإنه قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبد الله، لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم).[2]

فالأصل في ترتيب الجملة العربية أن يتأخر المفعول عن الفاعل، لكن قد يتقدم لعلة قصدها المتكلم، وهي العناية والاهتمام بشأنه كما قال سيبويه، سواء قدم المفعول على الفاعل أو على الفعل، إذ أن تقديمه على الفعل يكون للعناية والاهتمام كسابقه، قال سيبويه: (هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر، وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم، فإذا بنيت الاسم عليه قلت ضربت زيدا وهو الحد، لأنك تريد أن تعلمه وتحمل عليه الاسم كما كان الحد ضرب زيد عمرا، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه، وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربيا جيدا، وذلك قولك زيدا ضربت والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء، مثله في ضرب زيدا عمرا وضرب عمرا زيد).[3]

---

[1]–أثر النحاة في البحث البلاغي، ص89.

[2]–سيبويه، الكتاب، ت/عبد السلام هارون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1408، 34/1.

[3]–المصدر السابق، 80/1-81.

وهذه اللفتة التي ذكرها سيبويه لم ترق لبعض العلماء فقد ردها ابن جني مدعيا أنه ليس ثمة تقديم في نحو قولك ضرب زيدا عمرو.

قال في الخصائص: (وذلك أن المفعول قد شاع عن العرب، واطّرد في مذاهبهم كثرة تقديمه على الفاعل حتى دعا أبا علي أن يقول: إن تقديم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسم برأسه أيضا، وإن كان تقديم الفاعل أكثر وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا نحو قوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"[1]، وقوله سبحانه: "ألهاكم التكاثر"[2]، وفي كثير من شعر العرب). والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر، فلما كثر وشاع تقديم المفعول كان الوضع له، حتى أنه إذا أخر فموضعه التقديم، ولا تستنكر هذا الذي صورته لك، ولا يخفى عليك، فإنه مما تقبله اللغة ولا تعافه[3]. لكن ابن جني لم يلبث زمنا حتى رأيناه يقرر كلام سيبويه في تقديم المفعول ويحتفل به.

يقول في المحتسب: (ينبغي أن يعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمرا زيد، فإذا زادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة فقالوا: عمراً ضرب زيد. وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة .. وهذه صورة انتصاب الفضلة مقدمة لتدل على قوة العناية به).[4]

---

[1]– فاطر جزء من الآية 28.

[2]– التكاثر، الآية 1.

[3]– الخصائص، 1/295-297 بتصرف.

[4]– المحتسب لابن جني، ت/علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفاتاح اسماعيل شلبي، استامبول، دار سزكين، ط2، 1406هـ، 1/65.

وثمة علة أخرى يشير إليها سيبويه غير العناية والاهتمام، يقول في باب ظنّ: (فإن الغيت قلت: عبد الله أظن ذاهب، وهذا إخال أخوك، وفيها أرى أبوك، وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى، وإنما كان التأخير أقوى لأنه إنما يجيء بالشك بعدما يمضي كلامه على اليقين، أو بعدما يبتدئ، وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك).[1]

فالتقديم هنا ليس للعناية والاهتمام كما في تقديم المفعول على الفاعل أو الفعل (وإنما التقديم هنا لغرض بلاغي آخر، ولعامل نفسي طرأ على المتكلم أثناء كلامه وحول يقينه إلى شك، فألزمه تغير وضع الألفاظ عما كان ينبغي أن تكون عليه).[2]

وسيبويه لا يكاد يمر على موضع من مواضع التقديم والتأخير إلا ويشير إليه يقول: (والتقديم والتأخير فيما يكون ظرفا، أو يكون اسما في العناية والاهتمام مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول).[3]

وفي باب أن يقول: (واعلم أن التقديم والتأخير والعناية والاهتمام هاهنا مثله في باب كان ...).[4]

ويلحظ القارئ في النصين الأخيرين أن سيبويه لم يزد على أن أحال في السر للتقديم والتأخير إلى مواضع سابقة وإثباتي لها الهدف منه أن سيبويه أولى هذا الموضع اهتمامه، فهو لا يكاد يمر بموضع من مواضعه إلا بين السر فيه، وإن كان مثيلا لشيء سبق، فإنه لا يغفله بل يحيل إليه تنبيها عليه كما مر آنفا.

---

[1]– الكتاب، 1/119-120.

[2]–أثر النحاة في البحث البلاغي، ص90.

[3]–الكتاب، 1/56.

[4]–المصدر نفسه، 3/143.

ولم يقتصر سيبويه على العناية والاهتمام بل ذكر أن التقديم يأتي لتنبيه السامع يقول: (وإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: زيد ضربته فلزمته الهاء، وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل، أنه في موضع منطلق إذا قلت عبه الله منطلق، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به، فإنما قلت عبه الله فنبهته، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء).[1]

وهو مع هذه اللفتات البلاغية التي أثرت هذا الأسلوب، وأبانت بعض خصائصه لا يغفل عن الإشارة إلى مواضع يقبح فيها التقديم وإن كان الكلام مستقيما فيقول: (ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقص فمن ذلك قوله:

صَددتِ فَأَطْوَلْتِ الصّدود وقلّما ** وصالٌ على طول الصّدودِ يدوم**[2]

وإنما الكلام: وقلما يدوم وصال.[3]

فالتقديم والتأخير عند سيبويه كثيرا ما يأتي للعناية والاهتمام وأحيانا يأتي للتأكيد والتنبيه، وأحيانا يكون لغير علة بلاغية بل ربما كان سببا في قبح الكلام وسوء التركيب).[4]

ب-أهميته عند البلاغيين:[5]

التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني والذي يشكل أحد علوم البلاغة، ويعد التقديم والتأخير من أهم الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها، فهو

---

(1)-الكتاب، 81/1.

(2)- البيت لعمر بن أبي ربيعة، انظر شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة شرحه عبد علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، 1406هـ، ص376 ونسبه البغدادي إلى المرار الفقعي وقبله، صرمت ولم تصرم وأنت صروم *** وكيف تصابي من يقال حليم، ينظر، الخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح عبدالسلام هارون، مكتبة الخناجي، 1418-1997، ط4، ج1، ص231.

(3)-الكتاب، 31/1.

(4)-أثر النحاة في البحث البلاغي، ص92..

(5)- ابن شاكر محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن الكتبي الدراني الدمشقي، فوات الوفيات ، تح احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، ص369-370.

يسمح للمتكلم أن يتحرك بحرية متخطيا الرتب المحفوظة، فيختار من التراكيب ما يمنح موقفه الفكري والوجداني خصوصيته وتفرده، ولما أدرك البلاغيون أهمية هذه الظاهرة أولوها عنايتهم، ومحصوا كلام النحويين فيها واستفادوا منه، وسعوا في تطويره، ومن أبرز العلماء الذين أولوها اهتمامهم وكشفوا عن كثير من أسرارها البلاغية الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، ولا غرو فهو صاحب نظريه النظم، وقد عرف النظم بأنه: (توخي معاني النحو في معاني الكلام)[1]، ويرتب عبد القاهر على هذا أن المزايا في النظم، إنما تكون بحسب توخي المعاني والأغراض، وباب التقديم والتأخير كله يقوم على هذا الأساس.[2]

واهتمامه بالتقديم والتأخير وغيره من الأبواب التي تناولها بالدراسة والتحليل كالحذف والتكرار والفصل والوصل، إنما الباعث له أنها وسيلة من وسائل الإعجاز القرآني (وليت شعري إن كانت هذه أمورا هينة، وكان المدى فيها قريبا، والجدى يسيرا، ومن أين كان نظم أشرف من نظم؟ وبم عظم التفاوت واشتد التباين وترقى الأمر إلى الإعجاز، وإلى أن يقهر أعناق الجبابرة).[3]

وكان الدراسون قبل عبد القاهر يكتفي أكثرهم بالإشارة إلى موضع التقديم وبيان أصل العبارة، ومن ذلك قول ابن قتيبه: (ومن ا لمقدم والمؤخر قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۚ ﴿١﴾﴾[4]، أراد أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا، ومنه قوله سبحانه: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [5] أي (بشرناها بإسحاق فضحكت).[6]

---

(1)–دلائل الإعجاز للجرجاني، ت/محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1410هـ، ص361.

(2)–بدوي طبانه، البيان العربي، جدة، دار المنارة، الرياض، دار الرفاعي، ط7، 1408هـ، ص208.

(3)–دلائل الإعجاز، ص109.

(4)–الكهف الآية 1.

(5)–هود جزء من الآية 71.

(6)–ابن قتيبه تأويل مشكل القرآن، ت/أحمد صقر، المكتبة العلمية، د، ت، ص205-206.

أما عبد القاهر فقد أفرد فصلا في كتابه "دلائل الإعجاز" وفصل القول فيه في إحدى وأربعين صفحة فهو عنده (باب كثير الفوائد جم المحاسن واسه التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك قّم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان).[1]

ودرس عبد القاهر في هذا الفصل ظاهرة التقديم والتأخير في سياق الاستفهام، والنفي، والإثبات.

وقد أفاد فيه من سيبويه الذي أدرك هذه الظاهرة وأحسن عبد القاهر تعليلها وكشف عن بلاغتها، وتجاوز ما وقف عنده سيبويه، وفي ذلك يقول: (وقد وقع في ظنون الناي أن يكفي أن يقال، "إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم" من غير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم، ولتخليهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه).[2]

والتقديم عنده على وجهين:

أ- تقديم على نية التأخير ويحتفظ فيه المقدم بحكمه الإعرابي الذي كان عليه كتقديم الخبر على المبتدأ، أو المفعول على الفاعل كقولك: "منطلق زيد" و "ضرب عمراً زيدٌ".

ب- تقديم لا على نية التأخير فيه تنقل الشيء عن حكمه الإعرابي إلى حكم آخر نحو: "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" فكلاً من زيد والمنطلق يتغير إعرابه بتغير التركيب، وأظهر منه: "ضربت زيداً" عندما تقدم زيداً فإنك تنقله من المفعولية إلى الابتداء.[3]

---

[1]-دلائل الإعجاز، ص106.

[2]-دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص108.

[3]-المصدر نفسه، ص106-107.

وبين أنه يكون لفائدة في كل حال (وأنّ من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض)[1]. وقد درس التقديم والتأخير في السياقات التالية: الاستفهام، النفي، الخبر المثبت.

1- التقديم والتأخير في سياق الاستفهام:

تحدث عبد القاهر فيه عن تقديم الفعل بقسميه الماضي والمضارع على الاسم، وكذا العكس، فإن كان الفعل ماضيا وبدأت به فقلت (أفعلت) كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: (أأنت فعلت؟) فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه.[2]

وما يقال في الهمزة إذا كانت للاستفهام بمعناه الحقيقي، يقال فيها إذا كانت للتقرير، ومنه قوله سبحانه: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [3] (لا شبهة في أنهم لم يقولا ذلك عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان، وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم: "أأنت فعلت هذا" وقال هو عليه السلام في الجواب: "بل فعله كبيرهم هذا"[4] ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: (فعلت) أو (لم أفعل)).[5]

وأما إن كان الفعل مضارعا لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال فإن أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي.[6]

وإن أردت بـ (تفعل) المستقبل كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وترعم أنه لا يكون وأنه لا ينبغي أن يكون، فمثال الأول:

أيقتلني والمشر في مضاجعي ** ومسنونة زرق كأنياب أغوال[1]**

---

[1]–دلائل الإعجاز، المصدر السابق ،ص 110.

[2]–المصدر نفسه، ص 111.

[3]–الأنبياء الآية 62.

[4]–الأنبياء جزء من الآية 63.

[5]–دلائل الإعجاز، ص113.

[6]–المصدر السابق، ص116.

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه، ومثله أن يطمع طامع في أمر لا يكون مثله، فتجهِّله في طمعه فتقول: (أيرضى عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره؟).

والمثال الثاني: قولك لرجل يركب الخطر: "أتخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟ أتغرر بنفسك؟" وقولك للرجل يضيع الحق: "أتنسى قديم إحسان فلان".[2]

وجملة الأمر أنك تنحو بالإنكار نحو الفعل، فإن بدأت بالاسم فقلت: "أأنت تفعل؟" كنت وجهت الإنكار إلى نفس المذكور، وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل، إما لأنه عاجز عن القيام به وأنه ليس في وسعه كقولك: "أأنت تمنعني؟" "أأنت تأخذ على يدي؟" فكأنك تقول له غيرك يستطيع ذلك، أما أنت فلا ولست بذاك، وإما لأنه لا يختاره ولا يرتضيه، وأن نفسه تأباه وتكرهه، ومثاله "أهو يمنع الناس حقوقهم؟ هو أكرم من ذاك".

وإما لصغر قدره وقصر همته، وأن نفسه لا تسمو وذلك قولك "أهو يسمح بمثل هذا؟" أهو يرتاح للجميل؟ هو أقصر همة من ذلك، وأقل رغبة في الخير مما تظن.[3]

1- التقديم والتأخير في سياق النفي:

حال التقديم مع النفي كحاله مع الاستفهام، فإذا قلت: "ما فعلت" كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: "ما أنا فعلت" كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول.[4]

ومما هو مثال بيّن في أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله:

وما أنا أسقمت جسمي به ** ولا أنا أضرمت في القلب ناراَ[1]**

---

[1]– امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، (2004/1425)، ج1، ص12.

[2]–دلائل الإعجاز، ص116-117.

[3]–المصدر نفسه، ص117-118.

[4]–دلائل الإعجاز ، المصدر السابق، ص124.

المعنى على أن السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جره إلى نفسه، ومثله في الوضوح قوله: وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله.[2]

(الشعر) مقول على القطع، والنفي لأن يكون هو وحده القائل له.[3]

ويقرر عبد القاهر أن النفي يكون عاما في حال تقديم الفعل فيصلح قول القائل: "ما قلت شعرا قط" و "ما أكلت اليوم شيئا" أما تقديم الاسم منفيا فلا يعطي دلالة العموم والشمول التي اكتسبها الفعل بتقديمه، فلا يصلح أن يقال: "ما أنا قلت شعرا قط، وما أنا أكلت اليوم شيئا" لأن هذا يقتضي المحال وهو أن يكون هناك إنسان قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل.[4]

ويبرهن على صحة ما ذهب إليه بأمثلة مركبة فيقول: يصح لك أن تقول: "ما قلت هذا ولا قاله أحد من الناس" ولا يصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت: "ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس" كان خلفا من القول، لأنك أثبت كلاما مقولا في بداية حديثك، ثم تقول بعد ذلك: "ولا قاله أحد من الناس" فتناقض ما بدأت به.[5]

2- التقديم والتأخير في سياق الخبر المثبت:*

يقسم عبد القاهر تقديم الاسم على الفعل في سياق الخبر المثبت إلى قسمين وفيهما يقول: فإذا عمدت إلى الذي أدرت أن تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه فقلت: "زيد قد فعل" و "أنا فعلت" و "أنت فعلت" اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل، إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين:

---

(1)–قاله المتنبي في قصيدة مطلعها: أرى ذلك القرب صار أزورارا *** وصار طويل السلام اختصارا، انظر ديوان المتنبي، بيروت، دار صادر، د، ت، ص365.

(2)–هذا صدر بيت للمتنبي وعجزه: ولكن لشعري فيك من نفسه شعر، من قصيدة يمدح .

(3)–دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص125.

(4)– دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص124.

(5)–المصدر نفسه، ص125.

(6)–الملاحظ أن شواهده القرآنية والشعرية اقدم المسند إليه فيها على الخبر الفعلي، ولذا سيأتي التفصيل فيه في مدخل الفصل الأول في تقديم المسند إليه انظر ص65-68..

أحدهما جلي لا يشكل: وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد نحو: "أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه" تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد، ومنه قولهم في المثل: "أتعلمني بضب أنا حرشته"[1]، فلم يحرشه أحد سواي وهذا القسم يفيد تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي.

والقسم الثاني: أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولا في نفسه لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، ومثاله قولك: "هو يعطي الجزيل" فأنت لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل غيره، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه عنه، ولكن تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل دأبه، وأن تمكن ذلك في نفسه.[2]

ويكشف لنا عبد القاهر عن سر هذه التقوية، وعلة هذا التوكيد بقوله: وذلك أن لا يؤتى بالاسم معرَّى من العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده إليه، وإذا كان كذلك، فإذا قلت: "عبد الله" فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا: "قام" أو قلت: "خرج" أو قلت: "قدم" فقد علم ما جئت به، وقد وطأت له، وقدمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المهيأ له والمطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته، وأنفى للشبهة، وأمنع للشك وأدخل في التحقيق[3]، ويلمح عبد القاهر بحشه الجمالي إلى الجانب الوجداني في التقديم، وأثره على المتلقي، متخطيا ومتجاوزا الجانب النحوي الذي يحتمه السياق، على حين نرى القزويني يوقفه على الجانب النحوي، ويقصره عليه، ويرى أن سبب التقوية هو تكرار الإسناد، فإذا قلت: "هو يعطي الجزيل" فأنت ذكرت المسند أولا ثم أعدته بالضمير ثانيا.[4]

---

[1]– دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص128.

[2]– دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص128-129.

[3]– دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ، ص132.

[4]– التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، ت/عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، د، ت، ص79.

رابعا: مثل وغير:

وهما مما يلزم تقديمه في التراكيب البليغة، إذ أنه مركوز في الطباع وجار في عادة كل قوم، ومنه قول المتنبي:

مثلك يثني الحزن عن صوبه * * * * ويسترد الدمع عن غربه[1]

وقول أبي تمام: وغيري يأكل المعروف سحتا * * * * وتشحب عنده بيض الأيادي[2]

فهو لا يريد أن يعرض بشاعر سواه، وإنما أراد أن ينفي عن نفسه أنه ممن يكفر النعمة ويلؤم.[3]

فإن أخرتهما وقلت: "يثني الحزن عن صوبه مثلك" و "يأكل غيري المعروف سحتا" رأيت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيرا عن صورته، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه.[4]

خامسا: تقديم النكرة على الفعل.

وفيه يختم عبد القاهر فصل التقديم والتأخير، ويتحدث فيه عن تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام، وفي الخبر المثبت.

فإذا قلت: "أجاءك رجل؟" فأنت تريد أن تسأله، هل كان مجيء أحد من الرجال إليه؟ فإن قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي، فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت: "أزيد جاءك أم عمرو؟"[5]، وتقديم النكرة في الخبر مثلها في الاستفهام، فأنت إذا قلت: "رجل جاءني" لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا

---

(1)– أبو البقاء المحب الدين البغدادي، شرح ديوان المتنبي، تح مصطفى السقا وآخرون، دار المعرف، بيروت، ج1، ص217، ينظر: قاله المتنبي في قصيدة يرثي فيها عمة عضد الدولة، ويعزيه بها، ومطلعها: آخر ما الملك معزى به**هذا الذي أثر في قلبه، انظر ديوانه، ص557.

(2)–نال أبو تمام في قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي داؤد ومطلعها: سقى عهد الحمى سيل المهاد *** وروض حاضر منه وباد، انظر ديوان أبي تمام، ت/شاهين عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، د، ت، ص81.

(3)–دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص138-139.

(4)–المصدر نفسه، ص140.

(5)–دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص142.

امرأة، ويكون كلام مع من قد عرف أن قد أتاك آت، فإن لم ترد ذاك، كان الواجب أن تقول: "جاءني رجل" فتقدم الفعل.

ومنه قولهم: "شر أهر ذا ناب" قدم فيه (شر) لأن المراد أن يعلم أن الذي أهر ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير، فجرى مجرى أن تقول: "رجل جاءني" تريد أنه رجل لا امرأة.[1]

هذا والذي يشعر به كلام عبد القاهر أنه لا فرق بين المعرفة والنكرة في أن بناءها على الفعل قد يكون للتخصيص، وقد يكون للتقوِّي.[2]

المطلب الثالث: الموازنة بين الدراسة النحوية والدراسة البلاغية لهذه الظاهرة.

ليس ثمة تناكر بين هذين العلمين، فنحن نرى سيبويه النحوي يشير إلى الأسرار البلاغية خلال عرضه لموضوعات الكتاب.[3]

ويقرر عبد القاهر أن البلاغة حاجتها إلى علم النحو ماسة وضرورية حيث (أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه) [4]، ويقول: (فلست بواحد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى "النظم" ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه).[5]

---

[1] دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص143.

[2]–مختصر السعد في شروح التلخيص، 405/1.

[3]–سبق عرض شيء منها.

[4]– دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص38.

[5]–المصدر نفسه، ص82-83.

هذا التقارب نتيجة حتمية لنشوء علم المعاني في أحضان النحو، إذ قام صرح البلاغة على أساس من جهود أوائل النحاة واللغويين الذين تناولوا اللغة من خلال منهج شمولي، فتعاملوا معها على أنها بناء دلالي تركيبي متكامل [1]، وبرغم هذا التقارب، وتصريح عبد القاهر وتأكيده على علم النحو ، وكونه أساسا متينا يقوم عليه البناء اللغوي، إلا أنك تلحظ فروقا تمليها طبيعة الدراسة في كل فن للظواهر اللغوية المختلفة.

فعلما النحو والمعاني كلاهما يتناول الجملة إلا أن الأول تحليلي يبدأ بالجملة للوصول إلى المعنى، والآخر تركيبي يبدأ بالجملة ويتخطاها إلى علاقاتها بالجمل الأخرى في السياق العام، هذا الترابط الوثيق بين العلمين قديم يرجع بأصوله إلى بدايات الدرس البلاغي، عندما أخذ العلماء عن النحويين أهم أصولهم فقبلوا قبول التسليم "أصل الوضع" إلا أنهم اختاروا أصولا أخرى معنوية الطابع، وهي ألصق بمادة دراساتهم وأضافوا إليها ما يناسب غاياتهم.[2]

ويوضح ابن كمال باشا[3] العلاقة بين علمي النحو والمعاني فيما نقله عنه الأستاذ حسين أحمد الدراويش بقوله: (يشارك النحوي صاحب المعاني في البحث عن المركبات، إلا أن النحوي يبحث عنها من جهة هيآتها التركيبية صحة وفسادا، ودلالة تلك الهيئات على معانيها الوضعية على وجه السداد، وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة حسن النظم المعبر عنه بالفصاحة غي التركيب وقبحه) وهذا يعني أن ما يبحث عنه في علم النحو من جهة الفساد يبحث عنه في علم المعاني من جهة الحسن والقبح، والذي يظهر أن نظرة البلاغيين لهذا الموضوع كانت نظرة تتسم بالبحث عن أغراض كل أسلوب، فدراستهم تبدأ بالجملة وتنتهي إلى النص لمعرفة أثر ذك التقديم، أو ذاك التأخير على جمال النص، وإبراز المقصود إلى المتلقي، في حين كان النحويون ينظرون إلى هذا الموضوع من

---

[1]—مناهج بلاغية أحمد مطلوب، الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1973، ص99-100.

[2]—الأصول لتمام حسان، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د، ت، ص346-350.

[3]—في رسالة له مخطوطة بعنوان رسالة فيما بين اللغوي وصاحب المعاني، دار الكتب المصرية، ص198، انظر النظم القرآني في سورة البقرة، رسالة دكتوراه مقدمة من حسين أحمد علي الدراويش، الجامعة الأردنية 1986، مخطوط ص34.

حيث صحة الجملة العربية إفرادا وتركيبا، وعلى هذا (فالنحو يجعل نقطة البداية هي المباني، وينطلق منها للوصول إلى غايته من المعاني ... أما علم المعاني فربما اتجه اتجاها معاكسا لاتجاه النحو، فبدأ من منطلق المعاني باحثا له عن المبني، ولأمر ما قال البلاغيون: لكل مقام مقال، فالمعني هو الذي يقتضي الذكر أو الحذف، والإظهار أو الإضمار، والتقديم أو التأخير، والفصل أو الوصل).[1]

ولا يعني هذا أن اتجاه كل علم مختلف عن اتجاه العلم الآخر، ومن ثم فالعلمان وإن اختلفا في المسلك فإنهما متكاملان بحيث لا يستغنى أحدهما عن الآخر فأحدهما ينظر إلى الناحية الشكلية والتعبير عن المعنى بطرق معينة، والآخر ينظر إلى الناحية المعنوية والتعرف على أسرار التعبير، ومعرفة أسرار حسنه وأسباب قبحه، ولذا يحسن كما يرى تمام حسن أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية، إذ أشاد بدراسة عبد القاهر الجرجاني قائلا: (لقد كانت مبادرة العلامة عبد القاهر رحمه الله بدراسة النظم وما يتصل به من باء وترتيب وتعليق، من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق، أو التركيب).[2]

ولم يقف الجرجاني بالتقديم والتأخير عند الحدود التي وقف عندها النحويون بل تتبع المعنى في التراكيب المختلفة لرصد أدق الفروق والأغراض البلاغية التي لم ينتبه إليها النحاة، ولم يهتموا بها، فالتقديم عندهم لا يعني سوى العناية والاهتمام، لا يبالون من أين كانت تلك العناية ولم كان الاهتمام، إلا أن سيبويه كان قد أشار إلى غرض آخر، وهو تنبيه المخاطب أخذه عنه الجرجاني.[3]

ومع ذلك لم يستطع النحويون تتبع دقائق المعنى كما فعل الجرجاني، إذ أنهم لم يدركوا الدلالات الإضافية التي ترتبط بظروف المقام، وبسياقات معينة، وبتوترات نفسية خاصة بالمتكلم والمخاطب

---

[1]—الأصول لتمام حسان، ص149.

[2]—اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979، ص18.

[3]—ابتسام أحمد حمدان، الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني، دمشق، دار طلاس، ط1، 1992م، ص53.

بينما كانت هذه الجوانب عند الجرجاني ومن نحا نحوه عناصر هامة وبارزة من عناصر الموقف اللغوي.[1]

وخلاصة القول هو أنه إذا كان النحاة قد بحثوا هذا الأسلوب في حدود الصحة والخطأ أو الجمال أحيانا، فإن البلاغيين كشفوا عن كثير من قيم الجمال فيه، وتراث العربية واحد، جهود علمائه تتكامل ولا تتفاضل، والوعي بعبقرية هذه اللغة وإدراك أسرارها لا يمكن الوقوف عليه، إلا من خلال رؤية شاملة تعتد بكل جهد تناول الدرس اللغوي، وتجاوز بالبحث في حدود الصحة والخطأ إلى تلمس القيم الجمالية، والكشف عنها.

[1]– ابتسام أحمد حمدان، الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني، المرجع السابق، ص54.

المبحث الرابع: علم البيان والبديع.

المطلب الأول: الطباق.

الطباق لغة: يسمى المطابقة والتطابق والطباق والتطبيق، اشتق من كلمة (طبق) التي تعني وضع الشيء على آخر حتى يغطيه فالطبق: غطاء شيء والجمع أطباق وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبق غطاه وجعله مطبقا، والمصدر (الطبقُ) معناه أطبقت الشيء على الشيء وقد تطابقا، وطابقه مطابقة وطباقا وتطابق الشيئان: تساويا، والمطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق[1]،: "ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا" أي بعضهما فوق بعض سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضا أي بعضها فوق بعض.[2] قال الزجاج: (معنى طباقا مطبق فوق بعض) وطبق السحاب الجو: غشاه وسحابة مطابقة، وطبق الماء وجه الأرض: غطاه أصبحت الأرض طبقا واحدا إذا تغشى وجهها الماء، قال امرؤ القيس:

ديمة هطلاء فيها وطف * * * طبق الأرض تحرى وتدر[3]

وتقول: أطبق الناس على كذا فكأن أقوالهم قد تساوت فأحدها طبق للآخر. وتأتي كلمة (طبق) بمعنى حال الناس أي تقلبهم من حال إلى حال وهذا واضح في قوله تعالى: "لتركبن طبقا عن طبق" أي حالا عن حال يوم القيامة[4]، قال النابغة الجعدي:

وخيل يطابقن بالدراعين * * * طباق الكلاب يطأن الهراسا[5].

المعنى: إن الفرس يطبق في جريه فيضع رجليه موضع يديه مثل الكلاب التي تجري في أرض مزروعة بنبات الشوك.

---

[1] لسان العرب، المصدر السابق، ج 10 ، ص 209

[2] محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحقيقن، دار الهداية، ج 26، ص55

[3] – امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، المصدر السابق، ج1، ص 102.

[4] أبو العباس حسيني الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق محمد أحمد عبد الله القريش يرسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، ط2 ، 1423، 2002،ج7 ، ص 146.

[5] – نا بغة الجعدي، جمع وتحقيق واضح الصمد، دار صادر بيروت، 1998،ص99، وظّفه أبو هلال العسكري، الصناعتين "الكتابة والشعر"، تح، علي محمد البجاوي ومحمد الفضل أبو إبراهيم، مكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ، ج1، ص307

أما التطبيق فهو أن يثبت فتقع قوائمه بالأرض معاً فيطبق في جريه إذا وضع رجليه مكان يده وهذا هو جمع الشيئين معاً.

لقد اتفق أهل الصنعة مع أهل اللّغة في معنى الطباق، فهو عندهم الجمع بين الشيئين أيضاً، وقد أخذوا هذا المعنى من أصحاب اللّغة لكنهم استعملوه مصطلحاً بلاغياً في الجمع بين الشيئين الضدّين.

قال أبو هلال العسكري: "الطباق في اللغة: الجمع بين الشيئين، يقولون طابق فلان بين ثوبين ثم استعمل غير ذلك، فقيل: طبق البعير في سيره، إذا وضع رجله موضع يده، وهو رجع إلى الجمع بين الشيئين...، وفي القرآن:﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾[1] .

أي بعضها فوق بعض، كأنه شبه بالطبق يجعل فوق الإناء... وكل فقرة من فقر الظهر والعنق وذلك إنّ بعضها منضود على بعض"، أي حالاً عن حال، ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى، وإنما أراد عزّ وجلّ –وهو أعلم– تساويهما فيكم وتغييرها إياكم بمرورها... ومنه طباق الخيل، يقال: طابق الفرس إذا وقفت قوائم رجليه في موضع قوائم يديه في المشي[2]."

إن أقرب المعاني إلى الطباق هو الجمع بين الشيئين لأنه في أصل اللّغة هذا المعنى، وفي الاستخدام البلاغي أقرب أيضاً لأنه الجمع بين الضدَّين فقيل: مطابق لمساواة أحد القسمين صاحبه، والمتساويان ممكن أن تجمع بينهما حتى إن كان أحدهما ضدّ الآخر لأنّ أحدهما يشكّل الآخر ويساويه في المقدار، وأن المطابقة في الصنعة هي الجمع بين الشيء وضدّه في الرسالة أو الخطبة فهذا يشكّل ذلك.

---

[1]–سورة الملك، الآية: 03.

[2] بو العباس، حسيني الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المصدر السابق، ج7 ، ص 146

مفهوم الطباق عند أهل الصنعة:

يطلق أهل الصنعة عدة تسميات عليه، منها:المطابقة، والتطبيق، والتضاد، والتكافؤ، ويأتي في التناسب بين المعاني، لأنه فيها ضد التجنيس في الألفاظ.

اتفق أكثرهم على أنه الجمع بين الشيء وضده، نحو قوله تعالى:﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾[1] ، فالضحك ضد البكاء والقليل ضد الكثير، ومعنى ضده: إيراد لفظة وضدها مثل الأسود والأبيض وغيرها من المتضادات.

قال أبو هلال العسكري: قد أجمَعَ الناسُ على أنَ المطابقة في الكلام هيَ الجمعُ بينَ الشيء في جزء من أجزاء الرسالةِ أو الخطبةِ أو بيت من بيوتِ القصيدةِ مثلَ الجمع بينَ السوادِ والبياض والليلِ والنهارِ والحرِّ والبرد).

وهو الجمع بين معنيين متضادين متقاربين في الجملة، ومختلفين في المعنى، كالإيراد والإصدار، والليل والنهار، ونحو قوله تعالى:﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [2].

فهو من المحسّنات البديعية المعنوية في اللّغة والتي يرجع في معناها إلى مقابلة المتضادّين[3].

قال البابرتي: (أمَّا المعنوي فمنه المطابقة وتسمّى الطّباق والتّضاد أيضاً، وهي الجمع بين المتضادّين أي معنيين متقابلين في الجملة)[4].

(يعني هذا ليس المراد بالمتضادّين الأمرين المتواردين على محل واحد وبينهما خلاف معنوي، كالسواد والبياض، بل أعم من ذلك ما يكون بينهما تقابل وتنافٍ سواء أكان التقابل حقيقياً أو

---

[1]–سورة التوبة، الآية: 82.

[2]–سورة فاطر، الآية: 13.

[3] أبو هلا ل العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، المصدر السابق، ص 307

[4] – أكمل الدين بن أحمد البابرتي، شرح تلخيص البابرتي، دراسة وتحقيق محمد مصطفى رمضان صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس–ليبيا، 1983، ط1، ص 613.

اعتبارياً وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الإيجاب أو السلب أو تقابل العدم أو الملكة أو تقابل التضايف وما شابه ذلك).

يراعي في هذا التضاد التقابل فتأتي باسم يقابله اسم، وبفعل يقابله فعل، فلا تجيء باسم مع فعل، ولا بفعل مع اسم، لأن الطباق هو أن تجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [1]. هذا تقابل بين اسم واسم وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) للأنصار: ((إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع)) هنا تقابل بين فعلين متضادين (تكثرون-تقلون) وبين اسمين متضادين (فزع-طمع) في الحرب وعند جمع الغنيمة. ويقال له التضاد والتكافؤ وهذا متفق على صحة معناه وتسجيله.

إنّ أكثر أهل الصنعة متفقون على أنّ الطباق الجمع بين الشيء وضده على نسق واحد، ما عدا قدامه بن جعفر ومن تبعه، فإنه يسمي هذا النوع بالتكافؤ، وأما الطباق فعنده اجتماع معنيين في لفظة واحدة، وهذا يسمى الجناس لدى أرباب الصنعة، قال ابن رشيق: " المطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر إلا قدامه ومن اتبعه فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً، وقد تقدم الكلام في باب التجانس، ويسمي قدامه هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا التكافؤ وليس بطباق عنده إلا ما قدمت ذكره، ولم يسمه التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع مَن علمته."[2]

قال قدامه: "ومن نعوت المعاني التكافؤ، وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل[3]، مثل قول الشاعر :

---

[1]–سورة الكهف، الآية: 18.

[2] – ابن رشيق، في محاسن الشعر ونقده، المصدر السابق ص 97.

[3] – قدامة ابن جعفر، نقد الشعر مطبعة الجوانب، قسطنطينية، 1302هـ، ط1، ص51

حلو الشمائل وهو مر باسل * * * يحمي الذمار صبيحة الإرهاف[1]

فقوله: (مر وحلو تكافؤ).

هذا هو الطباق بعينه عند أهل الصنعة، يعده تكافؤاً، لأنه تقابل في المجاز لا في الحقيقة؛ لأنَّ حلو ومر خرجا مخرج الاستعارة، إذ ليس الإنسان ولا شمائله مما تذاق بحاسة الذوق.

أما ابن الأثير فيعدّه من باب التجنيس بقوله: "وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه غير أنّ الأسماء لا مشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة.[2]"

إنّ هذا الخلاف راجع إلى أصل اللغة؛ لأنَّ كلمة(طبق) في اللغة الموافقة بين شيئين أمّا الجمع بين الضدين فليس لمعنى الموافقة.

أما ابن الأثير فقد مال إلى رأي قدامه بن جعفر معتمداً على أصل اللغة، لكنه لا يتفق معه في معنى أهل الصنعة، فهو سماه تجنيساً وهم يسمونه تطبيقا، بقوله "هو أنْ تكشف عن أصل المطابقة في وضع اللغة، وقد وجدنا الطباق في اللغة من طابق البعير سيره إذا وضع رجله موضع يده، وهذا يؤيد ما ذكره قدامه، لأن اليد غير الرجل لا ضدها، والموضع الذي يقعان فيه واحد، كذلك المعنيان يكونان مختلفين، واللفظ الذي يجمعها واحد، فقدامه سمى هذا النوع من الكلام مطابقاً حيث كان الاسم مشتقا مما يسمى به، وذلك مناسب وواقع في موقعه، إلا أنه جعل للتجنيس اسماً أخر وهو المطابقة، ولا بأس به إلا إنْ كان مَثّله بالضدين كالسواد والبياض فإنّه يكون قد خالف الأصل الذي أصّله بالمثال الذي مثّلهُ.

[1] – قول أبي الشغب العبسي، قدامة بن جعفر البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائز، قسطنطنية، ط1، (1802هـ)، ج1، ص52.

[2] – ضياء الدين ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي البدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ج3، ص143.

ينتهي ابن الأثير إلى أن يسمى هذا النوع بالمقابلة من حيث المعنى، لأنه مقابلة بين الشيء وضده أو مقابلة بما ليس ضده، وبقوله: "الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث[1]."

في حين نرى ابن أبي الحديد قد ذهب إلى تسمية هذا النوع المطابقة تعويلاً على معنى كلمة (طبق) في أصل اللغة (المشقة) وإعطاء العرب الألفاظ حكم الحقائق في نفسها توسعاً، فأغرب في هذا بقوله: "الطبق في اللغة المشقة، قال الله سبحانه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًاعَنطَبَقٍ﴾ أي مشقة بعد مشقة، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقاً بل متعذرا، ومن عادتهم أن تعطى الألفاظ حكم الحقائق في نفسها توسعاً سموا كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابق)[2].

جاء كلام ابن أبي الحديد شرحاً توضيحياً وإتماما لكلام ابن الأثير الذي ينكر فيه وجود مناسبة بين التسمية(المطابقة) عند أرباب الصناعة الذين سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه، ولعلهم في ذلك لمناسبة لطيفة لم نعلمها نحن.

نميل إلى الرأي القائل بأنها مطابقة اعتماداً على ذكر المعنيين المتضادين لأنّ ذكرهما معاً توفيقا وايقاعاً للتوافق بين ذكر شيئين فيهما غاية التخالف، كذلك الإحياء مع الإماتة والبكاء مع الضحك.

ذكر أنّ المطابقة عند أهل اللغة الجمع بين الشيئين على حذو واحد والصاقهما وعند أرباب الصناعة الجمع بين الشيء وضده، وقدامه يسمي هذا بالتكافؤ، والمطابقة عنده اجتماع المعنيين في

[1] – ابن رشيق، في محاسن الشعر ونقده، المصدر السابق، ص 99. ينظر المصدر السابق قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ص51

[2] – الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982، ص68 (حوار بين الأصفهاني ساقه ابن الخفاجي تعليق على خطأ ابن قدامة في تعريف الطباق).

لفظة مكررة ، وقد يجمع بين هذا وذلك فيجعل الشيئين للمعنيين والحذو الواحد اللفظة، فيكون مطابقة اللفظة للمعنى أي موافقتها لأن معنى فلان يطابق فلاناً على كذا أي يوافقه، فمذهب قدامه إنّ اللفظة وافلت معنىً ثم وافلت معنىً آخر.

"وأمّا قول قدامه في المطابقة [هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها] فإنه مساواة أيضاً لفظٍ للفظ، وهي –أعني المساواة– على رأي الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى، أي موافقته ألا ترى أنهم يقولون: فلان يطابق فلان على كذا، إذا وافقه عليه وساعده فيه فيكون مذهب قدامه أن اللفظة وافقت معنى، ثم وافقت بعينها معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق: [أنه جمعك بين الشيئين على حذوٍ واحد] فيكون الشيئين للمعنيين ، والحذو الواحد: اللفظة[1]."

لكن هذا غير صحيح في رأي الأخفش الذي صرح فيه عندما سئل عن الطباق فقال: " أجد قوماً يختلفون في الطباق ، فطائفة وهي الأكثر تزعم أنه ذكر الشيء وضده يجمعهما اللفظ بهما لا المعنى، وطائفة تخالف ذلك فتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد كقول زياد الأعجم[2]:

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * * * وللؤم فيهم كاهل وسنام[3]".

المطلب الثاني: دراسة تركيبية أسلوبية لفن المقال في كتابات البشير الإبراهيمي "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" أنموذجا.

يتجسد المستوى التركيبي في مقال "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" في قوله: "الطلاق حلّ عقدة، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كلّ ما في هذه المركبات

[1] – القيرواني، العمدة، تح محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار الجبل، بيروت– لبنان، ط4، 1972، ص99.

[2] – الخفاجي، سر الفصاحة، المصدر السابق، ص68

[3] – أبو العباس ابن المعتز، البديع في البديع، دار الجبل، ط1، 1410-1990، ج1، ص110.

الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعًا بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم".[1]

نلاحظ في مستهل المقال أن الإبراهيمي ابتدأ كلامه بلفظة (الطلاق) مبينا مفهومها من ناحية التركيب والدلالة إذ اعتبر الطلاق: الطلاق حلّ عقدة، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر...، ومن هنا نستخلص أن الطلاق عنده يعد من أهم مشاكل الأمة، حيث شاع في بيئة وسن أوساط شعبة بصفة خاصة وأصبح مكمن الأمثال المتداولة.

وظف الإبراهيمي حروف العطف كحرف (الواو، والفاء) والتي تعد من مورفيمات تسهم في ترابط النص وأجزائه فهي مورفيمات وظيفية ذات بعد قوي تدخل تحتها الظروف وحروف المعاني ولكل منها سياقها التي ترد فيه ومثال ذلك قوله: "لهذه الملابسات التي هي من مقتضيات الفطر السليمة، والطباع الرقيقة، شرعه الإسلام مقيدًا بقيود فطرية حكيمة، وقيود شرعية قويمة، اعتمد في تنفيذها بعد فهم المراد منها على إيمان المؤمن، وشرع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومدّ الأمل بالمراجعة...".[2]

كما لجأ إلى توظيف حرفي الواو والفاء، حيث أضحى يقول: "والزواج عقد بين قلبين، ووصل بين نفسين، ومزج بين روحين- وفي الأخير- تقريب بين جسمين، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف...".[3]

إذا رجعنا إلى حروف الجر فكان لها حضورا قويا وتمثلت في توظيف الحروف التالية: (من، في، الباء، اللام، على ...). مما زاد النص تماسكا وتضام كلماته بعضها مع بعض لتؤدي معاني قريبة من أذهان السامعين وتوقظ ضمائرهم وتحرك مشاعرهم وتصلح شؤونهم ويتعلمون فقد دينهم من حلاله وحرامه.

---

[1]—البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3، ص297.

[2]—البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3، المرجع السابق، ج3، ص297.

[3]—المرجع نفسه، ص297.

باعتبار أن الربط يعد من القرائن الدلالية التي تدل على اتصال بين الألفاظ وله دور في إبراز المطابقة بين الكلام وأجزائه.

ومثال ذلك في قوله: "أنا لم أسمع مدةَ دراستي للفقه في بعض تلك الكتب إلا كلمتين تثيران في النفس شيئًا من الإحساس الحي، وتنبّهان على خيال من الحكمة، وتبثّان في المشاعر بصيصًا من النور، إحداهما في باب النكاح، وهي قولهم" :النكاح مبنيٌّ على المكارمة"، والثانية في باب الطلاق، وهي تناقلهم لأثر "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"".[1]

الجمل البسيطة والمركبة: كان لهذه السمة حضور أساسي في مقالات البشير الإبراهيمي، إذ تميزت مقالاته بتوظيف الجمل البسيطة، وهذا لتوصيل أفكاره لمستمعيه ولمن يقرأ كلامه وتحذيرهم من الوقوع فيما يغضب الله بقوله: "إن من يأخذ فقه الطلاق من آية:﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[2]، ومما بعدها من الآيات الآمرة بالوقوف عند حدود الله، الناهية عن تعديها، أو من آية:﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾[3]؛ أو من آية الحكمين ووعد الله بالتوفيق عند الإصلاح، وبالإغناء من واسع فضله عند التفرّق؛ أو من آية تخيير النبي أزواجه بين حالين :أحدهما التمتيع والسراح الجميل...".[4]

كما وظف البشير الإبراهيمي الأساليب الإنشائية والخبرية، استعمل الكاتب الأساليب الخبرية لأنه يريد أن يعطي مفاهيم فقهية لمستمعه ونجد ذلك في قوله: "إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارًا، ولا تنتفع بهم كبارًا، إلا إذا نشأوا متقلبين في أحضان الآباء والأمهات، متلقّين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين، لا من قلب واحد".

---

[1]–البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق، ج3، ص298.

[2]–سورة البقرة، الآية 229.

[3]–سورة البقرة، الآية 236.

[4]–البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق، ج3، ص298.

أما **الأساليب الإنشائية** في أسلوب النداء وهذا للفت وشج انتباه قارئه حيث قال: "أيها المسلمون: إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار، ويتلاعب بها الفجّار، وإن العصمة امتياز لرجالكم، ما لم تطغوا فيه وتظلموا، فإذا طغيتم فيه وجُرتم عن القصد، كما هي حالتكم اليوم، انتزعه منكم القضاء الإسلامي العادل لو كان. فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزي".[1]

وقوله أيضا: "أيها المسلمون:إنه لا أشقى من ابن المطلقة، وإن أباه يُشقيه أولًا، ويشقى به أخيراً، فإذا ربيَ في حضن أمّه المطلقة شقي ببعده عن أبيه، وشقي أبوه بما تغرسه أمّه في نفسه من بغض له وحقد عليه".[2]

كما يبرز الأسلوب التعجبي وسجل حضوره جليا في قوله: "ماهذهالفوضوهذاالاضطراب إلا عقوبة من الله لكم، وغيرة منه على أحكامه أن تتولوها بالهوى المطاع، والجهل الغالب للأوضاع".[3]

نلاحظ من خلال ما سبق وما يبرره توظيف الإبراهيمي لأسلوب التعجب تعجبا منه من الوضع وأن هذا الاضطراب والفوضى نتيجة حتمية لغضب الله من عباده وأنهم قد كسروا أحكامه وتجاوز حدوده ولم يتبعوها و... بها في فهم حياتهم ودينهم.

وختم البشير الإبراهيمي مقاله بأسلوب إنشائي غرضه التمني، إذ قال: "ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟".[4]

ومن هنا يؤكد الكاتب على أضرار الطلاق ومخلفاته على تشتت السر وخاصة الأبناء وتمزق صلة الرحم وانتشار أمراض القلوب كالحقد والبغض وضياع الحقوق ونشوء الأبناء في ظروف صعبة قد تؤدي بهم إلى الانحراف والانغماس في المحرمات.

---

[1]–البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق، ج3، ص299.

[2]–المرجع نفسه،ج3، ص300.

[3]–المرجع نفسه، ص299.

[4]–المرجع نفسه.ص300.

كما وظف البشير الإبراهيمي أسلوب الانزياح في مقاماته وسياقاته المختلفة ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

محور الانزياح	
	– الطلاق – حل العقدة – بت الحبال – تمزيق الشمل – زيال الخليط، تسريح بالإحسان
محور التركيب	التكرار 07 مرات
	– عقد بين قلبين – وصل بين نفسين – مزج بين زوجين – ذات البين – تقريب بين جسمين – السكون والرحمة – الجمع بين قلبين– النكاح – الزواج

محور الانزياح والتركيب يوضح كيفية الطلاق

❖ **الجملة الفعلية والاسمية في كتابات البشير الإبراهيمي من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق أنموذجا.**

نجد البشير الإبراهيمي نوع في توظيفها ومزج بينهما لذلك كان للجمل حضورا قويا ويتضح ذلك في قوله: "والزواج عقد بين قلبين، ووصل بين نفسين، ومزج بين روحين- وفي الأخير- تقريب بين جسمين، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف، وهنا يدخل العقل مصلحًا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان، وشفاعة النسل إن كان، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما، ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين، بإصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمّل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتّحدا، وروحين لم يتعارفا؛ لذلك شرع لهما الطلاق".[1]

وقوله أيضا في موضع آخر: "جهل المسلمون حقائق دينهم، وجهلوا الحكم المنطوية تحت أحكامه، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تُعلّم الأحكام ولا تُبيّن الحِكَم، فأثر ذلك في نفوس المتفقهة- وهم مرجعُ العامة في سياسة الإفتاء- آثارًا سيّئة، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية تُحفظ ألفاظها، ولا يتحرّك الفكر في التماس عللها، وطلب حكمها، وتعرف مقاصد الإسلام منها، وتصفّح وجوه المصلحة والمفسدة فيها[2]".

وقوله أيضا: "هذا الجمود في الفقه والفقهاء، وذلك الخلاف الواصل بين طرفي الإباحة والحظر في المسألة الواحدة ...".[3]

---

[1]–البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3، المرجع السابق، ص297.

[2] - المرجع نفسه، ص297.

[3]–المرجع نفسه، ج3، ص298.

وقوله أيضا: "يخرج الرجل إلى السوق، أو يجلس في المقهى، ويختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثًا فتكون النتيجة خراب بيت، وتمزيق أسرة، وتشريد بنين..."[1].

وقوله أيضا: "الطلاق حل عقدة، وبث حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر ..."[2]

وقوله أيضا: "إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار، ويتلاعب بها الفجّار، وإن العصمة امتياز لرجالكم، ما لم تطغوا فيه وتظلموا، فإذا طغيتم فيه وجُرتم عن القصد، كما هي حالتكم اليوم، انتزعه منكم القضاء الإسلامي العادل لو كان .فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزي".[3]

أ-الجملة الاسمية والجملة الفعلية:

الجملة	عناصرها	تركيب الجملة
الزواج عقد بين قلبين	مبتدأ + خبر	اسمية بسيطة
جهل المسلمون حقائق دينهم	فعل+فاعل+مفعول به	جملة فعلية
هم مرجعُ العامة في سياسة الإفتاء	مبتدأ + خبر +مضاف إليه + جار ومجرور	جملة اسمية
هذا الجمود في الفقه والفقهاء	اسم إشارة + بدل + جار ومجرور + حرف عطف + اسم معطوف	جملة اسمية
يخرج الرجل إلى السوق	فعل + فاعل + جار ومجرور	جملة فعلية
إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة	ناسخ + اسمه + مضاف إليه + خبر ناسخ + نعت	جملة منسوخة

[1] المرجع نفسه، ص299

[2] -البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3، المرجع السابق، ص297.

[3] -المرجع نفسه، ص299.

ب–الجمل الخبرية والإنشائية:

التعبير عن الأفكار يكون بأسلوبين الخبر والإنشاء. فهما يختلفان دلاليا (فالخبر يحتمل الصدق أو الكذب).

أما الإنشاء يقصد به دلاليا إنشاء المعنى الذي يحرك مخيلة المتلقي والملاحظ أن البشير الإبراهيمي وظف كل من الخبر والإنشاء إلا أن الجملة الخبرية كانت الأبرز ووظفها بكثرة.

ومن خلال كتابات الإبراهيمي نستدل من ما وظف واستعمل الجمل الخبرية سواء كانت إنشائية طلبية أو غير طلبية ويمثله قوله: "ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن ...".[1]

وقوله أيضا: "أيها المسلمون إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة يحافظ عليها الأحرار ...".[2]

وقوله أيضا: "ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟".[3]

الجمل الخبرية	جمل الإنشاء	نوعهما
الطلاق حل عقدة، وبث حبال	أخذوا الفقه من القرآن	أسلوب إنشائي طلبي في صيغة الأمر
كل الجمل هي جمل خبرية	أيها المسلمون	طلبي إنشائي في صيغة النداء
	لا تبين الحكم	غير طلبي صيغته النفي
	لم أسمع مدة دراستي للفقه	غير طلبي صيغته النهي
	ليت شعري ...	غير طلبي صيغته التمني
	أيدري المتساهلون ... أمتهم؟	طلبي صيغته الاستفهام

[1]–البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق، ج3، ص298.

[2]–المرجع نفسه ، ص299.

[3]–المرجع نفسه، ص300.

المطلب الثالث: دراسة تركيبية أسلوبية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "كتاب مفتوح إلى أعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري" أنموذجا.

نجد الخطيب في خطبته قد وظف المجاز المرسل والمجاز العقلي.

1-المجاز المرسل: وهو استعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعني الحقيقي، وهو أنواع:

السببية: نجد قوله: "أن لكل عيب ستراً يغطّيه. وقد ستروكم بكلمة مستقلفما زاد العيبُ إلا افتضاحًا، لأن هذه الكلمة قد وُضعت في غير محلّها".[1]

المسببية: ونجد قوله: "يا قوم نحن وأنتم من أمة جرى عليها القدر بأن يفرض عليها الاستعمار كل شيء فرضا وأن لا يعتبر رأيها حتى في أمس الأشياء...".[2]

الكلية: ونجده في قوله: "إن أقواما قبلكم وصلوا إلى ما وصلتم إليه وارتقوا على أكتاف الأم إلى كراسي النيابة ولكنهم خانوا العهد وأضاعوا الحقوق...".[3]

الجزئية:وقوله في "إن المناظر التي تثير العبر وتسيل العبرات في هذه الانتخابات أنكم كنتم ترون كما يرى الناس صندوقين للانتخاب في قرية واحدة أو شارع واحد ...".[4]

2-المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة بينهما مع وجود قرنة مانعة من الإسناد الحقيقي، وهو على أشكال.

السببية: نجد ذلك في قوله: "أن لكل عيب ستراً يغطّيه وقد ستروكم بكلمة مستقلفما زاد العيبُ إلا افتضاحًا، لأن هذه الكلمة قد وُضعت في غير محلّها".

---

[1]-البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق ص185.

[2]- المرجع نفسه، ص186.

[3]- المرجع نفسه ، ص188.

[4]- المرجع نفسه ، ص185.

الزمانيـة: قولـه: "وفي الـماضي لـمن بقـى اعتبـار وأن أيـام النيابـة معـدودة فأعمروهـا بالصـالح الباقي...".[1]

المكانية: نجد قول الخطيب في: "... أن المجلس الجزائري سيتم كما تريدون وقد تم كما أرادوا وأنهم لا ينتخبون له إلا كل سامع مطيع، وأن الحكومة الجزائرية ستوحي إليهم بأن لا يرضوا بفصل الدين عنها...".[2]

المصدرية: قوله: "إن من لم يكن منكم عالما لن يخطئه أن يكون عاقلا ومهما بلغتم من المكانة عند أنفسكم أو بلغ بكم الحظ عند غيركم...".[3]

3-الترادف في الخطبة:

الترادف في اللغة: معناه التتابع.

يرى علماء اللغة "الترادف من دلائل فضل العربية تفخر به على غيرها ، وخصيصة من خصائصها الشريفة اللطيفة، ودليلا على سعة اللغة وغناها". [4]

الترادف في الاصطلاح: يعني دلالة عدد من الكلمات المختلفة على معنى واحد. ونلحظ ذلك في قوله لفظة (أعضاء، نوابا) وفي قوله (حين أسميناكم أعضاء ولم نسميكم نوابا).

وقوله في موضع آخر (قوم، أمة) وفي قوله (يا قوم: نحن وأنتم من أمة جرى عليها القدر بأن يفرض عليها الاستعمار...).

الحال: ويقصد به هو وصف منصوب أو في محل نصب يذكر فضلة في الجملة الفعلية لبيان هيئة صاحبه وقت حدوث الفعل.

---

[1]-البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق ، ص188.

[2]- المرجع نفسه ، ص188.

[3]- المرجع نفسه ، ص186.

[4]- حاكم ملك الزيادي، الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980، ص280.

ورد الحال في خطبة الإبراهيمي في قوله: "اسمحوا لنا حين سميناكم أعضاء ولم نسميكم نوابا فإننا ممن لا يكذب على الحقيقة..." فالحال هنا تمثل في لفظة (نوابا) فهي اسم نكرة منصوب.[1]

وفي قوله: "ويدخل العربي إلى الآخر خائفا وجلا منزعجا مسلوب الإرادة والحرية لا يرى حوله إرهابا وسلاحا وألسنة تتوعد..."[2] ورد الحال هنا في الألفاظ (خائفا، وجلا، منزعجا).

الصفة والموصوف: وهي من التوابع في اللغة العربية ويقصد بها اسم يدل على صفة الموصوف وتفيد توضيحه إن كان معرفة وتخصيصه إن كان نكرة، ونلحظ في خطبة الإبراهيمي في قوله: "النيابة وكالة عن جمهور والشرط في الموكل أن يكون حرا مختارا مطلق التصرف ولا أجرح عواطفكم بذكر شروط الوكيل..."[3]. فلفظة (حرا مختارا) تدل على صفة الموكل وموصوفه.

وفي قوله في موضع آخر: "إن من لم يكن منكم عالما لن يخطئه أن يكون عاقلا ومهما بلغتم من المكانة عند أنفسكم أو بلغ بكم الحظ عند غيركم فلن تستغنوا عن وعظ واعظ ونصيحة ناصح...".[4]

فالصفة تمثلت في (عالما، عاقلا، واعظ، ناصح) وهي صفات دلت على توضيح الموصوف وتخصيصه.

ب- الجملة البسيطة والمركبة:

كان لهذه السمة حضور أساسي في خطب البشير الإبراهيمي إذ تميزت خطبه بتوظيف الجملة البسيطة وهذا لتوصيل وتبليغ أفكاره للمستمعين وتحذيرهم من عدم خيانة وطنهم وأن يخدموه ولا ينهبوا ثرواته ويتجسد في قوله: "لا نطالبكم بما هو خارج عن نصوص الدستور فما أنتم بذلك بأهل

---

[1]-البشير الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق ، ص185.

[2]-المرجع نفسه ، ص186.

[3]-البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق، ص185.

[4]-المرجع نفسه، ص186.

ولا نحن بالذين نكلفكم الشطط وأن نطالبكم بما ليس في الطاقة وأنتم رجال للوطن عليكم حق الأبوة وللأمة عليكم حق الأمومة".[1]

[1]—البشير الإبراهيمي، الآثار،ج3، المرجع السابق، ص186.

خـــــاتمـــــــة

خـــاتمـــة:

نستخلص من خلال دراستنا لبعض آثار البشير الإبراهيمي الّتي عرفت تنوّعا أسلوبيا قائما على النظام اللّغوي المختلف في مستوياته، ممّا أكسبها جاذبية، ورونقا، وسحرا، وقد خلّف هذا الاختلاف والتمايز تنوّعا في الكتابات النثرية بين المقامة، والمقالة، والخطابة، ولقد اقتصرت هذه الدراسة على نوعين متمثلين في: المقالة والخطابة، وتجلّى هذا الاستعمال الّذي رصد إبداع البشير الإبراهيمي، وقدراته، ومهاراته اللغّوية الهائلة جسّدت في ملامحَ أسلوبية.

أسهم في تكوين هذا التنوّع اللّغوي أسباب وعوامل عديدة، منها ما تعلّق بمحيط البشير الإبراهيمي وبيئته، والظّروف الّتي عاصرها، والموهبة الرّبانية الّتي انفرد بها دون غيره.

ومنها خرجنا باستنتاجات أُجمِلت في النقاط التالية:

- الحقبة الاستعمارية الّتي عاش فيها البشير الإبراهيمي الّتي ألقت بظلّها على شخصيته، وتكوينه، وكانت دافعا للكفاح، والجهاد بالقلم.
- مُساهمة الأسرة في رعايته في نشأته الأولى، فقد تربّ في بيت كان مقصدا، وقبلة للطّلبة من كافة ربوع الوطن.
- قوة ذاكرته الّتي ساعدته على حفظ المتون والأشعار، والنهل من أمّهات الكتب.
- رحلاته إلى المشرق العربي والحجاز أضافت إلى ثقافته، فاتّسعت دائرة معارفه، وانفتح على ثقافات مغايرة ومختلفة عن بلده الأم.
- روح المسؤولية والوطنية الّتي انغرست في ريعان شبابه.
- التنوّع النثري والنبرة الخطابية الّتي جعلت منه مقصدَ الطلبة، إضافة إلى صدقه، وهمّه الأكبر المتمثّل في تحرير العقول قبل الأوطان.
- تأثر الابراهيمي ببلاغة القرآن الذي كان نقطة انطلاق السيمات الأسلوبية القرآنية، فوظف المفردة القرآنية في كتاباته بين الدلالة والتفسير حسب ما يقتضيه السياق.
- يلعب السياق دورا مهما في تحديد ملامح النص اللغوي أو القرآني.

- براعة الابراهيمي في توظيف المفردة القرآنية والتنويع في مقاصدها ومراميها اللغوية الصوتية، الصرفية، الدلالية.
- يعد التفسير القرآني اللغوي طريقا من طرق الاحتجاج اللغوي.

أما إذا عرجنا إلى السّمات والعلامات الأسلوبية الّتي نثرها بين كتاباته، سواء كانت مقصودة أو غير ذلك نجملها من خلال ما يلي:

أوّلا:السّمات الصّوتية.

01– مقال من مشاكلنا الاجتماعية (الطّلاق): تمّ استقراء أغلب البنيات الدّلالية على أثر الطّلاق على الأسرة والمجتمع، وكيف عالج الإسلام ذلك بين الحلول والمشاكل، فدرسنا المقاطع الصّوتية المهيمنة، وقد أسفرت العملية الإحصائيّة على حضور مكثّف للمقاطع القصيرة المغلقة (ص.ح.م)؛ لأنّ هذا النّوع من المقاطع لا يتطلّب نفسا طويلا، ويتناسب مع الحالة النفسية الّتي اعترت الكاتب، والحرقة الّتي اعتصرت ذاته؛ نتيجة التلاعب والاستهزاء بحدود الله، وعتاب المسؤولية، والمقاصد الأساسة الدّافعة للزّواج، وهي خلافة وعمارة الأرض، وطاعة الله وعباده، فما كان للبشير الإبراهيمي إلا أن يذكر أبناء جلدته وأمّته، وأن يثير أسماعهم وانتباههم، وزيادة في التأكّد، والحزم والعزم، وهذا لا يتحقّق إلا بالإيقاع السّريع القصير، فهو ينسجم مع مشاعرَ القلق والحيرة الّتي تختلج نفس المتحدّث، وهذا نظرا لتكوينه البسيط، وحركته الإيقاعيّة الظّاهرة ودور حروف اللغة العربية وتنوع توظيفها بين القلّة والكثرة لأثر بارز يساهم في تحديد التّشكيل الصّوتي وبيان المعنى من خلال اختلاف مواقع الحروف.

فنجد سيطرة المقاطع القصيرة المغلقة حضورها لكونها تتناسب مع طبيعة الموضوع، وتساعد الكاتب على التعبير عن مقامات الحسم، والصّرامة، والجدّ، ومتغلبة على المقاطع القصيرة المغلقة، ولقد أدّت دور المقاطع المتوسطة المفتوحة نظرا لكثرة توظيفها في الكلام العربي منافسة المقاطع القصيرة، محاولة إحداث نوع من التوازن في الإيقاع، واحتلّت المقاطع القصيرة المرتبة الأولى بسبب

شيوع الأصوات الجوهرية الّتي عكست الحالة النفسية للكاتب، وغيرته على الدين الإسلامي، وسعيه في إصلاح ذات البين، وتعدّ المقاطع المفتوحة أقلّ حضورا بالرغم من وضوحها في السمع، وعاملا مساعدا لبثّ الحزن، وإخراج الحرقة من الوضع الّذي آل إليه المجتمع الجزائريّ، وهذا ما نلمحه كذلك في خطبة الابراهيمي الموسومة بـــ" **الشباب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر**".

ثانيا: السّمات التركّيبية والدّلالية في مقال الطلاق.

عرف النظام التركيبي في كتابات البشير الإبراهيمي بروزا واضحا للجمل القصيرة، وسبب جنوح الكاتب إليها يعود إلى سبب خفّتها، وسهولة فهمها، وإمكانية استيعاب الأسماع لها، واستصاغها. كما احتلّت بنيات الإثبات؛ إذ لا تعبّر على بنيات النفي إلا في ستة عشر موضعا، ولعلّ سبب هذه السّيطرة، والهيمنة على النّص هو الّذي دفع البشير الإبراهيمي إلى توظيف أسلوب الإثبات، والاستئناس بالنفي بين الفينة والأخرى.

جنح الكاتب إلى توظيف الجمل الإخبارية؛ لأنّها الأقدر على وصف وسرد ما هو كائن، وحاصل على أرض الواقع سواء ما تعلّق بالحروب، أو الوضع الاجتماعي المزري.

من المتغيّرات الّتي طرأت على البنية التركيبية في كتابات البشير الإبراهيمي مقالة كانت، أم خطبة انتشار ظاهرة العدول، والانزياح التركيبي في صورتيه التقديم والتأخير، مما أكسبه دلالة، ورِقَّةْ، وحرّية في التّعبير والإفصاح عما يدور في داخله، وطبيعة جمالية، سواء في خطبته المتعلّقة بالشّباب الّتي دلّت على انفعاله، ودعوته الشّباب للنهوض، وقد وظّف المفردات القرآنية للدّلالة على اتّساع معرفية بالمواطن التفسيرية للقرآن في مقال الطّلاق، واستصحاب الكلمات المؤثّرة الفاعلة من خلال النبرة الخطابية، كما أراد أن يتمثّله فاعلا مقداما منتجا قرآنيا محافظا، وهذا ما نلمسه المقال".

ثالثا: السّمات الدّلالية من خلال خطبه السّياسيّة "كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري".

حوى المقال على الحقول الدلالية الّتي توغّلت في بنيته العميقة، وأظهرت شساعة الأفق لدى الإبراهيمي؛ لأنّها تطرقت إلى تنوّعا دلاليا، فتوظيف الحرب ووسائلها، والاستعمار، وممارسته، وأفعاله وردوده أبرزت عن جسامة الوضع، وعظم الخطب الّتي ألّمت، وألحقت بالجزائريين، في حين أن الخطبة لم يكن لها ذلك الحضور الدّلالي نظرا لطبيعة الموضوع؛ لأنّها موجّهة لأطراف سياسيّة تحمل الحقول السّياسيّة، كالفرقة، والخلاف، والاتّحاد في سبيل توحيد الوطن.

توصـيات:

من خلال هذه الدراسة خرجنا بجملة من التوصيات في مستهلها:

- ✓ ضرورة التجديد وقراءة للمواضيع المطروقة بصبغة جديدة وتوأمة بين التخصصات.
- ✓ الاهتمام بالتراث الجزائري من خلال تكليف الطلبة بالمواضيع والأبحاث.
- ✓ تكثيف الملتقيات والندوات المتعلقة بالأدب الجزائري عموما، وأدب علماء جمعية العلماء المسلمين خصوصا.
- ✓ تشجيع الطلبة والباحثين على خوض غمار البحث العلمي في التراث الجزائري وإحيائه.
- ✓ تجديد الوسائل والآليات التي تساعد الباحث على البحث العلمي.

قائمة المصادر
والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

المصادر العربية:

1. ابن المعتز أبو العباس ، البديع في البديع، دار الجبل، ط1، 1410-1990.
2. ابن باديس، الشهاب، فيفري 1939، م15.
3. ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظائر في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار.
4. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمان محمد بن قاسم، مجمع ملك فهد لطباعة، المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (1416هـ- 1995م).
5. ابن جني، التصريف الملوكي صيغة عثمان بن جني، تحقيق وتقديم وتعليق البارودي زهران.
6. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1371هـ-1952م.
7. ابن جني، المحتسب ت/علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفاتاح اسماعيل شلبي، استامبول، دار سزكين، ط2، 1406هـ.
8. ابن جني، المصنف، تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ-1999م، ط1.
9. ابن حاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر، الشافية في التصريف والخط، د، ت، مطبعة العامرة العثمانية، إدارة الفتح عثمان عبد الرزاق، ط2.
10. ابن حيان، صحيح ابن حيان، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ، 1993م،كتاب أخباره صلى الله عليه وسلم من مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، باب صفة النار وأهلها.
11. ابن خلدون، المقدمة، دون تحقيق، د ط، الدار التونسية للنشر، أبريل 1984.
12. ابن دقيق العيد، إحكام الإحكام، شرح غمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، د ط.
13. ابن فارس، الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ط1، 1414-1993.
14. ابن فارس، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، د ت، القاهرة، ط2.

15. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1989م، مادة جمل.
16. ابن قتيبه تأويل مشكل القرآن، ت/أحمد صقر، المكتبة العلمية، د، ت.
17. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.
18. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكروم بن منظور الأفريقي المصري ت711هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، وطبعة بولاق، 1982م.
19. ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، تصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، مادة [خ ط ب].
20. ابن منظور، لسان العرب مادة (ق. ول)، عامر أحمد حيدر، دار صادر، بيروت، ط7، 2004م.
21. ابن نجيم، بحر الرقائق ، شرح كنز دقائق، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1 (1395هـ-1975م).
22. ابن هشام الأنصاري، الجامع الصغير، تح أحمد محمود هريمل، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1400هـ-1980م.
23. ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب.
24. ابن هشام، الجامع الصغير في النحو، تحقيق: أحمد محمود هرميل، القاهرة، 1980.
25. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح حنا الفاخور، دار الجيل بيروت، ط1، 1991.
26. أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن حسني شرح الأشموني، ، على ألفية ابن مالك، قدم له حسن حمد إشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ-1998م، ط1.
27. أبو العباس حسيني الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق محمد أحمد عبد الله القريش يرسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، ط2 ، 1423، 2002.
28. أبو عثمان بن عمر المعروف بابن حاجب النحوي، الإيضاح في شرح المفصل، ن ح، موسى بنابي العليلي، دط، 1982.
29. الأزهري أحمد الفواكه الدواني، المكتبة الثقافية، بيروت، دط.

30. لأزهري، تهذيب اللغة، د ت، دار الإحياء العربي، بيروت، لبنان، 2001.
31. الأصبهاني أبو نعيم ، حلية الأولياء، ترجمة أبي موسى الأشعري.
32. الأصفهاني راغب، المفردات في غريب القرآن ، ت:محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، د، ت.
33. أكمل الدين بن أحمد البابرتي، شرح تلخيص البابرتي، دراسة وتحقيق محمد مصطفى رمضان صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس-ليبيا، 1983، ط1.
34. الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم وسبع المثاني، ضبطه وصححه عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1416-1996، ج15.
35. امرؤ القيس، الديوان، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ط5.
36. الأنصاري ابن هشام ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، بيروت، 1988.
37. أيوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة.
38. البخاري، صحيح البخاري دار ابن كثر اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف.
39. البغدادي عبد القادر، خزانة الأدب، ت/عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1409هـ.
40. البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، (1408هـ- 1987م).
41. بن برد بشار ، ديوان بشار بن برد، تح محمد طاهر بن عاشور، طبع بمناسبة الجزائر عاصمة ثقافية، الجزائر 2007.
42. بن جعفر قدامى، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (1406هـ/1980م).
43. بن ربيعة لبيد العامري، ديوان العرب، تح محمد علي الحسيني، دار الكتب العلمية،هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1433-2012.

44. بن سعد أبو يوسف بن ابراهيم (الأنصاري)، الآثار، تح أبو الوفا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، باب السهو، رقم الحديث 227.
45. بن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984.
46. بن فارس أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993.
47. بن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1999.
48. الترميذي محمد بن عيسى ، الجامع الكبير (سنن الترميذي)، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1998م)، أبواب تفسير القرآن ومن سورة المؤمنون، رقم الحديث 3175.
49. الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تح شيخ محمد علي معوض والشيخ أحمد عبد الموجود، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
50. الجاحظ أبو عثمان بن بحر ، البيان والتبيان، تج: علي أبو ملحم، دط، منشورات دار ومكتبة الهلا.
51. الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1969م.
52. الجرجاني، التعريفات، دون تحقيق، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، د ط.
53. الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ت/محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1410هـ.
54. الجرجاني، كتاب الجمل، حققه وقدم له علي حيدر، دمشق، 1392-1972.
55. جمال الدين أبو عمر عثمان ابن عمر بن حاجب، الكافية في النحوي، شرح رضى الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1405هـ-1985م.
56. الجوهري، الصحاح، (تاج اللغة)، دار الفكر، ط2، (1418هـ- 1998م).
57. الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد، تح: أحمد حسن مهدلي علي سيد علي، شرح السيرفي على كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1.

58. الخرشي، حاشية الخرشي على مختضر خليل، دار الكتب العلمية، ط2.
59. الخسروجردي أحمد بن حسين ، أبو بكر البيهقي، تحقيق ومراجعة نصوص وتخريج الأحاديث، عبالعلي عبد الحميد حامد، إشراف مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتزيع، الرياض، الهند، ط1 (1423هـ، 2003م) باب تعظيم القرآن، فصل في ترك التعمق في القرآن الكريم، رقم الحديث 2406.
60. الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982.
61. الدارمي محمد بن حبان ، صحيح با حبان ابن لبان، تح شعيب أرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414، 1993، باب صفة النار وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف خمسة أنفس يدخلون النار من هذه الأمة، رقم الحديث 7483.
62. الدراني ابن شاكر محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتيبي الدمشقي، فوات الوفيات ، تح احسان عباس، دار صادر، بيروت.
63. الرازي، مفاتح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1420هـ.
64. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، (د،ط)، (1420هـ/2000م).
65. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت.
66. الزيغلي، تبيين الحقائق كنز دقائق، دار الكتب الإسلامي ط2 (1400هـ- 1980م).
67. السكاكي أبي بكر ، مفتاح العلوم، ظبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ-1987.
68. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1391هـ-1975م.
69. السيوطي جلال الدين ، بغية الوعاة في طبقة النحويين واللغويين، مطبعة السعادة، مصر، 1326هـ، ط1.
70. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، نص، فؤاده على منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
71. السيوطي: جمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، د تح، د ط، المكتبة التوقيفية.

72. شرح المفصل، الزمخشري، تح أبو بقاء ابن يعيش الموصلي، وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية.
73. ضياء الدين ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي البدوي طبانة، دار النهضة، مصر.
74. طاليس أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1979.
75. الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1.
76. عبد القادر ابن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخناجي بالقاهرة، 1418- 1997.
77. العز الدين بن عبد السلام، الإمام في بيان أدلة الأحكام ،تحقيق: رضوان مختار بن عربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1 (1407هـ، 1987م)
78. العسكري أبو هلال ، الصناعتين "الكتابة والشعر"، تح علي محمد البجاوي ومحمد الفضل أبو إبراهيم، مكتبة العنصرية، بريوت، 1419هـ.
79. الغزالي، المستصفى في علوم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1943م، ط1.
80. الفرابي، إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949، ط2.
81. الفرابي، العبارة، كتاب في المنطق، تحقيق محمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1949، د ط.
82. الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1407-1987.
83. فولقانج هانيه فيهيغر، مدخل إلى علم اللغة النصّي، تر فاتح العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، 1999.
84. الفيروز أبادي، القاموس المحيا، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009م.
85. قدامة بن جعفر البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائز، قسطنطنية، ط1، (1802هـ).

86. القزويني، التلخيص في علوم البلاغة ، ت/عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، د، ت.

87. القيرواني، العمدة، تح محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار الجبل، بيروت- لبنان، ط4، 1972.

88. القينومي (بن علي أحمد محمد)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الحديث، القاهرة د/ط (1429 هـ-2008).

89. الكساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، (1418هـ-1997م).

90. المبرد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، وزارة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والأوقاف، د ط، مج1.

91. المحب الدين أبو البقاء البغدادي، شرح ديوان المتنبي، تح مصطفى السقا وآخرون، دار المعرف، بيروت.

92. محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحقيقن، دار الهداية.

93. محمد سيد الطنطاوي، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط1.

94. مسلم بن حجاج النيسبوري، صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، رقم الحديث 221.

95. المعري أبو علاء ، لامع العزيزي، شرح ديوان المتنبي، تح محمد سعيد الملوي، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،ط1، 1429-2008.

96. المكناسي محمد، الإكسير في فكاك الأسير، ت ج: محمد الفاسي، (د،ت)، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب ص(أ)، المقدمة.

97. المهلبي أبو عباس الأسدي ، المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، تح عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 1424-2003.

98. نا بغة الجعدي، جمع وتحقيق واضح الصمد، دار صادر بيروت، 1998،ص99، وظّفه أبو هلال العسكري، الصناعتين "الكتابة والشعر"، تح، علي محمد البجاوي ومحمد الفضل أبو إبراهيم، مكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ.

99. الهمداني ابن عقيل المصري، شرح ابن عقيل على ألفية مالك، تح محمد محي الدين، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد الجودة الساحر وشركاؤه، ط20، 1400-1980.

100. الورثيلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين ميلة الجزائر، د، ط، 1992م.

101. الوهراني، مناماته ومقاماته ورسائله، ت: ابراهيم شعلان، محمد نفس، مراجعة، عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.

102. يعيش ابن علي ابن يعيش موقف الدين، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، د ت، د ط.

المراجع العربية:

103. الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

104. برجشستراسر، التطور اللغوي للغة العربية، مطبعة السماح، القاهرة، 1929.

105. فاضل صالح السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، 1427-2006.

106. عبده الراجحي، النحو الوافي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان.

107. الإبراهيمي محمد البشير، الآثار، ينظر، أحمد معمر الدين عبد القادر، الخصائص الفنية للخطابة عند البشير الإبراهيمي، الخطاب والتواصل، العدد2، ديسمبر 2016.

108. الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1963.

109. ابن أبي جديد، شرح نهج البلاغة، ت ح: حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963.

110. أبو بكر أسماء، ابن بطوطة، الرجل والرحلة.

111. أبو موسى محمد حسين، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، مصر، دار الفكر العربي، د، ت، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، رغاية، 1988، (د،ط).

112. آثار البشير الإبراهيمي، ينظر المهداوي محمد ، البشير الإبراهيمي، دار الفكر، دمشق، ط1 (1988م).

113. أميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها.

114. أمين أحمد، النقد الأدبي، لجنة التأليف والنشر، (د،ط)، 1952.

115. أنـور الجنـدي، الأدب العـربي الحـديث في معرفـة المقاومـة والجديـة والتجمـع (1883هـ، 1959م)، مصر، مطبعة الرسالة، دط، د ت.

116. أنيس ابراهيم ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م.

117. بن مشيش حسن، أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2007.

118. برتيل مالمبرج، علم الأصوات، ترجمة ودراسة د. عبد الصبور شاهين.

119. برتيل، مالبرك، علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1985م.

120. بشر كمال، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د ت، الفرقة الرابعة، دار الثقافة العربية، د ط، د س

121. بلاسـي نبيـل، الاتجـاه العـربي والإسـلامي ودوره في تحريـر الجزائـر، الهيئـة العامـة للكتـاب، 1990م.

122. بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القهار الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، دط، دت.

123. بلوافي محمد، فنون النثر الأدبي في العصر الجاهلي والإسلامي.

124. بلـوحي محمـد، الخطـاب النقـدي المعاصـر مـن السـياق إلى النسـق (الأسـس والآليـات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ط1.

125. بن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، دط، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1980م، ص135، (دمشق)،

126. بن عاشور محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط2.

127. بن قينة عمر، الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وأعلاما)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، 1995، (د،ط).

128. بنت الشاطئ عائشة، القرآن والتفسير العصري، تحرير: رجب البنا، دار المعارف، القاهرة، ط3، د س ط.

129. بوصفصاف عبد الكريم، رواد النهضة والتجديد في الجزائر، (1889م-1965م)، دار الهدى، عين ميلة، 2007.

130. بوملحم علي، الأدب وفنونه، المطبعة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (د،ط)، 1970م.

131. بومنجل عبد المالك، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة والنشر والتوزيع، ط1، 2009.

132. البياتي منير حميد، النظم الإسلامية، دار النشر، عمان، الأردن، ط1، 1994.

133. بيار جيرو، علم الدلالة، ت ر منذر عياشي، دار الملايين، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

134. تركي رابحي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1913-1956)، د، ط، الجزائر 1981م.

135. تشيتشرس، الأفكار والأسلوب في الفن الروائي، تر: حياة تنرارة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، (1978)، ص21، نقلا عن: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا.

136. تودوروق، بلغاري الأصل، من مؤلفاته نظرية الأدب، باحث بالمركز القومي للبحوث العلمية باريس، جنسية فرنسة.

137. جان بشار روبنسكي ، النقد والأدب، تر: بدر الدين القاسم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، ط1، 1976م.

138. الحديثي خديجة، أبينة الصرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، مكتبة لبنان ناشرون، 2003، ط1.

139. الحديدي عبد اللطيف السيد، فن المقال في ضوء النقد الأدبي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ط3، مصر، 2003.

140. الحربي حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، دار قاسم ، الرياض، ط1، (1417هـ-1996م).

141. حسان تمام، الأصول، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د، ت.

142. حسان تمام، الأصول، دراسة إيسيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 1982م.

143. حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1998م.

144. حسين عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، قطر، دار قطري بن الفجاءة، ط2، د، ت.

145. حليني شعيب، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة خطاب المتخيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

146. حمدان ابتسام أحمد، الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني، ، دمشق، دار طلاس، ط1، 1992م.

147. الحناش محمد، البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1980م.

148. حناطرزي فؤاد، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2005.

149. حنبكة عبد الرحمان حسن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1988.

150. الحوفي أحمد محمد ، فن الخطابة، دار النهضة مصر، (د،ط)، 2001.

151. خفاجي محمد عبد المنعم ، و فرهود محمد السعد، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992م.

152. الخليل سليمان، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1990.

153. داوود محمد، العربية وعلم اللغة الحديث، د ت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، د ط.

154. الداية فايز، علم الدلالة العربي – نظرية وتطبيق-، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1985م، ط1

155. دراز عبد الله، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، تح، أحمد مصطفى، دار طيبة للنشر والتوزيع د ط، د س ط.

156. درويش أحمد ، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، ع1-2، أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر، 1984م، مج5.

157. الدريعي إبراهيم بن حسن ، أحمد بن سليمان المشعلي، حمود بن عبد الله السلامة، الأدبي العربي للصف الثالث الثانوي، وزارة التربية والتعليم، الرياض، ط3، 2010-2011، ط3.

158. الدسوقي محمود الفاسي عمر، محمد صادق حصفي، الأدب والنصوص للسنة الرابعة ثانوي، مكتبة الوحدة العربية، دط، دت، دس.

159. الراجحي عبده، فقه اللغة في كتب العربية، د ت، دار النهضة، بيروت، ط2.

160. ربابعة موسى سامح، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م، ط1.

161. رخيلة عامر، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

162. الرفاعي أحمد شرفي ، الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى، د، ط، 2010.

163. ركبي عبد الله، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ط1، 1978.

164. الركيبي عبد الله، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982.

165. الزموري أبو حفص، فتح اللطيف على البسط والتعريف، د ت، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، 1993م، ط2.

166. زيدان عبد الكريم، المفصل في أحكام الأسرة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط2 (1420هـ-2000).

167. السايح بوعلام ، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم (1830-1954)، الجزائر 2007، ص272.

168. السحرياني أسعد، مالك بن نبي مفكر إصلاحي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

169. السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة للطباعة والنشر، (دط، دت).

170. علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية، دراسة في التجليات الدرامية لسرد العربي القديم، المركز الثقافي، المغرب 2003، ط1.

171. السعافين إبراهيم ، أصول المقامات، دار المناهل، بيروت، لبنان، 1987.

172. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ج2، 1977م.

173. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ط1.

174. السعفي حمودة ، علاقة اللغة بالفكر الديني من خلال التأويل، مجلة حوليات الجامعة التونسية، ع: 36، 1995.

175. سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981.

176. السيتاني بطرس، دائرة المعارف، (د،ط)، بيروت، 1984، مج.

177. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، ط3، 1959م.

178. شاكر سالم، مدخل إلى علم الدلالة ، ترجمة محمد تيجاتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

179. الشامي صلاح الدين، الرحلة عن الجغرافية المعبرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، (د،ط)، الاسكندرية، 1999.

180. شرف عبد العزيز، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دار الجبل، بيروت، (د.ط)، 2000م.

181. شرف عبد العزيز، فن المقال الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د،ط)، القاهرة، 2000.

182. شلبي عبد الجليل عبدو، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، (1401هـ/1981م).

183. شلبي عبد العاطي، فنون الأدب، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005.

184. الشمراني فاضل صالح، معاني الأبنية العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007.

185. الشهري علي بن عبد الله، المعاني الثانية في الكريم وأثرها في التفسير، مج، 33، غ3، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 2016.

186. الشوابكة نوال عبد الرحمان، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري.

187. صالح بشرى محمد ، الصورة الشهرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (بيروت، المغرب)، 1994، ط1.

188. صالح يحي الشيخ، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة تحليلية، ط1، 1987، قسنطينة.

189. صبحي محي الدين، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2003م، ط2.

190. الصقلي ابن القطاع، كتاب الأفعال، تقديم وضبط : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1 (1424هـ -2003م).

191. الصليبي مصطفى سعيد، الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري، دراسة نحوية تطبيقية إحصائية، ح1، دار هومة، الجزائر.

192. صمود حمادي ، المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية، د،ط، تونس، 1981م.

193. الطاهر علي جواد، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979م.

194. طبانه بدوي ، البيان العربي، جدة، دار المنارة، الرياض، دار الرفاعي، ط7، 1408هـ.

195. عباد شكري محمد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دت، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط1.

196. عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر: رحال أبو بكر، د.ت، مطبعة فضيلة، المحمدية، المغرب.

197. عباس محمد، البشير الإبراهيمي أدبيا، ديوان المطبوعات الجماعية، دار الفجر وهران.

198. عبد الدائم صابر، حسين علي محمد، فن المقالة، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، (د،ط)، (د،ت).

199. عبد الغني مصطفى، من أدب الرحالات، المشرق والمغرب، الدار المصرية اللبنانية، لقاهرة، 2007، ط1.

200. عبد اللطيف عماد، تجليات الخطبة السياسية في العصر الحديث، جريدة الصبح الجديد، القاهرة 22 ماي 2015م.

201. عتيق عبد العزيز، المدخل إلى النحو علم النحو والصرف، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، (1974).

202. عز الدين اسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري، دار القلم، بيروت، ط1 (1974م).

203. عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ط1، 1989م.

204. عصفور جابر أحمد، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر (1974)، القاهرة، دط.

205. العقاد صلاح، المغرب العربي، المكنية الأنجلو مصرية، ط3، 1969.

206. عمارة تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، للمؤسسة الوطنية للتسيير الجزائر، 2001.

207. عمارة محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، (1416هـ/1997م).

208. العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا، الشرق، المغرب، ط2، 2002.

209. العمشاوي أحمد زكب ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة، بيروت، 1979، ط1.

210. عودة عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م.

211. عيد محمد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1981م.

212. العيني البانية في شرح الهداية، دار الفكر، (1411هـ- 1990م) ط2.

213. غـانم قـدوري الحمـد، المـدخل إلى أصـوات العربيـة، دار عمـار، عمـان، ط1، 1425هـ-2004م.

214. الغزالي محمد، مع البشير في القاهرة، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون والمطبعية، العدد 87، الجزائر، مايو 1985م.

215. الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجبيل، بيروت، دط.

216. الفاخوري عادل، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985م، ط3.

217. فايد بشير، قضايا العرب المسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، جامعة مستوري، قسنطينة، (2009- 2010).

218. فراج أحمد ، أحكام الأسرة في الإسلام، دار الجامعة الجديدة، ط3،(1425هـ-2004م).

219. فضـلاء الطـاهر، الإمـام الرائـد الشـيخ البشـير الإبراهيمـي في ذكـراه الأولى، مطبعـة البحـث، قسنطينة، الجزائر د-ط، 1967.

220. الفضلي عبد الهادي، مختصر الصرف، (د،ت)، دار القلم، بيروت.

221. فهـيم حسـين محمـد، أدب الـرحلات، سلسـلة عـالم المعرفـة، مجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، (د،ط)، الكويت، يناير 1989.

222. لصـفدي ركـان، الفـن القصصـي في النثـر العـربي حـتى القـرن الخـامس هجـري، منشـورات الهيئـة العامة السردية للكتابة، ط1، دمشق.

223. مبارك زكي، النثر الفني في القرن الرابع، المكتبة التجارية الكبرى (د،ط) (د،ت)، مصر ،ط2.

224. المثاوي، التعاريف: دار الفكر بيروت، ط1 (1410هـ)

225. المخزومي مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982.

226. المدني أحمد توفيق ، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1977م.

227. المراغـي أحمـد مصـطفى ، علـوم البلاغـة البيـان والمعـاني والبـديع، دار الكتـب العلميـة للنشـر والتوزيع، 2008، ط1.

228. مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925م-1954م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1971م)، دط.

229. المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1982م، ط2.

230. المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المطبعة العربية، تونس، 1986، ط3.

231. مطلوب أحمد، مناهج بلاغية، الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1973.

232. مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1985م، ط1.

233. المقديسي أنيس ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية، دار الطبع للملايين بيروت، لبنان، ط6، 2000م.

234. مكاوي عبد الغفار، ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر، الهيئة المصرية للكتاب، دط، القاهرة، 1972م.

235. المنصف عاشور، بينية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، القاهرة، 1991، دط.

236. منظور محمد، محاضرات في الأدب ومذاهبه، معهد الدراسات العربية العالية، دط، 1955، القاهرة.

237. مهداوي محمد، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988.

238. الموافي ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع.

239. الميلي محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980.

240. ناظم حسن ، البنى الأسلوبية، دراسة أنشودة المطر للشباب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ط1.

241. نجم محمد يوسف، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1966.

242. نواب عواطف محمد يوسف، الرحالات للمغربية والأندلسية، الدار المصرية النيابية، القاهرة، 2007، ط1.

243. الهاشمي أحمد ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغى العرب، دار الكتب العلمية، ط35 (1996).

244. هلال ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، 1980م، بغداد.

245. الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي، المركز الثقافي العرسي، دط، بيروت، لبنان.

246. وهبة مجدي، كامل المهندس، معجم المصطلحات الغربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (1984-1994)، ط2.

247. ويليك رنيه، وواسطن وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

248. ياسوف أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، ط2 (1999).

249. يحياوي محمد الطاهر، أحاديث في الأدب والنقد، شركة شهاب، ط1.

250. يقطين سعيد، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2006، ط1.

251. يقطين سعيد، الكلام والخبر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997.

المصادر الأجنبية:

252. Charlsbally, traite de stylistique Française, paris, 1951.
253. Roman jakobson, éssais de lingustique générale, ed: minuit, tomel, paris, 1968.
254. Roman jakobson, éssais de lingustique générale, ed: minuit, tomel, paris, 1968.
255. GulesMaewzeau, précis de stylistique, Française, ed, Masson, 1969, paris.
256. Cours linguistique général c, de Saussure.

المـقالات والمجلات:

257. بن عسلة عبد القادر، أثر السلامة اللغوية التواصلية، مجلة اللغة والاتصال، أفريل 2006.
258. بوحجام محمد بن قاسم، من أساليب السخرية في أدب الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، العدد2، 2010.
259. جمال الجاسم محمود، فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد الأول 2008.
260. دباش عبد الحميد، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، نوفمبر، 2003.
261. السعفي حمودة، علاقة اللغة بالفكر الديني من خلال التأويل، مجلة حوليات الجامعة التونسية.
262. شكر فيصل، قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، دار الأمة، العدد 87، 1985.
263. الشهري علي بن عبد الله، المعاني الثانية في الكريم وأثرها في التفسير، مج، 33، غ3، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 2016.
264. صولة عبد الله، فكرة العدول في البحوث الإسلامية المعاصرة، مجلة دراسات سال، فاس، المغرب.
265. طيبا جميل، في ذكرى الإبراهيمي، مجلة الثقافة، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة.
266. عبد الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، م14، السنة (1357هـ/1938م).
267. العطار سليمان، الأسلوبية علم تاريخ، مجلة فصول، مناهج النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة.
268. الغزالي محمد، مع البشير في القاهرة، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون والمطبعية، العدد 87، الجزائر، مايو 1985م.

269. فضيل عبد القادر، التربية عند الإمام البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

270. مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر.

271. مجلة المقاومة الجزائرية، العدد 18، 1957م.

272. مجلة المؤرخ العربي، محمد محمدنرنيون،بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، القسم الأول، (1401هـ، 1981م).

273. محساس أحمد، التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، مجلة الثقافة، الجزائر، 1985م.

274. المدني أحمد توفيق، كلمة الأستاذ أحمد توفيق، مجلة اللغة العربية القاهرة 1388هـ-1969م.

275. مرتاض عبد المالك، الكتابة من موقع العدم، مسائلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، الخصائص الفنية للخطابة عند البشير الإبراهيمي، مجلة الخطاب والتواصل.

276. منقور عبد الجليل، الجهود الدلالية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ع1، 2002.

الرسائل والأطروحات:

277. بالولي أحلام، بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي -عيون البصائر أنموذجا-، جامعة العقيد أكلى- محند أولحاج، البويرة، 2013-2014.

278. بعداش علي، الميزان الصرفي العربي – أصوله وتطبيقاته – الأفعال دراسة أنموذجية في ديوان زهير بن أبي سلمى، رسالة ماجيستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2009م.

279. صديقي بوبكر، البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية علماء المسلمين الجزائرية، دراسة من خلال جريدة البصائر، ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011م.

280. في رسالة له مخطوطة بعنوان رسالة فيما بين اللغوي وصاحب المعاني، دار الكتب المصرية، ص198، انظر النظم القرآني في سورة البقرة، رسالة دكتوراه مقدمة من حسين أحمد علي الدراويش، الجامعة الأردنية 1986، مخطوط

281. مهداوي محمد، البشير الإبراهيمي واللغة العربية، رسالة ماجيستير، جامعة دمشق، 1986-1987.

282. الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائر، سمية شرابي، مذكرو ماجيستر في اللغة والأدب، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، 2011-2013.

الملتقيات الوطنية:

283. منور الأذهان وفارس البيان، الإمام البشير الإبراهيمي منور الأذهان وفارس البيان، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار، الجزائر، تاريخ الانعقاد: 01-06-2009.

الموسوعات:

284. صقر عطية، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام مكتبة وهبة، ط2، (1427هـ-2006م).

الفهـــــارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ	البقرة	164	255
وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ	البقرة	222	270
ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ	البقرة	229	105،166،324
وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ	البقرة	231	108
وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ	البقرة	236	166،324
وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ	آل عمران	103	65
وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا	النساء	130	103
وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا	النساء	130	103
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ	المائدة	37-36	100

جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ			
يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ	المائدة	37	100
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ	الأنعام	42	270
وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	الأنعام	97-96	297
وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ	الأعراف	94	270
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ	الأعراف	167	271
فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا	التوبة	82	318
صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم	التوبة	127	256
أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	يونس	62	96
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ	يونس	63	96
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ	هود	43	272

بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ			
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ	71	هود	305
لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ	24	يوسف	256
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ	06	النحل	104
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	90	النحل	88
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ	112	النحل	53
قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا	88	الإسراء	97
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ	89	الإسراء	255
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا	01	الكهف	305
وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا	18	الكهف	18، 319

وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا			
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا	الكهف	46	132
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا	الكهف	61	99
فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا	الكهف	61	99
قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ	الكهف	63	99
فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا	مريم	65	269
إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ	الأنبياء	92	65
قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ	الأنبياء	62	307
وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ	المؤمنون	60	98
فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا	الفرقان	19	256
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ	الفرقان	32	274
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ	العنكبوت	67	273
فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ	القصص	24	149

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا	الأحزاب	28	104
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا	الأحزاب	49	104
يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ	فاطر	13	318
نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ	فصلت	32	62
وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ	الجاثية	05	255
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ	القمر	42	269
فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ	الواقعة	89-88	132
وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ	الواقعة	91-90	132
فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ	الحديد	16	149
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا	الطلاق	01	106
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ	الصف	10	208

أَلِيمٍ			
سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ	الملك	03	317
فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ	القيامة	18	152
إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا	المعارج	21-19	96
وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا	الانشقاق	09	54
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ	الانفطار	8-6	297
وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾	الطارق	2-1	96
ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ	الطارق	3	96
رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ	البينة	08	149
﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾	الزلزلة	05	149
فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ	القارعة	07	272
لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾	قريش	2-1	133
﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ ١	التكاثر	1	302

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.

طرف الحديث	الصفحة
ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد	54
إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك	89
لا يا بنت الصدّيق، ولكنّهم الذّين يصومون ويصلّون ويتصدّقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم	98
يخرج الله قوما من النار فيدخلهم الجنة	100
إقرِؤا القرآن بلحون العرب	150
وهم يخافون ألا تقبل منهم	100
لو كنت أعلم أنك تسمعني يا رسول الله لحبرته لك تحبيرا	150
فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا	90

ثالثا: فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
لو كنت سمعتني يا رسول الله	150

فهرس الأشعار:

صدر البيت	الصفحة
أي خطب هز البلاد عويلا	19
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	123
ذكراك يايوم	46
و كونوا حائـــطا لا صـــدع مـــنه	49
أما آن لعشاق سلمى أن يقولوا	54
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	55
إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى	55
ما أنت بالحكم التُرْضَي حكومته	111
ومقامـــة غلب الرقاب كأنهم	114
المغرب أحسن الأرض ولي دليل عليه	143
كأن مثار النقع فوق	276
صَددتِ فَأَطْوَلْتِ الصّدود وقلّما	304
أيقتلني والمشر في مضاجعي	307
وما أنا أسقمت جسمي به	308
مثلك يثني الحزن عن صوبه	311
حلو الشمائل وهو مر باسل	320
ونبئتهم يستنصرون بكاهل	322
ديمة هطلاء فيها وطف * * * طبق الأرض تحرى وتدر	316
وخيل يطابقن بالدراعين * * * طباق الكلاب يطأن الهراسا	316

فهرس المحتـــــــويات:

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
التشكرات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي : محطات من حياة البشير الإبراهيمي	
المبحث الأول: عصر البشير الإبراهيمي	2
المطلب الأول: الوضع السياسي في الجزائر	4
المطلب الثاني: الوضع الاجتماعي في الجزائر	6
المطلب الثالث: الوضع الثقافي في الجزائر	8
المبحث الثاني: التكوين الشخصي والعلمي للبشير الإبراهيمي	12
المطلب الأول: مولده ونشأته	12
المطلب الثاني: تعليمه ورحلاته ومكانته العلمية.	13
المطلب الثالث: مؤلفاتـه ووفاتــه	18
المبحث الثالث: الأسلوبيّة من حيث الماهية والأنواع.	21
المطلب الأول: ماهية الأسلوب.	21
المطلب الثاني: أنواع الأسلوبية	24
الفصل الأول:أسلوب البشير الإبراهيمي ومستويات اللغة في كتاباته	
المبحث الأول: المميزات والخصائص الفنية والأنواع النثرية في كتابات البشير الإبراهيمي	42
المطلب الأول: الأسلوب والأداء	42
المطلب الثاني: مستويات اللغة	45
المبحث الثاني: الأنواع النثرية في كتابات البشير الإبراهيمي	61

المطلب الأول:فن المقال والخطابة	61
المطلب الثاني: فن المقامة.	114
المطلب الثالث: أدب الرحلة في كتابات البشير الإبراهيمي	132
الفصل الثاني: المستويات الصوتية والدلالية في كتابات البشير الإبراهيمي	
المبحث الأول: مفاهيم في علم الصوت	146
المطلب الأول:ماهية المقطع لغة واصطلاحا	147
المطلب الثاني:النبر والتنغيم	148
المطلب الثالث:الظواهر الصوتية ومخارج الحروف في اللغة العربية	151
المطلب الرابع: دراسة تطبيقية صوتية لمقالة الشيخ البشير الإبراهيمي الموسومة بـ "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق"	162
المطلب الخامس: دراسة صوتية أسلوبية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" أنموذجا	186
المبحث الثاني: ماهية الدلالة وأنواعها وحقولها	206
المطلب الأول: ماهية الدلالة لغة واصطلاحا	207
المطلب الثاني: الحقول الدلالية وأنواعها	212
المطلب الثالث: أقسام الدلالة	215
المطلب الرابع: دراسة دلالية أسلوبية لفن المقال في كتابات البشير الإبراهيمي "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" أنموذجا	221
المطلب الخامس: دراسة دلالية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "كتاب مفتوح إلى أعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري" أنموذجا	251
الفصل الثالث: المستويات الصرفية والتركيبية في كتابات البشير الإبراهيمي	
المبحث الأول: ماهية الصرف ونشأته وتطوره	255
المطلب الأول: الصرف لغة واصطلاحا	255

المطلب الثاني: بداية ونشأة علم الصرف وتطوره	261
المبحث الثاني: المشتقات والمبنيات في علم الصرف	268
المطلب الأول: صيغ المبالغة واسم الفاعل وأبنيتهما	268
المطلب الثاني: الجملة البسيطة والمركبة	273
المطلب الثالث: دراسة صرفية أسلوبية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" أنموذجا	289
المطلب الرابع: دراسة صرفية أسلوبية لفن المقالة في كتابات البشير الإبراهيمي "ذكرى 08 ماي" أنموذجا	292
المبحث الثالث: ماهية التركيب بين القدماء والمحدثين وأهميته	296
المطلب الأول: تعريف التركيب لغة واصطلاحا	296
المطلب الثاني: أهميته	300
المطلب الثالث: الموازنة بين الدراسة النحوية والدراسة البلاغية لهذه الظاهرة.	312
المبحث الرابع: علم البيان والبديع	316
المطلب الأول: الطباق	316
المطلب الثاني: دراسة تركيبية أسلوبية لفن المقال في كتابات البشير الإبراهيمي "من مشاكلنا الاجتماعية الطلاق" أنموذجا	322
المطلب الثالث: دراسة تركيبية أسلوبية لفن الخطابة في كتابات البشير الإبراهيمي "كتاب مفتوح إلى أعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري" أنموذجا	330
خاتمة	335
توصيات	339
قائمة المصادر المراجع	341
قائمة الفهارس	
أولا: فهرس الآيات	365
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية	371

ثالثا: فهرس الآثار	371
فهرس الأشعار	372
فهرس المحتويات	373
الملخص	

ملخص:

تأثر البشير الإبراهيمي ببيئته وأثر فيها فتميزت وتفردت مؤلفاته بالتنوع والتعدد، ومما زادها جمالية ورونقا أسلوبيا، ما ينفك القارئ بقراءتها إلا وعاد إليها تأثرا بالأسلوب الجزل الماتع والأصوات المتقاربة المتجانسة ومتلائمة مع نسق الخطاب، وما تقتضيه ملابسات الحياة اليومية، وحضور القرآن الكريم مقتبسا ومنفردا وتفسيرا في ثلة الكلمات لا يفهمها إلا من يحفظ الذكر الحكيم، لذلك سعت هذه الدراسة إلا الاستزادة والتوسع والتوغل في عمق الخطوط والأنسجة الأسلوبية وتعابيرها الفنية للوقوف على درجة التذوق الجمالي واللغوي لتطبيقها على جريدة البصائر من خلال عينات مختارة بتتبع واستقراء الظواهر الأسلوبية.

وقد حملت هذه الدراسة بين طياتها مدخل وأربع فصول ومقدمة وخاتمة.

وسلطت الضوء من خلال هذه الدراسة على جانبين بدايته ومستهله نظري ويتبع مدخل تناول في شقه الأول نبذة عن حياة البشير الإبراهيمي وأهم آثاره، أما الشق الثاني فتخلله ماهية الأسلوبية ومجالاتها وأبرز علمائها واتجاهاتها واهتم جزؤه الثاني بأسلوب البشير الإبراهيمي من حيث الأسلوب والشكل وأهم الأنواع النثرية المتواجدة في كتاباته، وقد ركزت على فني المقال والخطابة وأهم خصائص كل فن على غرار الأجناس الأدبية، والجانب الثاني تطبيقي، شملته الفصول الخمسة، على اعتبار أن اللغة هي الأداة والوسيلة التي اعتمدها البشير الإبراهيمي في التوظيف اللغوي، وقد نوع في استعماله بحكم أن ملك اللغة وأمير بيانها، فقد أبدع في تشكيل مادته الفنية، واستقرأت الظواهر اللغوية المتميزة المنفردة، وحاولت تبيانها وإبرازها والكشف عن أسلوبيتها في مختلف مستويات اللغة، ففي المستوى الصوتي اخترت مقالة وخطابة، وركزت من خلالها على مخارج الحروف والمقاطع الصوتية، ووحدات الجناس والسجع والطباق والمقابلة لما لها أهمية بالغة ودور إيجابي وبياني، وما تكشف عنه من إيقاعات مؤثرة ومعادن ودلالات تفسيرية.

ثم عرجت إلى المستوى الصوتي لأسلط الضوء على تنوع التوظيف اللغوي الذي شمل وطال البنية الصرفية، أسماء كانت أو أفعالا ونتائجها وانعكاساتها على البنية العامة للخطابة والمقالة التي

طبقت عليها الأسلوبية، ثم تطرقت إلى البنية التركيبية، فعرجت على تنوعات الجملة وتلونات الأساليب الإنشائية وطغيان أسلوب الإثبات على النفي في خطبه إلى أبنائي الطلبة أنموذجا.

ثم وقفت على أسلوب العدول –بلونية الذي شكل ظاهرة فريدة عجيبة لا يكاد ينفك البشير الإبراهيمي فيها ولا يمكنه الاستغناء عنه في مختلف آثاره عامة وجريدة البصائر خاصة.

وحينما أسدلت الحقول الدلالية وتجمهرت وتمظهرت من خلال تعدد وتنوع نسق الخطاب الذي نسج وشكل تجانسها عبر الألوان والأجناس الأدبية ظاهرة أسلوبية دلالية دفعتني إلى الالتفات نحو نسجها وخيوطها ومحاولين تبرير مدى التوظيف اللغوي من خلال استعمالها في الخطاب الإبراهيمي انطلاقا من المنهج الأسلوبي، ومنه وقفنا على سمة الألفاظ ودقت اختيارها، وناقشنا العلاقات الترابطية بين كلماتها والمتمثلة في الترادف والتقارب اللفظي، وذلك بالإشارة إلى إيحائها داخل سياقاتها التعبيرية.

واختتمت الدراسة بخاتمة رصدت أهم النتائج هذا البحث، وحوصلت هذا البحث بخاتمة تعبر وتلخص أهم النقاط لهذا التحليل الأسلوبي.

Summary:

Al-Bashir Al-Ibrahimi was affected by his environment and influenced it, so his writings were distinguished and unique by diversity and plurality, and what increased their aesthetic and stylistically elegance. A few words can only be understood by those who memorize the wise Qur'an. Therefore, this study sought only increase, expansion and penetration into the depth of stylistic lines and textures and their artistic expressions to determine the degree of aesthetic and linguistic taste to apply them to the newspaper Insights through selected samples by tracking and extrapolating stylistic phenomena. This study included an introduction, four chapters, an introduction and a conclusion.

This study sheds light on two aspects, its beginning and theoretical beginning, followed by an introduction that deals in the first part with an overview of the life of Al-Bashir Al-Ibrahimi and its most important effects. His writings, which focused on the art of the article and rhetoric, and the most important characteristics of each art along the lines of literary genres, and the second applied aspect, included in the five chapters, given that language is the tool and means adopted by Al-Bashir Al-Ibrahimi in linguistic employment, and he varied in its use by virtue of the fact that the king of language and the prince of its statement He excelled in the formation of his artistic material, and extrapolated the distinct linguistic phenomena, and tried to clarify and highlight them and reveal their stylistics in the various levels of the language. And a positive and graphic role, and what it reveals of influential rhythms, minerals and explanatory connotations.

Then I went to the phonetic level to highlight the diversity of linguistic employment that included and extended the morphological structure, names or verbs, and their results and reflections on the general structure of rhetoric and the article on which stylistics were applied. Exile in his sermons to my students as a model. Then I stood on the method of the 'Adoul-Bolonia', which formed a unique and amazing phenomenon that al-Bashir al-Ibrahimi could hardly stop in

and could not dispense with in his various works in general and the Insights newspaper in particular.

When the semantic fields were closed, gathered, and appeared through the multiplicity and diversity of the discourse pattern that weaved and formed its homogeneity through colors and literary genres, a stylistic semantic phenomenon prompted me to pay attention to its weaving and threads and trying to justify the extent of linguistic employment through its use in the Abrahamic discourse based on the stylistic approach, and from it we stood on the feature of words. She made a precise choice, and we discussed the associative relationships between her words, which are represented in synonymy and verbal convergence, by referring to their suggestion within their expressive contexts.

The study concluded with a conclusion that monitored the most important results of this research, and this research concluded with a conclusion that expresses and summarizes the most important points of this stylistic analysis.

ملخــص:
تأثر البشير الإبراهيمي ببيئته وأثر فيها فتميزت وتفردت مؤلفاته بالتنوع والتعدد، ومما زادها جمالية ورونقا أسلوبيا، ما ينفك القارئ بقراءتها إلا وعاد إليها تأثرا بالأسلوب الجزل الماتع والأصوات المتقاربة المتجانسة ومتلائمة مع نسق الخطاب، وما تقتضيه ملابسات الحياة اليومية، وحضور القرآن الكريم مقتبسا ومنفردا وتفسيرا في ثلة الكلمات لا يفهمها إلا من يحفظ الذكر الحكيم، لذلك سعت هذه الدراسة إلا الاستزادة والتوسع والتوغل في عمق الخطوط والأنسجة الأسلوبية وتعابيرها الفنية للوقوف على درجة التذوق الجمالي واللغوي لتطبيقها على جريدة البصائر من خلال عينات مختارة بتتبع واستقراء الظواهر الأسلوبية.
وقد حملت هذه الدراسة بين طياتها مدخل وأربع فصول ومقدمة وخاتمة.

الكلمات المفتاحية:

البشير الابراهيمي؛ المستويات الصرفية والتركيبية؛ المستويات الصوتية والدلالية؛ المفردة القرآنية الأسلوبية.

نوقشت يوم: 2024/02/14
بتقدير: مشرف جدا